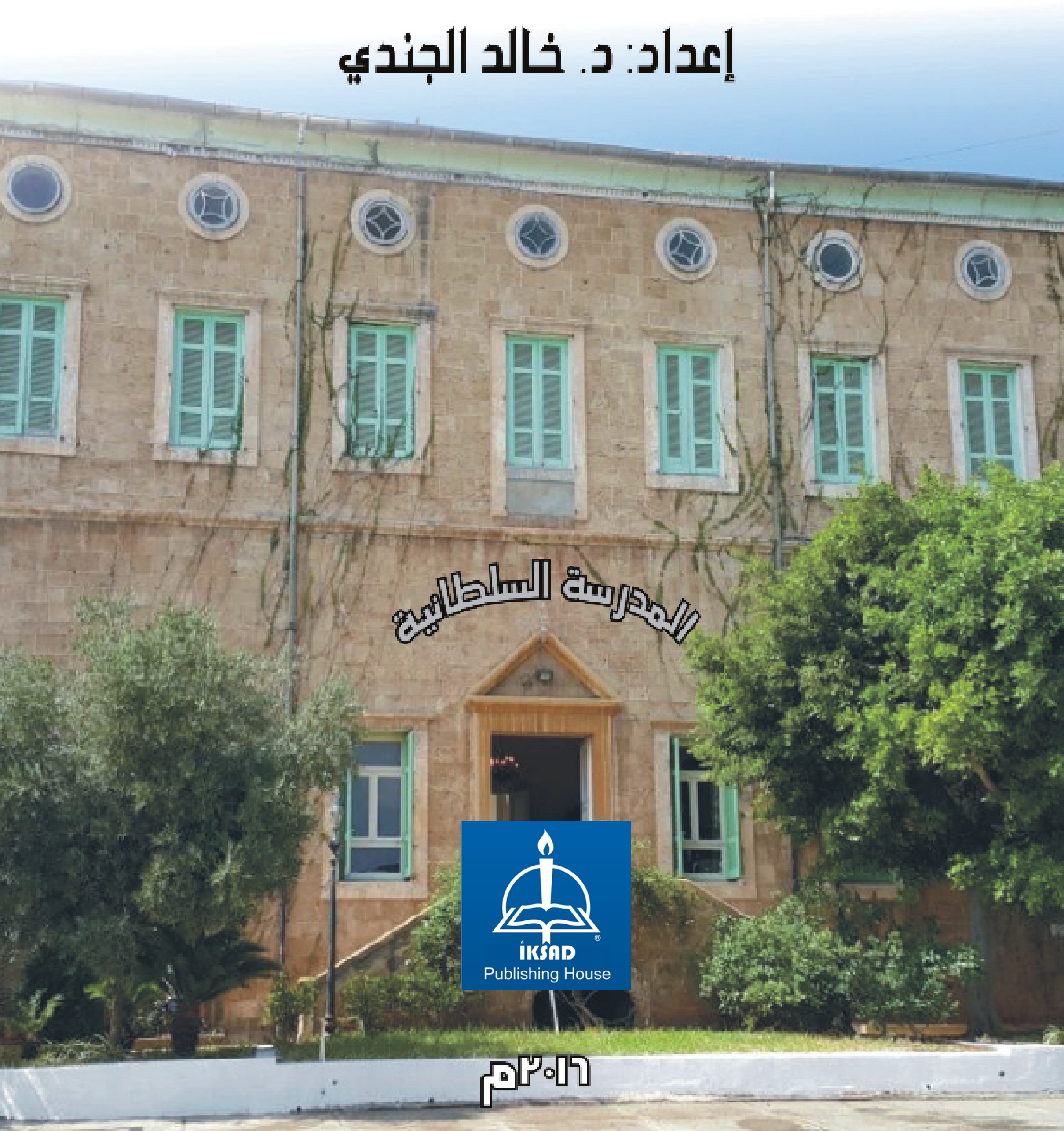
جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت

في ضوء الوثائق العثمانية

1878-1914م

إعداد: د. خالد الجندي



جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت

في ضوء الوثائق العثمانية

إعداد: د. خالد الجندي



٢٠١٦م

 Institution of Economic Development and Social Researches Publications®
(The Licence Number of Publicator: 2014/31220)
TURKEY TR: +90 342 606 06 75
USA: +1 631 685 0 853
E mail: iksadyayinevi@gmail.com
www.iksadyayinevi.com

ISBN: 978-625-7139-48-9
October / 2020
Ankara / Turkey
Size = 16 x 24 cm

الإهداء

إلى الرعيل الأوّل الذي أسهم في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت, وقدّم الغالي والنفيس في سبيل تطوّر هذه الجمعية ورفعة شأنها.

إلى الذين آمنوا أنّه بالتعليم تُبنى الأوطان.

إلى الذين أسهموا في بناء صرحها الشامخ.

إلى الذين ضحّوا بحياتهم لتبقى راية جمعية المقاصد خفّاقة.

إلى أولئك الذين قدّموا خدمة أو مالاً أو تطوّعًا أو قاموا بواجب مهني، لتبقى منارتها تشعّ برسالة الإيمان.

إلى رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت والقرى **"المهندس أمين الداعوق"**, الذي شجّعني على القيام بهذا العمل، واضعًا سجلات الجمعية بتصرّفي.

إلى كلّ هؤلاء أهدي هذا الكتاب, علّني أكون قد وُفّقت في تسليط الضوء على تاريخ "**جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت**".

الدكتور خالد عبد القادر الجندي

المقدمة

مع نهاية العام "2016م" يكون قد مضى على تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت والقرى 138 عامًا بحسب التقويم الميلادي، و142 عامًا بحسب التقويم الهجري, وهي جمعية تربوية ثقافية خيرية، أسهمت عبر تاريخها الطويل في خدمة مجتمعها وتنمية الإنسان علميًا واجتماعيًا.

عمل في مؤسساتها التربوية, إدارةً أو تدريساً, شخصيات تربوية بارزة، ترك بعضهم بصماتٍ واضحةٍ في المجتمع البيروتي, كما تخرَّج من مدارسها ألوف الشباب والشابات, توصَّل العديد منهم إلى أرفع المناصب السياسية والادارية والاقتصادية في بيروت ولبنان خاصة, وفي أنحاء الوطن العربي عامة.

وصونًا لهذه المكانة العالية التي بلغتها الجمعية, وحفظًا لتاريخها من النسيان، إذ يشكل هذا التاريخ جزءاً لا ينفصم عن ذاكرة بيروت, كان لا بدّ من تدوين هذا التاريخ بأسلوب موضوعي, ومنهجية علمية، ونشره. وأنا لا أدَّعي أنّني كنت الأوّل ممّن كتبوا عن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت, لكن أستطيع القول، وبكل فخر أنني كنت الأوّل الذي كتب عن **تاريخ هذه الجمعية**. فكلّ الباحثين الذي كتبوا قبلي عن جمعية المقاصد تناولوا تطوّر التعليم فيها, ولم يتطرّقوا إلى تاريخها الحقيقي منذ نشأتها في العهد العثماني 1878م، إلى إقفالها في الحرب العالمية الأولى 1914م, وذلك من خلال الوثائق

العثمانية، والتي تُنشر للمرّة الأولى, لأنه: "إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ", فبدعم ومؤازرة من رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت المهندس أمين الداعوق, شدَدْتُ الرّحال إلى عاصمة الخلافة العثمانية إستانبول, وبقيت فترة، وأنا أقمِّش المعلومات في الوثائق وكلّ ما يرتبط بهذه الجمعية. وكم كانت فرحتي كبيرة عندما أعثر على وثيقة تعود إلى الجمعية, حيث هيّأ لي الله، عزّ وجل، طلاّباً عربًا يدرسون في تركيا عن تاريخ بلادهم, فبمساعدتهم استطعت العثور على بعض الوثائق, إلاّ أنّني لم أوفّق بالعثور على فرمان تأسيس الجمعية.

1- إشكاليات البحث:

وبعد قراءة معمّقة لما كتبه الباحثون عن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية, وقد تيَّسر لي الاطلاع عليها, وجدت أنّ ما كتبوه مقتصر على تطوّر التعليم فيها منذ نشأتها وحتى تاريخ متقدّم, لذلك قرّرت الغوص في كتابة تاريخ الجمعية, إنطلاقاً من بعض الإشكاليات.

- أولها: رئاسة الشيخ عبد القادر قبّاني لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية, وما هي الأسباب الحقيقية "لاستعفائه" من منصبه, وهل أقيل أم استقال؟

- ثانيها: من خلال قراءتي لأكثر مؤلّفات الباحثين وجدت أنّهم يعدّون مدحت باشا والي سورية، وبالتوافق مع بعض الوثائق العثمانية, هو من كان وراء تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت, فأردت من خلال المصادر والمراجع وضع النقط على الحروف، وإنهاء اللغط الحاصل حول هذا الموضوع.

- ثالثها: عمل مدحت باشا والي سورية على تأسيس العديد من الجمعيات الخيرية الإسلامية في ولاية سورية, فأردت أن أثبت العلاقة التي تربط جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت بهذه الجمعيات.

- رابعها: في العام 1882م أقدمت الحكومة العثمانية على "إغلاق" جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، وتحويلها إلى شعبة المعارف، واللغط الذي دار حولها, فكلّ من كتب عن جمعية المقاصد، أهمل هذه الفترة من تاريخ الجمعية وعدّها خارجة عن تاريخها. فلا بد للباحث أن يكتب عن هذه الفترة لأنّها جزء لا يتجزأ من تاريخ الجمعية, على الرغم من تحويلها إلى شعبة المعارف.

- خامسها: قضية عزل عبد القادر قبّاني عن مديرية معارف بيروت, وأسباب هذا العزل, فلم أبدِ على هذا العزل أي رأي خاص، إنّما استعرضت أسباب العزل ممّا ورد في الوثائق العثمانية.

2- الصعوبات:

ممّا لا شكّ فيه أنّ أيّ باحث مهما بلغت درجته العلمية, لابدّ أن تعترضه بعض الصعوبات أثناء تقميش مادته العلمية, ولكن بالعزيمة والإصرار يستطيع وبتوفيق من الله تعالى أن يجتازها. إلاّ أنّ الباحث قد ينتابه شيء من الخوف والقلق, من عدم تمكنه من تحقيق هدفه. وهذا ما حدث لي, فعندما كلّفت بكتابة تاريخ جمعية المقاصد, وخصوصاً شتات المادة العلمية بين بيروت وإستانبول، ولصعوبة قراءة سجلاّت ومحاضر جلسات

الجمعية. وبدأت رحلتي العلمية الشاقة للوصول إلى المادة العلمية, وقمتُ أوّلاً بدراسة سجلات ومحاضر جلسات الجمعية, والأبحاث المتداولة عنها, منذ نشأتها وحتى خروج الدولة العثمانية. وقد واجهت تلك الصعوبات, بالتركيز المفصّل في عوامل نشأة جمعية المقاصد وأسباب تحويلها إلى شعبة المعارف، استناداً إلى الأصول العثمانية ومحاضر جلسات الجمعية, لأنّه "إذا ضاعت الأصول ضاع معها التاريخ".

والمعروف أنّ عملية تقميش كلّ الأصول، تعترضها الصعوبة المادية واللغوية ومشقّة السفر, ممّا يجعل هذا الأمر مستعصياً, ومن هذه الصعوبات:

1- عدم العثور على الوثيقة البريطانية التي تحدّثت عن أسباب إغلاق جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية عام 1882م, والّتي أتى على ذكرها بعض الباحثين.

2- الوثائق العثمانية: على الرغم من حصولي على عدد غير قليل من الوثائق العثمانية التي تتحدث عن جمعية المقاصد،و ما تنطوي عليه, من أهمية كبرى في نشر جزء بارز من الحقائق، لأنّها أصول صادرة عن أصحاب العلاقة المباشرة. يُضاف إلى ذلك صعوبة الحصول عليها من ناحية اللغة, ومن دون ذلك تكاليف ترجمتها الباهظة, والسفر إلى عاصمة الخلافة العثمانية إستانبول.

ولجمع مادة هذا البحث, كان لزاماً عليّ أن أقوم برحلة علمية, أقف من خلالها على جوانب هذا الموضوع, من المصادر الأصلية, والمكتبات الخاصة والعامة, لهذا قرّرت السفر أوّلاً إلى إستانبول عاصمة الخلافة الإسلامية, لغناها بالوثائق والمخطوطات. وبعد

عناء شديد وجدت في الأرشيف العثماني التابع لرئاسة مجلس الوزراء في إستانبول: " Başbakanlik Osmanli Arşvi" بعض الوثائق المهمّة, التي لم تنشر بعد, وقد تضمنت أسباب تأسيس جمعية المقاصد في صور وبيروت وصيدا والشام, ومن كان وراء تأسيس هذه الجمعيات, وقد استطعت من خلالها الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدّت إلى "إغلاق" جمعية المقاصد، وتحويلها إلى شعبة المعارف. بالإضافة إلى أسباب عزل عبد القادر قبّاني عن رئاسة جمعية المقاصد ومديرية معارف بيروت. وبعدها زرت العديد من كبريات المكتبات اللبنانية, وتمكنّت من الحصول على كامل أعداد جريدة "ثمرات الفنون" التي أمدّتني بها السيدة إنعام نصولي حفيدة عبد القادر قبّاني, وعلى جريدتي لسان الحال والإقبال, وهكذا تبدد الخوف والقلق الذي كان ينتابني من عدم التمكن من جمع المادة العلمية, غير أن ما أسعدني فعلاً, هو حصولي على عدد لا يستهان به من محاضر جلسات جمعية المقاصد, وهي موجودة في أرشيف الجمعية.

ولا بدّ من الذكر أنه تمَّ نقل المعلومة من جريدة ثمرات الفنون والفجر الصادق وجريدة لسان الحال والإقبال، كما هي بأخطائها اللغوية، وذلك حفاظاً على الدقّة والأمانة العلمية.

وجاءت الدراسة مقسمة إلى ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: تحدّثت فيه عن الحياة العلمية في بيروت قبل تأسيس جمعية المقاصد, وخصوصاً الإرساليات التبشيرية, والدور الذي لعبته هذه الإرساليات في تغريب أهل بيروت المسلمين, "وتقصير" الدولة العثمانية عن افتتاح مدارس للطائفة الإسلامية, وأسباب هذا التقصير.

- الفصل الثاني: تكلّمت فيه على أسباب تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت, وافتتاح عدد من المدارس, كما شرحت فيه أسباب عزل عبد القادر قبّاني من رئاسة جمعية المقاصد.

- الفصل الثالث: تناولت فيه الأسباب الحقيقية "لإغلاق" جمعية المقاصد الخيرية, وأفردت مساحة لا بأس بها عن شعبة المعارف، ثم افتتاحها بعد إعادة العمل بالدستور عام 1908م، والعودة إلى إغلاقها في الحرب العالمية الأولى عام 1914م. وعرجت أيضًا على قضية عزل عبد القادر قباني من مديرية معارف بيروت.

الاختصارات (الوثائق)

B.O.A: Başbakanlik Osmanli Arşivi.

الفصل الأول

التعليم قبل نشأة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية

1- لمحة عامة عن الوضع السياسي.
2- التعليم في الدولة العثمانية.
3- التعليم في بيروت في القرن التاسع عشر.
4- بدايات نشأة المدارس والتعليم.
5- بدء المدارس الحكومية.
6- بيروت في بداية مسيرتها مع التعليم العصري.
7- المدارس الأجنبية (الإرسالية).
8- المدارس الأهلية المسيحية.
9- بداية إنشاء المدارس الأهلية الإسلامية.
10- جمعية الفنون.

1- لمحة عامة عن الوضع السياسي:

ظلّت معظم البلاد العربية خاضعة للدولة العثمانية حتّى نهاية الحرب العالمية الأولى، وفق نظام إداري تحدّده الدولة التي كانت تُقسم إلى ولايات، والولايات إلى ألوية (سناجق)، والألوية إلى أقضية، والأقضية إلى نواح[1].

ومنذ القرن الثامن عشر قُسّمت بلاد الشام إلى ثلاث ولايات هي: ولاية حلب، وولاية سوريا، وولاية طرابلس. أمّا ولاية حلب، فكان مركزها حلب، وضمّت ألوية عدة منها: أضنة، وباليس وحلب، بينما ضمّت ولاية سوريا الشام ومركزها دمشق الألوية التالية: دمشق، والقدس، وغزة، ونابلس، وعجلون، وصور، وصيدا، وبيروت، والكرك، والشوبك. وضمّت ولاية طرابلس: لواء طرابلس، وحمص، وحماه، والسلمية، وجبلة[2].

وبعد عام 1864م جرت تقسيمات جديدة، فقسِّمت ولاية سورية إلى عدة ألوية منها: لواء القدس، ولواء طرابلس، ولواء بيروت، ولواء عكّا، ولواء اللاذقية[3].

أمّا بيروت فقد فصلت عن ولاية سورية سنة 1887م، وأصبحت ولاية مستقلة، وذلك لازدياد أهميتها، وأصبحت لواء بيروت، ولواء عكّا، ولواء البلقاء، ولواء طرابلس، ولواء اللاذقية، وعيّن علي باشا والياً عليها[4].

وفي سنة 1876م اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني العرش، وكانت البلاد العثمانية تمر في مرحلة صعبة، وقد وعد السلطان مدحت باشا بمنح القانون الأساسي (الدستور)، لكنَّه أبدى إمتعاضه من تدخّل مدحت باشا وحزبه في جميع أمور السلطنة، وإصرارهم على إعلان القانون الأساسي، فقرّر السلطان عزل مدحت باشا من منصب

---

1) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، معهد الدراسات العربية العالمية، 1975، ص 138.

2) عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864م – 1914م، دار المعارف – مصر، ص 69.

3) المرجع نفسه: ص 69.

4) المرجع نفسه: ص 71 – 72.

الصدارة العظمى وشتّت أعوانه، بينما كانت الدول الأوروبية تلحّ عليه – أي السلطان – بتنفيذ الإصلاحات في البلاد[1].

2- التعليم في الدولة العثمانية:

ظلّ التعليم في الدولة العثمانية، وحتّى أواسط القرن التاسع عشر، شأنًا خارج وظيفة الدولة. فالتربية شأن ديني، يتولّى أمرها أولو الأمر في الطوائف، فالسنة وهم طائفة الدولة، يدير أمر تربيتهم وتعليمهم مُفتٍ يعيّنه السلطان، ويترك له حرية تسيير شؤون الطائفة والاهتمام بأمور الأوقاف والمؤسسات الدينية والتعليمية[2].

أمّا عند الطوائف المسيحية، فالتعليم كان موجودًا في كلّ دير وكنيسة. فالمسيحيون لهم الحقّ في إنشاء مؤسّساتهم الخاصة تحت سلطة رؤسائهم الروحيين تبعًا لنظام الملة[3]. وبخاصة الكنيسة المارونية، التي كانت المؤسّسة الدينية الوحيدة في الدولة العثمانية، التي لم تخضع كليًا لإدارة السلطان. ومنذ أواسط القرن السابع عشر، عمد رجال الدين الموارنة الذين عادوا من المدرسة المارونية في أوروبا، إلى تأسيس عدد من

1) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص 60 – 61.

2) رؤوف الغصيني: الدولة والتعليم الخاص في لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1964م، ص 17.

3) أحمد سراج الدين: الحركة التربوية وتطورها في لبنان، خلال القرن التاسع عشر، مجلة الأبحاث، السنة الرابعة، الجزء الثالث، أيلول 1951م، العدد 321.

المدارس. ولم تلبث بقية الطوائف المسيحية أن سارعت إلى إنشاء مدارسها إبتداءً من أواخر القرن الثامن عشر في مختلف مناطق تواجدها[1].

إضافة إلى التعليم الطائفي، عرفت المناطق اللبنانية نوعًا آخر من التعليم، هو تعليم المبشِّرين والإرساليات. وهو يعود في جذوره إلى العام 1535م تاريخ توقيع الإتفاقية الفرنسية-العثمانية الأولى التي منحت فرنسا بموجبها بعض الامتيازات التي أسّست للمهمة التي بدأت فرنسا تضطلع بها منذ ذلك الحين وهي حماية الكاثوليك في الشرق[2]. جددت هذه الإتفاقية في الأعوام 1673م و 1740م حين تكرّس إعتراف السلطنة بحق فرنسا في حماية مسيحيي الشرق من رعايا الدولة العثمانية[3]. الأمر الذي مكّن البعثات التبشيرية من القيام بنشاط تعليمي كونه وسيلة من وسائل التبشير الديني.

وفي القرن التاسع عشر جاءت إلى لبنان فئتان من المبشّرين، قامتا بإنشاء المدارس في عدد من المناطق: الأولى أنجيلية أمريكية، وصلت إلى بيروت عام 1820م، حيث أنشأت أوّل مدرسة للبنات في الدولة العثمانية عام 1834م، والثانية كاثوليكية فرنسية حفّزها دخول الإنجيليين بدأت بإعادة فتح مدرسة عينطورة عام 1834م بإشراف العازاريين. توجت هاتان الإرساليتان جهودهما في التعليم بإنشاء الكلية السورية الإنجيلية

1) حسان قبيسي: الدولة والتعليم في لبنان، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، عدة باحثين، الكتاب السنوي، رئيس التحرير منير بشور، ط1، 1999، ص108-109.

2) A.Hourani: Syria and Lebanon, London, Oxford Univ. press, 1954, p147.

3) Nemer Sabah: L'evolution Culturelle au Liban, Lyon, Im .Janaby, 1950, p25.

عام 1866م (الجامعة الأمريكية اليوم)، وكلية القديس يوسف عام 1875 (جامعة القديس يوسف اليوم)، وقد جاء إلى لبنان بعد ذلك عدد كبير من الإرساليات والمبشرين[1].

والخطوة الأولى نحو إنشاء تعليم رسمي كانت في العام 1838م، عندما أنشئت المدارس الملكية. وكان الهدف منها إعداد جهاز إداري مدرّب يكون أداة للإصلاح الإداري. فبعد أن تبيّن للدولة العثمانية أنّ سلطة رجال الدين على شؤون التعليم تعوق سير خططها الإصلاحية قد تتعارض مع مصالح السلطة المركزية[2]. وإزاء ضعف الدولة وتفكّكها، وعجزها عن السيطرة على البلاد مع تعاظم مطامع الدول الأوروبية التي أصبح تجّارها يشكّلون مع قنصلياتهم جاليات تتمتّع بسلطات مستقلّة عن الدولة وتشكّل عمليًا دولاً داخل الدولة[3]. ونتيجة لخشيتها من اتساع نفوذ إبراهيم باشا في بلاد الشام ووالده محمد علي في مصر، أصدر السلطان علم 1845م، خطًا همايونيًا أكّد فيه الإصلاح وأن "إنشاء مدارس صالحة في أرجاء الإمبراطورية كفيل بالقضاء على الجهل المسيطر"[4]. وكفُّ يد رجال الدين عن المدارس وجعلها خاضعة لإشراف الدولة، بعد أن حوّل المفتي إلى موظف حكومي، وهذا التدبير كان الخطوة الأولى نحو تسلّم الدولة زمام التعليم كإحدى وظائفها الأساسية، وعلى أساسه كلّفت لجنة لتحرّي الأوضاع التربوية، أوصت في تقريرها الذي

---

1) نقولا زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، القاهرة، جامعة الدول العربية، 1972، ص 191.

1) Bernard Lewis: The emergency of modern Turkey, London, Oxford univ. press, 1961, p82.

3) وجيه كوثراني: الإتجاهات الإجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي: 1860-1920، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1978، ص42-43.

4) Bernard Lewis: op. cit.p:10.

قدّمته عام 1846م بإنشاء نظام للتعليم الابتدائي والثانوي، وفي العام نفسه صدر قانون ينصّ على ما يلي:

1- إنشاء مجلس دائم للمعارف يحلّ محلّ السلطات الدينية في الإشراف على شؤون المعارف.
2- التدرّج في التعليم في مستويات ثلاثة: إبتدائي، ثانوي وعال.
3- مجانية التعليم الرسمي في مختلف أنواعه.
4- تعديل منهج التعليم الذي بات يعنى إلى جانب التربية الدينية بالقراءة والكتابة والحساب.
5- الاهتمام بطرق التدريس الحديثة واستعمال الجديد من الكتب.
6- منح الطوائف حق إنشاء مدارس للعلوم والفنون والصناعة[1].

وفي العام 1847م تحوّل مجلس المعارف إلى وزارة المعارف العامة. وعدّت الدولة العثمانية، في بادىء الأمر، قضية المدارس الخاصة، مسألة تخصّ الجماعات الطائفية. ولكنّها سرعان ما أخضعتها لمراقبة الدولة، إذ عمدت في أوّل قانون خاص بشؤون التعليم أصدرته عام 1869م إلى تقسيم المدارس الرسمية في الإمبراطورية العثمانية إلى فئتين:

1- المدارس الرسمية التي يعود إنشاؤها وإدارتها إلى الحكومة.
2- المدارس الخاصة التي تؤسّس وتدار مباشرة من الأفراد والهيئات.

1) أحمد سراج الدين: مرجع سابق، ص335-336.

وقضى قانون 1869م بحظر إعطاء أيّ من الدروس التي تتعارض مع السياسة العامة والمبادىء الأخلاقية، وبإخضاع برامج التعليم والمؤلّفات المدرسية لموافقة وزارة المعارف العامة أو مجلس المعارف المحلي. ويُشار هنا إلى أنّ معظم المدارس الخاصة غير الإسلامية، كانت تعلّم العربية إضافة إلى واحدة أو أكثر من اللغات المحلية أو الأجنبية. وفي العام 1894م عمّمت وزارة المعارف العثمانية، إرادة سنية جاء فيها أنّ تعليم اللغة التركية إلزامي في جميع المدارس غير الإسلامية[1].

يبدو أنّ الدولة العثمانية أحسّت في منتصف القرن التاسع عشر أنّ ما يتوفّر من المؤسسات التعليمية، غير كافٍ لتأمين الكوادر المتعلمة لدوائر الدولة المدنية منها والعسكرية، وللقضاء على الجهل المتفشي بين الأهالي. ولهذا قام مجلس أمور نافعة (مجلس الإعمار) برفع لائحة إلى السلطان، وقد أُعدت هذه اللآئحة لتُسلّط الأضواء على الوضع الذي يعيشه واقع التعليم في الدولة وتبدي – اللائحة – الآراء والمقترحات التي من شأنها النهوض بهذا الواقع. وفي مستهلّ اللائحة تمّ إبراز أهمية المعارف والعلوم، وفضل العلم في ظهور الصنايع والحِرَف ومما جاء فيها:"إذا كانت العلوم الدينية وسيلة للنجاة في الآخرة، فعلم الهيئة (الفلك) يُسهّل سير الفن، الأمر الذي يؤدّي إلى رواج أمر التجارة وازدهارها، والعلوم الرياضية تؤدّي إلى حسن انتظام الأمور الحربية والإدارة العسكرية"[2].

وفي سنة 1267هـ (1850 – 1851م) تمّ تشكيل "إنجمن واتش"[3] ليصبح أعلى وأرفع مؤسّسة للمعارف في الدولة العثمانية، وكان أعضاؤه الأصليون يتكوّنون من أربعين شخصية من أرفع شخصيات الدولة؛ أمّا الأعضاء غير الأصليين فلم يكن عددهم محدوداً.

---

1) روؤف الغصيني: مرجع سابق، ص 32.

2) أ.د. فاضل مهدي بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 2003م، ص 261.

3) إنجمن و اتش: ويعني مجلس أو جمعية العلوم والفنون، تم تشكيله من أرباب العلم والمعرفة.

وفي رمضان من سنة 1273هـ-1857م عُيّن سامي باشا أوّل وزير لنظارة المعارف العمومية. وبذلك تأسست وزارة المعارف العثمانية. وشهد التعليم ومؤسساته، بمرور الزمن، تطورًا كبيرًا وتوسّعت المدارس القائمة في الدولة، وأستحدثت مدارس جديدة استجابة للحاجات التي أحسّت بها الدولة بمرور الزمن، كما شهدت تشكيلات وزارة المعارف هي الأخرى توسّعاً في دوائرها ومجالسها[1].

وبعد استحداث وزارة للمعارف في الدولة العثمانية، حرصت الدولة على الإشراف على المدارس الخاصة، فعرَّف نظام إدارة المعارف العمومية 1869م المدارس الخاصة: بأنّها المكاتب التي تحدث في بعض المحلات وتؤسّس من قبل جمعيات أو أفراد، سواء كان هؤلاء من رعايا الدولة أو من الأجانب. واشترط النظام على هذه المدارس:

1- الحصول على رخصة رسمية من إدارة معارف الولاية والوالي قبل فتح المدرسة الخاصة[2].
2- أن تكون شهادات الهيئة التدريسية في المدرسة الخاصة مصدّقة من إدارة المعارف المحلّية.
3- يجب عرض جداول الدروس، وكتب التعليم على إدارة المعارف، كي لا تطالع في هذه المكاتب دروس مغايرة للآداب والسياسة[3].

ويبدو أنّ الدولة العثمانية بتشكيلها هذه الهيئة سعت ولأول مرّة إلى التدخل في المدارس الدينية، الأمر الذي يدلّ على أنّ وزارة المعارف كانت تسعى إلى إدخال كافة مؤسسات التعليم تحت إدارتها أو إشرافها.

---

1) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 265.
2) بقي هذا البند حبراً على ورق، وذلك نظرًا لانشغال الدولة العثمانية، فقد فتحت الكثير من المدارس بدون ترخيص: راجع فاضل بيات، مرجع سابق، من ص 265 فما فوق.
3) B.O.A: YEE,112.

وفي سنة 1285هـ-1868م أقيم مجلس شورى الدولة[1]، الذي قرّر أن تقوم وزارة المعارف بتأسيس دار المعلمين الإبتدائية في إستانبول وزيادة المدارس الرشيدية في الولايات المختلفة، وإقامة مدارس رشيدية للإناث في إستانبول. وفي 16 شباط 1882م تمّ تشكيل مجلس معارف في كلّ مركز من مراكز الولايات وتعيين مدير معارف له، وذلك من أجل تسيير شؤون المعارف في الولايات. والحقيقة أنّ هذا الإجراء جاء نتيجة لتوسيع مؤسّسات التعليم في الولايات المختلفة، وكذلك من أجل منح الولايات قدراً من الصلاحيات للبت في بعض الجوانب المتعلّقة بالعملية التعليمية منها[2].

وفي 6 أيار 1886م تأسّست مفتشية المدارس الأجنبية وغير الإسلامية، وذلك لتفتيش ومراقبة المدارس غير الإسلامية والأجنبية التي كانت تنتشر في الدولة ومراكز الولايات والمدن المختلفة. وكانت الدولة تأمل، بإجرائها هذا، الحيلولة دون تجاوز هذه المدارس الأهداف التي أُنشئت من أجلها. ويبدو أنّه على الرغم من إقامة وزارة المعارف وتنظيمها، إلاّ أنّ بعض المدارس ظلّت غير تابعة لها فعليًا. وفي سنة 1884م أقيمت مدرسة الصمّ-البكم في إستانبول. ويبدو أنّ مناهج الدراسات الإعدادية والرشيدية والابتدائية هي دون المستوى الذي تنشده، فقرّرت إجراء تعديلات فيها، ولهذا أصدرت في حزيران 1892م مناهج مفصّلة جديدة مع تعليمات متعلّقة بها[3].

و قسّمت المدارس بموجب هذه التعديلات إلى قسمين:

<u>أولاً:</u> المدارس الرسمية وهي المدارس التي تديرها الدولة، أن يتمّ تعيين مديريها ومعلميها وباقي منتسبيها من قِبل الدولة وهي:

1- المدارس الابتدائية: نصّ نظام المعارف على وجوب وجود مدرسة ابتدائية في كلّ قرية أو على الأقل في كلّ قريتين، على أن يدفع أهل

1) شوراي دولت (شورى الدولة)، مجلس تم تشكيله و أنيط به اتخاذ القرارات المتعلقة بأمور الدولة وتدقيق القوانين والأنظمة.

2) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 267.

3) المرجع نفسه: ص 267.

القرية نفقات إنشاء المدرسة وبنائها ومخصّصات المعلّمين فيها، والتعليم في هذه المرحلة إلزامي، ومدّة الدراسة فيها أربع سنوات.

2- المدارس الرشيدية: نصّ نظام المعارف على وجوب وجود مكتب (مدرسة) رشدي في كلّ بلد يتجاوز عدد سكّانه (500) بيت. ويتحمّل صندوق إدارة معارف الولاية جميع نفقات المدارس الرشيدية، ومدّة الدراسة في هذه المرحلة أربع سنوات.

3- المدارس الإعدادية: تؤسّس المدارس الإعدادية في مراكز الأقضية أو الألوية التي يتجاوز عدد سكانها (1000) بيت، ويدفع صندوق إدارة معارف الولاية جميع نفقات إنشاء هذه المدارس، ومدّة الدراسة في هذه المرحلة ثلاث سنوات.

4- المدارس السلطانية: ويقبل في هذه المدارس التلاميذ الناجحون في امتحانات المرحلة الإعدادية، ولا توجد المدارس السلطانية إلاّ في مراكز الولايات، أمّا الدراسة في هذه المدارس فتنقسم إلى قسمين:

أ. القسم العالي: والدراسة فيه ست سنوات، ويتفرّع إلى شعبتين: شعبة الآداب، وشعبة العلوم، ومدّة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

ب. المدارس العالية: وتشمل دار المعلمين ودار المعلمات ودار الفنون في إستانبول، أمّا مدّة الدراسة فيها فتختلف من شعبة إلى أخرى[1].

ثانيًا: المدارس غير الرسمية وهي التي تقيمها الطوائف والأفراد والأجانب، ولا يتمّ تعيين منتسبيها من قِبل الدولة، بل من قِبل مؤسّسيها الذين يتحمّلون نفقاتها، وتستوفي الأجور من طلبتها وهذه المدارس تنقسم إلى قسمين:

أ. المدارس الخاصة الإسلامية: وهي التي يقيمها الأفراد ومجالس المحلاّت أو النواحي أو القرى، وتكون إدارتها وتعيين معلميها من قِبل

1) B.O.A: YEE,112.

مؤسّسيها، ويشترط أن تكون برامجها الدراسية تتوافق مع برامج المدارس الرسمية.

ب. المدارس غير الإسلامية وكانت على ثلاثة أقسام:

1. المدارس المحلية: وتعود ملكيتها إلى الطوائف الدينية، وتغطّى نفقاتها من الأوقاف المخصّصة لها، وتُدار من قِبل الطوائف والبطريركيات التي تتبعها.
2. المدارس الخاصة: وهي المدارس التي تُقام من قِبل الأشخاص[1].
3. المدارس الإرسالية أو التبشيرية وهي التي تقام من قِبل الدول الأوروبية وهي كثيرة.

ولم ترد في التعليمات أية إشارة إلى أنّ الدولة العثمانية كانت تمارس ضغوطًا على التلاميذ من غير المسلمين، إذ كانوا معفيين من الدروس المتعلّقة بالتربية الدينية الإسلاميةز وكان عدد غير المسلمين في المدارس الحكومية قليلاً بالمقارنة مع أعداد التلاميذ المسلمين، فإنّه لم يرد ما يتعلّق بممارسة أية ضغوط عليهم من قِبل إدارة المدرسة أو زملائهم، وورد ضمن الإعلان المتعلّق بنظام المكتب السلطاني أنّه تمّ تخصيص جامع خاص بالمدرسة، يتمّ فيه تعليم التلاميذ المسلمين المبادىء الدينية بشكل إجباري من قِبل إمام. أمّا التلاميذ غير المسلمين فكان يتمّ إرسالهم إلى معابدهم الخاصة لتعليمهم المبادىء الضرورية لدياناتهم[2].

1) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 272.

2) المرجع نفسه، ص 272.

3- التعليم في بيروت في القرن التاسع عشر:

حتى أوائل القرن التاسع عشر كانت مدينة بيروت تتابع دون أيّ ملل حياتها الرتيبة تحت أقبية التقاليد المتوارثة منذ مئات السنين، ولا تحاول أو تفكّر بالخروج إلى فضاء الحضارة الحديثة التي انتهت إليها الأمم الأوروبية، بعد أن نفضت عن كاهلها التخلّف الذي ناءت تحت وطأته خلال العصور الوسطى المظلمة.

ولعلّ أوّل احتكاك مباشر بين المجتمع البيروتي وبين الحضارة الأوروبية بعد الحروب الصليبية، هو الذي تمّ بشكل عرضي ومحدود في أوائل القرن السابع عشر، وذلك في أيام الأمير فخر الدين الذي استقدم بعض المهندسين والخبراء الزراعيين من توسكانه بإيطاليا لبناء قصوره.

على أنّ الاحتكاك الحضاري بين الشرق العربي وبين أوروبا ما لبث أن أطلّ مرّة أخرى في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، وذلك عندما حطّت جيوش نابليون بونابرت رحالها في أرض مصر سنة 1798م.

وبالفعل، فإنّ الاحتكاك العسكري المباشر بين القوى المتحاربة في مصر وسورية دفع أبناء هذين القطرين إلى الانخراط في معالم الحياة الأوروبية، ذلك أنّ وجود الجيوش الفرنسية ومَنْ رافقها من العلماء، في القطر المصري بشكل خاص أدّى إلى بزوغ نهضة متعدّدة الجوانب في هذا القطر، وذلك من خلال الصحف التي أصدرتها[1]. والمطابع التي أسَّستها والمنشآت الصناعية التي أقامتها. ولمّا انسحب نابليون بونابرت من مصر وسورية إثر هزيمته في عكّا، آل الحكم في هذين القطرين إلى محمد علي باشا وابنه ابراهيم، حيث اتسع إشعاع هذه النهضة بفضل هذين الحاكمين.

وخلاصة القول، إنّ البلاد السورية، ومنها بيروت، أصابت حظًا وافرًا من النهضة التي بعثتها الحملة الفرنسية إلى الشرق العربي، فلقد انبعثت هذه النهضة أوّلاً في مصر

---

1) الشيخ طه الولي: بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993م، ص 206.

نفسها ثمّ ما لبثت أن تأثّرت بها بيروت خلال سنوات قليلة، وإنّ هذه المدينة عاشت في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر مرحلة تطوّر جذري شمل سائر مرافقها العامة، وكذلك أسلوب الحياة في المجتمع البيروتي، وذلك نتيجة للتغيير الحضاري الذي مرت به أوروبا، وهو التغيير الذي انسحب أثره الإيجابي الفعّال على بلدان الشرق العربي، سواء من خلال الحملات العسكرية أو من خلال الاتصالات التجارية التي قام بها الأفراد من الغرب إلى الشرق، أو عن طريق المبادرات العلمية التي تمثّلت بالبعثات الشرقية للدراسة في الغرب، أو بالبعثات الغربية التي توسّل بها المبشّرون الأجانب لنشر مذاهبهم الدينية في الشرق[1].

4- بداية نشأة المدارس والتعليم:

إذا أردنا التحدّث عن التعليم في بيروت، في بداية القرن التاسع عشر، فلن نجد أفضل ولا أطرف من الصورة التي تركها لنا أحد أبناء هذه المدينة "أسعد يعقوب الخياط" الذي روى حكاية نشأته الأولى. فقد وصف أسعد يعقوب المدرسة التي دفعه إليها أبوه في بيروت وهو ابن خمس سنين، والأستاذ الذي تولّى تعليمه في هذه المدرسة، وصفه الخياط بقوله:"أمّا والدي فكان جلّ اهتمامه مصوّبًا نحو تهيئة الوسائل لتهذيبي وتثقيفي، وكان المثل الأعلى الذي يتمنّاه لي أن أكتسب من العلوم ما يؤهّلني لدخول الدير، والاندماج في سلك رجال الدين. وفي سبيل هذه الغاية أرسلني والدي إلى "سليم باسيلا" بائع الدخان، لأتعلّم القراءة، وكان سليم يقضي النهار بطوله والغليون في فمه، وكان دخانه دومًا يكتنف وجهي، فكأنما الرجل أراد تحويلي إلى لحم مقدّد من نوع "الهام" "Ham" أو "الجانبون". ولو كانت السلطة علي محصورة من معلّمي سليم لما كان في الأمر بأس، ولكنّ إمرأة سليم أيضًا كان لها علي بعض السلطة – بحقّ الشفعة – فكانت مرارًا تبعثني لجلب المياه وإذكاء النار

1) المرجع نفسه، ص 208.

ومراقبة الطعام!! دخان من تبغ المعلّم في الدكان، ودخان من طبخ المعلمة في البيت، تلك كانت خلاصة حياتي المدرسية!!!"[1].

إذاً كان الأستاذ في بيروت في بداية القرن التاسع عشر بائع سجاير أو غير السجاير، والمدرسة كانت الدكان التي يعمل فيها هذا البائع وعند اللزوم، وغالباً ما كان هذا اللزوم وارداً، فإنّ صاحب الدكان أو أيّ واحد من قريباته المسنّات، كانت تشكّل معه ما يُسمّى اليوم بالهيئة التعليمية.

وكانت تلك المدرسة تعرف باسم "الخوجاية"، وذلك نسبة إلى مديرها وصاحبها الذي يدعى "الخوجا"، والخوجاية والخوجا كلمتان تركيتان تقابلهما باللغة العربية "الشيخ" أو "الشيخة"، وهذا الاصطلاح بقي مستعملاً ودارجًا على ألسنة البيروتيين حتّى عهد قريب، والخوجاية أو الشيخة هي عبارة عن تلك الكتاتيب الصغيرة، التي كان يفتحها أشباه المتعلمين الذين جعلوا من بيوتهم أو دكاكينهم التجارية مدارس بدائية يستقبلون فيها الصبيان، حيث يلقّنوهم مبادىء القراءة والكتابة مع مبادىء أوّلية في علم الحساب إلى جانب الخط العربي. وإذا كان المعلّم مسلمًا ركّز اهتمامه على تعليم صبيانه تلاوة القرآن الكريم وحفظه، وإذا كان نصرانيًا كان اهتمامه ينصبّ على تعليم هؤلاء الصبيان قراءة الإنجيل المقدّس وحفظ بعض مزاميره[2].

أمّا الموسرون من البيروتيين الذين يرغبون في إعطاء أبنائهم المزيد من ألوان الثقافة والمعرفة، فإنّهم كانوا يرسلونهم إلى الأديرة من النصارى، وإذا كانوا من المسلمين فإنّهم يرسلونهم إلى القاهرة للالتحاق بالجامع الأزهر الشريف، حيث يطلبون العلم على شيوخ هذا الجامع الذي يُعدُّ من أقدم المؤسسات التعليمية الإسلامية التي ما تزال قائمة.

---

1) طه الولي: مرجع سابق، ص 208.

2) علي محمد إبراهيم: الحياة الاجتماعية والفكرية في الدولة العثمانية 1808م – 1909م، نقلاً عن محمد زكي بقالين – أحداث مع شيوخ الكتاتيب – إستانبول – 1972، ص 211.

5- بدء المدارس الحكومية:

بقيت بيروت خالية من المدارس الحكومية في العهد العثماني إلى أن أُجلي المصريون عنها في سنة 1840م، فلمّا عادت إلى السيادة العثمانية أدرك المسؤولون أنّ الأجانب ومَنْ والاهم من النصارى لا يكادون يتفرّدون بالسيطرة على مصادر الثقافة في هذه البلاد، ويهددون بعزل الناشئة الإسلامية عن الحياة العثمانية ويبعدونهم عن التجاوب مع سياستها العامة[1].

وفي الوقت نفسه كانت الإرساليات والمدارس الأجنبية تعمل على إثارة روح العداء تجاه الدولة، فخاف السلطان من مغبّة هذا الأمر، وحذّر المسلمين من هذا الخطر. ولمّا كانت بلاد الشام تجمع بين النصراني والمسلم، كانت التفرقة بين الطوائف والملل أسرع إليها من سائر الأقطار. فدخلت التفرقة في ميدان التربية والتعليم عبر الكتب التي كانت توزّعها المدارس الأجنبية وفيها الطعن بالإسلام، وإلقاء الرعب في قلوب طلاّبها النصارى لتنفيرهم من الدولة العثمانية[2].

وممّا ساعد على إيجاد روح العداء في لبنان تجاه العثمانيين انتشار التعليم الغربي، وتغلغل آراء الثورة الفرنسية، وتأسيس المطابع وإصدار الصحف، وكذلك هجرة الكثيرين إلى الخارج، زيادة على أنّ المسيحيين كانوا يعدّون أنفسهم مواطنين غرباء في ظل السيادة العثمانية، ولم يشعروا بأن الحكومة العثمانية حكومتهم، بل كانوا يشعرون بضرورة توفير نوع من الحماية الأجنبية، وآثروا الحماية الفرنسية، لأنّ فرنسا تقليديًا حامية الموارنة في الشرق. وبما أن لبنان بلد منفتح على العالم، وعلاقاته التجارية مع الخارج ناشطة بسبب موقعه الجغرافي، فقد ساعد هذا الأمر في انتشار التيارات الفكرية الوافدة لدى أبنائه[3].

---

1) طه الولي: مرجع سابق، ص 209.

2) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، شركة فرج الله للمطبوعات، بيروت، ص 177.

3) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية، دار النهار، بيروت، ط3، 1979، ص 46.

لذلك عمدت إستانبول إلى تنبيه الولاة الذين كانت ترسلهم إلى بيروت، لإيلاء أمر التعليم في المناطق التي تحت إدارتهم العناية اللازمة، حرصًا على إبقاء الرأي العام العربي، لا سيّما المسلم، داخل الإطار الفكري للدولة العثمانية، فاستجاب الولاة لهذا التوجه الرسمي وأخذت بيروت منذ ذلك الحين تحظى بحصّة الأسد من المدارس الحكومية الرسمية التي كان أولئك الولاة يفتحونها باسم السلطان العثماني، وتحت شعار الدولة العثمانية و"صولجانها"[1]. وهذا الاهتمام الذي ظهر في الدولة العثمانية بالنسبة لفتح المدارس في ولاية بيروت وغيرها من الولايات العربية، إنما كان نتيجة الملاحظات المتكّررة التي أبداها المسؤولون في تقاريرهم الرسمية[2].

ومن ذلك ما كتبه مدحت باشا الذي أرسل في هذا الموضوع تقريراً قال فيه:"... ومع سابق معرفتي بهذه البلاد، فقد وجدت الحالة متغيّرة عن ذي قبل[3]، فقد صبغت أحوال الولاية (سورية) الاجتماعية والسياسية بصبغة غير صبغتها الأولى، لأن الإنكليز والفرنسيين يبذلون مساعيهم منذ زمن لتقوية نفوذهم في هذه البلاد، وقد أوصلوا جبل لبنان إلى حالته الحاضرة، وهم يحاولون إيصال بقية البلاد الشامية إلى ما وصل إليه الجبل، والدولة تنظر إليه بعين المقلد. فالأمريكان يريدون إعلان حمايتهم لجبل النصيرية فيفتحون المدارس ويشوّقون الأهالي لقبول الحماية الإمريكية، والألمان يرسلون مهاجريهم إلى سواحل القدس لإسكانهم في القرى المجاورة. والخلاصة كلّ دولة تريد أن تضع يدها على قطعة من برّ الشام، والخلل سائر في البلاد وليس ثمّة اسم للعلاج. وجرائد أوروبا تكتب المقالات تلو المقالات مظهرة سوء المغبّة، وقام المستعمرون الذين أنشأوا المدارس في برّ الشام طالبين الاشتراك في إقتسام السلب"[4].

1) الصولجان: كلمة عربية تعني العصى التي يمسك بها الملك أو السلطان.

2) طه الولي: مرجع سابق، ص 210.

3) إشارة إلى أن مدحت عمل ككاتب في ولاية سورية لأكثر من سنتين (سنة 1865م).

4) قدري قلعجي: مدحت باشا: أبو الدستور وخالع السلاطين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1958، ص 78 – 79.

والجدير بالذكر، أنّه لمّا قامت الدولة العثمانية بافتتاح المدارس في المناطق الإسلامية لتعميم العلم في أوساط المسلمين، أظهر النصارى المحليون امتعاضهم لما سمّوه محاباة الدولة لأبناء دينها – أي المسلمين – ولمّا نقلوا احتجاجهم إلى مدحت باشا لعدم افتتاح المدارس في مناطقهم، أجابهم – مدحت باشا – بأنّ النصارى يلاقون من أبناء ملّتهم الأجانب الرعاية الكافية في هذا الميدان، أمّا المسلمون فليس لهم من يهتمّ بهم سوى الدولة، وأياً ما كان، فإنّ تعليم المسلمين يخدم جميع الرعايا العثمانيين، لأن ذلك يؤدّي إلى ارتفاع المستوى العلمي لدى الجميع، وإن اختلفت مصادر التعليم بين أجنبية وعثمانية[1].

وفي ذلك يقول مدحت باشا:" وأوّل ما وقع عليه نظري في تلك الولاية هو أنّ مسلميها قد فشا بينهم الجهل ما عدا العلماء، والسبب في ذلك سياسة الدول الأجنبية في مصر وفي الشام، لأنّ تلك الدول تفتح المدارس بأموالها وتمدّها بقوتها فيتعلم فيها أبناء المسلمين. وكانت مدارس الإفرنج تتقدم كلّ يوم تقدّماً يلمس باليد، وليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية يقرأ فيها الأحداث القرآن الكريم، فكنت أفكر في أمر تعليم أبناء المسلمين وإصلاح مدارسنا"[2].

أمّا المعاهد العثمانية فقد كانت في جميع الأقطار العربية حتّى أواخر القرن التاسع عشر من نوع المدارس الدينية التقليدية، فمنها معاهد تعليمية عرفت باسم "الكُتّاب" خاصة بالصغار، وتهدف إلى تعليم العلوم الدينية والشرعية المختلفة مع بعض "العلوم الآلية" الضرورية. وقد كانت هذه المعاهد التعليمية الصغيرة والكبيرة منتشرة في جميع أنحاء البلاد، وكان معظمها ملحقاً بالمساجد والجوامع العامة، وبعضها مستقلاً عنها في مبانٍ مشيّدة لهذا الغرض مع مساجد خاصة بها. وبقي التدريس في هذه المعاهد التعليمية الصغيرة والكبيرة يسير وفق أساليب قديمة لم تتغيّر أو تتطوّر منذ قرون

---

1) طه الولي: مرجع سابق، ص 210.

2) يوسف كمال بك حتاتة: مدحت باشا (حياته – مذكراته – محاكمته)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 49.

عديدة، ولم تأخذ أدنى حظّ في التقدّم الكبير الذي كان قد حصل في أوروبا وفي عاصمة السلطنة العثمانية، في مختلف ميادين العلم والتعلم.

وفي النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، وإثر الاحتكاك الذي أخذ يشتدّ بين الشرق والغرب – كما أسلفنا – تنبّه القادة والمفكّرون في الدولة العثمانية إلى عدم كفاية هذا النوع في التعليم وضرورة إدخال بعض العلوم العصرية، وإنشاء معاهد جديدة لتدريس العلوم العصرية وفق النظم الحديثة، كما تركّزت سياستها التعليمية الجديدة في العمل على إنشاء المدارس العسكرية إثر الحروب التي كانت تقوم بينها وبين الدول الأوروبية، والتي أخذت تنتهي بهزائم مهينة ممّا لم يترك مجالاً للشك أمام المفكرين العثمانيين بأنّ ذلك مردّه إلى تطور في نظام الحرب ووسائلها في البلاد الأوروبية. فأُدخلت العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخ والجغرافيا إلى بقيّة المدارس الإعدادية العسكرية والملكية بغية تقدّم الفنون العسكرية[1].

والمدارس التي أنشأتها الدولة العثمانية، سواء في بيروت نفسها أو في بقية المدن السورية، كان يطلق عليها اسم "المدارس السلطانية" وذلك إشارة، إلى أنّها تابعة لصاحب العرش السلطاني العثماني. والمدرسة الأولى التي أنشأتها الدولة العثمانية في بيروت كانت "الدار العسكرية" ومَنْ أمر بإنشائها هو السلطان عبد المجيد الأوّل والد السلطان عبد الحميد الثاني، وكان افتتاح هذه المدرسة سنة 1269هـ-1852م[2].

ثمّ توالى افتتاح المكاتب العسكرية، حيث تمّ إنشاء المكتب الرشدي العسكري عام 1874م في عهد والي سورية راشد باشا، وبتبرّعات مجالس بلدية الولاية، ولا سيّما مجلس بلدية بيروت، لكنّه استخدم أوّل الأمر لنزول المسافرين، إلى أن أعيد متصرّف لواء بيروت رائف بك إلى منصبه، فسعى لدى مشير الفرقة الخامسة العسكرية السلطانية

---

1) إكمال الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعيداوي، إستانبول، 1999م، الجزء الثاني، ص503-595.

2) طه الولي: مرجع سابق، ص 211.

عزت باشا للحصول على أمر سلطاني بتحويل المبنى إلى مدرسة حربية رشدية، على أن يُخصّص لها من خزينة الحكومة ومن واردات المجلس البلدي في المدينة المبالغ اللازمة لرواتب المدرّسين فيها. وتمّ افتتاح المكتب رسمياً سنة 1294هـ-1877م[1].

واهتمت الحكومة العثمانية بافتتاح المدارس الصناعية لتزويد الصنائع بالخبراء أملاً بالنهوض بها وتطويرها، بينما كانت مدارس الصنائع تواصل انتشارها في الولايات العثمانية منذ تولّي مدحت باشا منصب الصدارة العظمى 1293-1294هـ، 1876-1877م، كانت بيروت تفتقر إلى هذا النوع من المدارس الرسمية، في حين أقام السيدان داعوق وعرداتي مدرسة خاصة سنة 1309هـ-1892م لتعليم الإناث الخياطة والحبك، وتعليم الذكور من أبناء بيروت فنون التجارة وصناعة الأحذية والحدادة وصبّ الحديد والصياغة والدهانة[2].

وقد تأخّر إنشاء مكتب الصنائع الحكومي حتى عام 1325هـ-1907م، حيث تشكّلت لجنة للإشراف على أعمال بنائه[3]. وكان يضمّ هذا المشروع الضخم أربع منشآت متجاورة وهي: المدرسة، والمستوصف الخيري، والجامع المحاذي للمستوصف، والحديقة المواجهة للمدرسة[4].

6- بيروت في بداية مسيرتها مع التعليم العصري:

بقيت بيروت خلال قرون طويلة خالية من أي مؤسسة علمية تستحق الاهتمام إلى أوائل القرن التاسع عشر. وحتى ذلك الزمن كان الراغبون في طلب العلم من البيروتيين قابعين "بفك الحرف" في الكتاتيب الصغيرة داخل الدكاكين التجارية التي كان يديرها أشباه المتعلمين، أو بالأصح "أشباه الأميين" وأكثرهم من المكفوفين، ومن كانوا ذا سعة من

---

1) سوسن آغا قصاب وخالد تدمري: بيروت والسلطان 200 صورة من محفوظات عبد الحميد الثاني (1876-1909)، بالتعاون مع بلدية بيروت، منشورات تراب لبنان، ص62

2) المرجع نفسه، ص 62.

3) ثمرات الفنون: العدد 1608، ربيع الأول 1325هـ-2 نيسان 1907م.

4) طه الولي: مرجع سابق، ص 213.

الطلاب، يسافرون إلى الخارج، أو يلوذون بأروقة المعابد الدينية، كالمساجد والزوايا والأديرة والكنائس، حيث يلتمسون على أيدي الشيوخ والكهنة ما يروي ظمأهم إلى المزيد من الثقافة والمعرفة في حدود ما كان متداولاً من العلوم في ذلك الحين بما يؤهِّلهم لأن يكونوا في المستقبل أئمة في المساجد أو رهباناً في الكنائس من دون أن يتطلعوا إلى ما هو أبعد من ذلك.

وفي السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، بدأت بعض المؤسسات المدرسية تظهر في بيروت، بيد أنّ هذه المؤسّسات لم تكن لأهل البلد يد فيها من قريب أو بعيد، وإنّما أنشأتها الهيئات الأجنبية التي قدمت من الأقطار الأمريكية والأوروبية.

والجدير بالذكر أنّ الذي دفع هؤلاء الأجانب إلى إنشاء المدارس في بيروت خلال تلك الفترة، هو رغبتهم في الدعوة إلى مذاهبهم الدينية بعد أن هيأت لهم الظروف ذلك. ومن هذه الظروف:

1- تتميز هذه الفترة بتأثير المدنية الأوروبية في الحياة الثقافية في لبنان. وذلك من خلال تأسيس المطابع والصحف وتشكيل الجمعيات. وكانت بيروت في تلك الفترة آخذة بالتوسع والازدهار، فأصبحت مركزاً تجارياً وصناعياً، يقصدها الأوروبيون والسوريون وأهالي جبل لبنان، كما أصبحت مركزاً للقنصليات الأجنبية، ومركزاً للإرساليات التبشيرية والتعليمية من فرنسية وأمريكية وإنكليزية[1].

2- نتيجة تسامح السلطنة العثمانية، وجد المبشّرون والأقليات فيها مجالاً خصباً لنشاطاتهم في العالم العثماني، ولم تجد الجمعيات التبشيرية التابعة لدوائر الدول الغربية أي صعوبة في إقامة مدارس تبشيرية في مختلف أرجاء الدولة العثمانية، حتّى إنّ بعضها أقام مدارس من دون أن يكلّف نفسه

1) فيليب حتي: تاريخ لبنان، دار الثقافة بيروت، 1972، ط2، ص 516-517.

بالحصول على موافقة الحكومة العثمانية، وغدا قسم منها خافياً على الدولة، إذ نجد أن وزير المعارف "زهدي باشا"، ذكر في التقرير الذي قدّمه إلى السلطان عبد الحميد الثاني، أنّه من غير الممكن إعطاء إحصائية دقيقة عن المدارس والمؤسسات التبشيرية في الدولة. ويتابع الوزير أن عدد مدارس الأقليات 4547، منها 4049 مدرسة غير مرخّصة، أمّا الباقية فهي مجازة، ممّا يعني أنّ عدد المدارس المجازة 498 مدرسة[1].

لذلك نشطت الحركة التربوية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وساعدت في تنمية الحركة الفكرية والثقافية. والمعروف أنّ لبنان يتميّز بتعدّد طوائفه، لذلك يلاحظ أن كل طائفة أخذت تسعى إلى إنشاء مدرسة خاصة لتعليم أبنائها، وخاصة بعد إنتشار الإرساليات التبشيرية بشكل جلي، فتعددت لذلك المدارس وتنوعت إتجاهاتها.

7- المدارس الأجنبية (الإرسالية):

كان الأميركان أسرع من غيرهم في انتهاز الفرص واستغلال الوضع المتأرجح في الدولة العثمانية آنذاك، فبادروا إلى التحرّك في الاتجاه الملائم لمصالحهم الثقافية وغير الثقافية، معتمدين على الجمعيات الدينية في أميركا التي كانت متحمّسة لنشر المذهب الإنجيلي. وفي سنة 1819م حلّ في بيروت قسّ أميركي اسمه "بليني فسك" "Pliny Fisk"، موفداً من قِبل المجمع الأميركي للإرساليات الأجنبية، وكان "فسك" أوّل مُرسل أوفدته الجمعيات التبشيرية في أميركا لكي يؤسّس في هذه المدينة مدرسة تتولى تعليم أبناء البلاد، اللغة الإنكليزية إلى جانب مهمّتها الأساسية، وهي نشر المذهب الإنجيلي بين المواطنين. وقد تبع "فسك" كلّ من إسحاق بيرد Isaac Bird"، و"وليم غودل William Goodell". وفي سنة 1825م افتتح القس إسحاق أوّل مدرسة تبشيرية في بيروت، وهي أول مدرسة أجنبية عرفتها هذه المدينة، وفي سنة 1830م أنشات زوجة إسحاق مدرسة ثانية بالقرب من المدرسة التي أسّسها زوجها، حيث كانت هذه المدرسة للإناث، وتقوم هي بتدريسهن. وبعد

---

1) فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، مرجع سابق: ص 420.

بضعة أعوام حذت السيدة"أليز طومسن"، زوجة القس "وليم طومسن" حذو السيدة "بيرد"، وفتحت بيتها لاستقبال ثماني بنات كانت تدرسهن فيه. وبقي تعليم البنات على هذه الحال إلى عام 1834م. وفي هذا العام قدمت إلى بيروت السيدة "سارة سميث"، حيث تولّت السيدة المذكورة أمر تنظيم تدريس البنات في بناء مستقل، وأنجزت بناءً للمدرسة سنة 1835م، فعُدَّ هذا العام عام التأسيس، وعُرفت المدرسة يومئذٍ باسم "مدرسة بيروت للإناث"، وكان عدد تلميذاتها 40 تلميذة، وكانت أوّل مدرسة لتعليم البنات في بيروت وفي سائر الولايات العثمانية[1].

وفي أوائل سنة 1842م قدم إلى بيروت الدكتور "هنري دي فرست" مع زوجته، وافتتحا مدرسة جديدة فيها على أن تكون مخصّصة للبنات من دون الذكور. وفي سنة 1862م عُقد في أميركا مؤتمر ضمّ المهتمين بشؤون التعليم التبشيري برعاية "المجمع الأميركي للإرساليات الأجنبية"، واتّخذ المجتمعون قراراً بالموافقة على إنشاء كلّية تبشيرية ببيروت. وفي 14 أيار 1864م وافقت الحكومة الأميركية على هذا القرار. وعندما افتتحت الكليّة أبوابها للدراسة يوم 16 تشرين الأول 1866م كانت بناء مؤلّفاً من أربع غرف، وعدد تلاميذها 16، معظمهم من جبل لبنان، وفي سنة 1921م أصبحت الكليّة السورية جامعة[2].

وبدأت طلائع التبشير في بلادنا تتوافد على العالم الإسلامي منذ القرن الرابع عشر على شكل موجات من الرهبان والراهبات الدومنيكان والفرنسيسكان، إلى مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام، بدعوى افتتاح المدارس والمستوصفات والمستشفيات، ثم لحق بهم العازاريون والكبوشيون والكرمليون، وكانت الكاثوليكية أولى الإرساليات في الشام منذ القرن السادس عشر، ممثلة بـ"الكبوشيين وراهبات الأرض المقدسة واليسوعيين"، مستهدفين جذب أتباع المذاهب المسيحية الأخرى إلى الكاثوليكية، وإيجاد أتباع وكنائس

---

1) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، ط2، 1978، ج4، ص 396. راجع أيضًا طه الولي: مرجع سابق، ص216.

2) طه الولي: مرجع سابق، ص 216-217.

كاثوليكية داخل الطوائف الأرثوذكسية والأرمنية والسريانية والنسطورية. وكان اليسوعيون قد أسّسوا مدارس لهم في بيروت وغزير وزحلة ودمشق، وبانتقال مدرسة غزير إلى بيروت 1875م، تحوّلت إلى جامعة القديس يوسف اليسوعية[1].

وفي سنوات العقد الثالث من القرن التاسع عشر قدم إلى بيروت الآباء العازاريون، كما قدمت في ذلك الوقت جمعيات الراهبات التي نشطت في تأسيس مدارس للبنات في مختلف أنحاء المدينة. وفي سنة 1846م شرعت راهبات القديس يوسف بإنشاء مدارس داخلية وخارجية ومياتم ومؤسسات خيرية في بيروت وصيدا وصور وحمّانا وغيرها من المناطق اللبنانية. وبسبب الفتنة الطائفية التي افتعلها الأوروبيون بين الدروز والنصارى سنة 1860م في جبل لبنان، تقلّص نشاط البعثات التعليمية، وبعدها سيطرت الدولة العثمانية على الموقف، وأعادت الهدوء إلى المناطق المضطربة. ولمّا لاحظ الأجانب أنّ علاقتهم بأبناء البلاد بدأت تتّسم بظاهرة الشك وعدم الثقة، أوعزوا إلى نفر من الوطنيين الذين تخرجوا من الإرساليات الأجنبية، بأن يفتحوا مدارس أهلية. وكان أولئك الأجانب يضعون مناهج هذه المدارس، ويحدّدون الكتب التي يدرسها التلاميذ ليضمنوا إبقاءهم في إطار التعليم التبشيري الذي قدموا إلى هذه البلاد من أجله. وبعد حين يعمدون إلى وضع أيديهم على المدارس المذكورة، ثم يلحقونها بمؤسساتهم بصورة مباشرة[2].

وفي تلك الفترة، فإنّ الألمان شاؤوا أن يدلوا بدلوهم في محاولة لتأكيد حضورهم التعليمي إلى جانب الإرساليات الأجنبية التي سبقتهم إلى الاستقرار في سورية. فلمّا كانت سنة 1860م قدمت إلى هذه البلاد "جمعية الراهبات البروسيانيات" وأُسّسن مركزاً لهن في صيدا. ولمّا هدأت الفتنة الطائفية بين الدروز والنصارى في جبل لبنان، نقلن هذا المركز إلى بيروت. وفي سنة 1868م قدمت من "ليون" جمعية راهبات الناصرة اللواتي أسسن سنة

---

1) د. موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض والسلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار البيارق، بيروت، ط8، 1996، ص 165-166.

2) طه الولي: مرجع سابق، ص223.

1871م مدرسة دير الناصرة، بمحلة ضهور الأشرفية المطلّة على بيروت. وفي تلك الفترة وبعدها بقليل، قدمت إلى بيروت راهبات القلب المقدّس، وراهبات العائلة المقدّسة، وراهبات مريم كلية الطهارة، وجمعية أخوة المدارس المسيحية (الفرير) وجمعية الروح القدس. وجميع هذه الإرساليات الأجنبية، رجالاً ونساءً، كانت في الغالب من الفرنسيين، وغايتها التبشير بالديانة المسيحية، متوسّلة بالتعليم تارة وبالخدمات الطبية والاجتماعية تارة أخرى مع الاهتمام في الوقت نفسه بالتصدي لنشاط الإرساليات الإنجيلية الأميركية والإنكليزية[1].

ومجمل القول، إنّ ساحة التعليم في بيروت، خلال القرن التاسع عشر لا سيما في نصفه الأول، كانت مسرحاً يكاد يكون موقوفاً على المدارس الأجنبية فقط، التي خلا لها الجو لإرساء قواعد الثقافة الغربية قبل أن تنتبه السلطات العثمانية وتبادر إلى التعاون مع أبناء هذه البلاد في إنشاء المدارس الحكومية والأهلية، كي لا يبقى المواطنون العرب عيالاً على الإفرنج في هذا الميدان الحسّاس.

وإذا لم يكن بدّ من كلمة أخيرة تعكس وجهة نظرنا في الآثار التي ترتبت على وجود المدارس الأجنبية في بلادنا، فلا حرج في القول إنّ هذه المدارس ينطبق عليها القول المأثور:"رُبَّ ضارةٍ نافعةً"، ذلك أنّ نشاط الإرساليات الأجنبية أثار في أوساط المسؤولين من الحكّام العثمانيين وفي الزعماء المحليين على حد سواء، الشعور بخطر الغزو الثقافي الأجنبي، وأيقظ فيهم الوعي القومي، وحملهم على النزول إلى ساحة التعليم، وإنشاء المدارس على أُسس عصرية جديدة، كي يساعدوا المواطنين على الاحتفاظ بشخصيتهم الفكرية الأصلية، واللحاق بركب المدنية الحديثة لمواجهة المستقبل مزّودين بالثقة بأنفسهم والقدرة على التطوّر والتقدم.

---

1) طه الولي: مرجع سابق، ص 225.

8- المدارس الأهلية المسيحية:

إنّ الطوائف المسيحية في بيروت وجبل لبنان، تهيأ لها الاحتكاك بالحضارة الغربية الحديثة قبل المسلمين. وكان ذلك أمرًا طبيعيًا ومنطقيًا، فبين مسيحي الغرب ومسيحي الشرق وحدة حال من الناحية الدينية، وهذا الأمر أدّى بصورة عفوية إلى وجود رابطة اجتماعية وثقافية بين الطرفين، أثمر على المستوى التعليمي مبادرة المسيحيين المحليين إلى محاكاة نظرائهم الغربيين في الدين، وبخاصة في أسلوب إنشاء المدارس على الطريقة الأوروبية العصرية.

وأقدم المدارس المسيحية الوطنية هي تلك التي أنشأها المعلم بطرس البستاني، بمساعدة المبشّرين الأميركان الذين لم يبخلوا بخبرة رجالهم وسخاء أموالهم، وبالكتب المدرسية التي ترجموها وألّفوها بما يتلاءم وأغراضهم التبشيرية وطبعوها بمطابعهم. وشرَّعت المدرسة الوطنية أبوابها لجميع أبناء الوطن من دون تمييز في الدين أو في المنطقة أو الطبقة الاجتماعية. وفي سنة 1863 جرى افتتاح هذه المؤسسة تحت اسم:"المدرسة الوطنية"[1].

ثمّ توالى إنشاء المدارس للطوائف المسيحية، فأُسّست سنة 1864م المدرسة السريانية على أيدي القسّ السرياني "لويس الصابونجي"[2]. وقد أوردت جريدة "ثمرات الفنون" معلومة عن هذه المدرسة:"يوم السبت الماضي كانت نهاية الفحص النصفي لتلامذة مدرسة السريان في بيروت، فسر من حضر بنجاحهم، وكان رئيس المدرسة المعلم "مخائيل درويش""[3].

1) جرجي زيدان: مرجع سابق، ج4، ص 396.

2) طه الولي: مرجع سابق، ص 230.

3) ثمرات الفنون: العدد 101، 15 ربيع الأول 1294هـ/الموافق 17 إذار 1877م.

وأُنشئت مدارس وطنية أخرى، منها المدرسة البطريركية للروم الأرثوذكس في بيروت عام 1866م[1]. وكان يجرى فحص التلاميذ فيها أمام ملأ من الناس:"يوم الأربعاء الماضي كان تمام فحص تلامذة المدرسة البطريركية للروم الأثوذكس في بيروت وتوزيع الجوائز على مستحقيها"[2]. وفي سنة 1866م نقلت مدرسة "ثلاثة أقمار" الأرثوذكسية من سوق الغرب إلى بيروت[3]. وفي سنة 1822م أنشأت الطائفة الأرثوذكسية مدرسة "زهرة الإحسان"، وكانت هذه المدرسة للبنات[4]. وفي سنة 1887م أنشئت أولى المدارس المسكوبية (الروسية) في بيروت، وكانت هذه المدرسة تتلقى مساعدة من قِبل الحكومة الروسية القيصرية[5].

وفي سنة 1875م أنشأ الإكليروس الماروني "المدرسة المارونية" بجهود المطران يوسف الدبس، مطران الطائفة المارونية في بيروت، وبعد مدّة استغنى عن هذا الاسم، وسُمّيت "مدرسة الحكمة"[6].

وبالإضافة إلى المدرسة المارونية، فقد أنشأت الطائفة المارونية جمعية لعمل الخير ومساعدة الفقراء:"قد سررنا بما بلغنا من تأليف جمعية حديثة للطائفة المارونية في بيروت تحت رياسة صاحب السعادة نعوم أفندي، وأعضاؤها من أعيان الطائفة المذكورة، علاوة على ما لها من الجمعيات التي من جملتها جمعية "مار منصور" وموضوعها الإحسان إلى الفقراء وتفقّدهم، والنظر إلى انتعاش أحوالهم، نظير الجمعية الخيرية لطائفة الروم الأرثوذكسية التي نجحت في أعمالها، وبقيت سارية في ما عهد منها على قدم الاستقامة

1) جرجي زيدان: مرجع سابق، ص 398.
2) ثمرات الفنون: العدد 119، 15 ربيع الثاني 1294هـ/الموافق 15 نيسان 1877م.
3) طه الولي: مرجع سابق، ص 231.
4) المرجع نفسه: ص231.
5) المرجع نفسه: ص 231.
6) جرجي زيدان: مرجع سابق، ص 398.

والنجاح مع ضيق الوقت وعسر الحال، وأملنا أن يكون لنا جمعية عمومية لجميع أنواع الفقراء غير جمعية عيال الرديف، التي لا ننكر مساعيها وجهدها في إسعاف تلك العيال"[1].

قام الدروز بإنشاء مدارس لهم، ومنها المدرسة الداوودية في جبل لبنان[2].

ولم يقتصر الأمر على المسيحيين والدروز بإنشاء مدارس وجمعيات تعنى بالفقراء، بل انتقل ذلك إلى جميع الطوائف، فها هي الطائفة اليهودية تدلي بدلوها أيضًا في هذا المجال:"يسرّنا أن نعلن أنّ الطائفة الإسرائيلية في بيروت قد باشرت بفتح مدرسة عمومية لأبنائها تشمل تعليم اللغة العبرانية والفرنساوية والإيطالية والعربية مع اللغة التركية، وإتقان الخط وعلم الحساب ومسك الدفاتر، وجعلوا مركزها في محلة الأشرفية وهي وطنية، أي للإقامة والمنامة، وقد نشروا إعلاناً يتضمّن قوانين المدرسة وشروطها واصطلاحتها، متمنّين نجاح هذا المشروع الذي هو في الحقيقة خدمة للوطن، وإن كانت مختصة بأبناء طائفتهم"[3].

وهكذا نجد أنّ الطوائف المسيحية كانت سبّاقة إلى افتتاح المدارس في لبنان. أمّا مدارس المسلمين فيصفها الفجر الصادق:"أمّا الطائفة الإسلامية فإنّها كانت غافلة عن ذلك خمس عشرة سنة، مقتصرة من المدارس على بعض زوايا مهجورة مملوءه بالعفونة والرطوبة، ممّا يضرّ بصحّة الأولاد، ومن المعلّمين المشايخ العميان الذين لا ننكر فضلهم لأنهم قاموا بواجباتهم على قدر استطاعتهم. ومن الأطباء على أناس من الحلاقين والحجّامين. وبقيت محرومة من الفوائد التامة بالمدارس الملقّبة بالعمومية، لأنّ مبادىء تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي من وجوه معلومة، كيف يشترط في بعضها على التلاميذ الخضوع لدين المدرسة"[4].

---

1) ثمرات الفنون: العدد 144، 27 محرّم 1295هـ/الموافق 19 كانون الثاني 1878م.

2) ثمرات الفنون: العدد 165، 27 جمادي الثانية 1295هـ/الموافق 15 حزيران 1878م.

3) ثمرات الفنون: العدد 10، 19 جمادي الأولى 1292هـ/الموافق 1 حزيران 1875م.

4) الفجر الصادق: البيان السنوي لجمعية المقاصد، 1297هـ، ص4.

9- بداية إنشاء المدارس الأهلية الإسلامية:

كان عبد القادر قبّاني، وعبر جريدة ثمرات الفنون، يحثّ المسلمين بصورة دائمة على افتتاح المدارس الإسلامية، واقتفاء أثر مدارس الطوائف الأخرى:"قلت، من يخلع أهلنا عن مناكبهم رواء العار والكسل ... وإذا لم نتأسَ بالجار من عموم الطوائف، فيستغني أولادنا عن الغير ونأمل غوائل الحوادث، لا سيما إنشاء مدرسة للبنات، التي هي ألزم لصونهن ممّا يختلج في الأفكار كثيراً، وقد نادانا بذلك مراراً وتكراراً، وندبنا أهل الغيرة والحميّة، وأسمعنا (لو وجدنا من يسمع)، وأملنا أن يُجاب نداؤنا وتزال شكوانا"[1].

ولم يتوقف القبّاني عبر جريدة ثمرات الفنون عن حثّ الطائفة الإسلامية على إنشاء مدارس لأبنائهم أسوة ببقية الطوائف في بيروت:"في هذه الأيام من الأسبوع الماضي كان فحص المدارس في بيروت لجميع الطوائف المسيحية على اختلافها، وقد أصبحت بيروت في مقدّمة هذه المدارس ونموّها. ولم تبقَ طائفة في بيروت إلاّ وأنشأت مدرسة أو مدرستين لأبنائها بمساعيها واجتهادها إلاّ طائفتنا الإسلامية. فإنّ كثيرًا من أولادنا يلعبون في الطرقات ويطوفون في الشوارع، يتعلّمون قلّة الأدب لعدم وجود مدرسة لنا يأوون إليها. وطالما أنشأت الثمرات فصولاً في ذلك، وحضّت أصحاب الغيرة والحميّة على تدارك هذا الأمر بإنشاء مدرسة يكون بها سداد من عوز، ولا يُخفى أنّ المكتب الرشدي العسكري الذي افتتح حديثاً في بيروت لا يمكن كلّ ولد من الدخول إليه يعلم من نظامه، فالمدرسة لا تقبل إلاّ من تعلّم القراءة البسيطة، وكثيراً ما حصلت المذاكرة لإنشاء مدارس بتحريض من الثمرات، لكن بدون نتيجة، فنسأل الله تعالى أن يقيضّ لنا من تستفزّه الحميّة والغيرة الدينية لإنشاء مدارس لنا"[2].

ويرى بعض الكتاب والمؤرّخين أنّ سبب تخلّف المسلمين أو تأخرهم باللحاق بركب ترقي العلوم، يعود إلى الدولة العثمانية نفسها التي كانت المسؤولة الأولى عن دينهم

---

1) ثمرات الفنون: العدد 54، 3 ربيع الأول 1293هـ/27 نيسان 1876م.

2) ثمرات الفنون: العدد 211، 20 محرّم 1296هـ/1 كانون الأول 1879م.

ودنياهم، لأنّها تأخّرت كثيراً عن افتتاح المدارس في الولايات العربية. أمّا عن السبب الأول، فقد قامت بما يتوجّب عليها تجاه المسلمين في هذا الموضوع، إذ لم تقصّر في نشر الدين الإسلامي وحماية المسلمين والبلاد الإسلامية، فاهتمّت بجميع نواحي دينهم، ودافعت عن الدين والعرض والشرف.

أمّا السبب الثاني، فقد يرى البعض أنّ تأخرّ المسلمين أو "تخلّفهم" في اللحاق بركب التعليم، فمردّه إلى الدولة العثمانية، فهي لم تهتمّ بترقّي العلوم – حسب بعضهم – أو تولي العلوم العناية الكافية، لهذا نقول: إنَّه لا يمكن أن نعزوَ أسباب "تخلّف" المسلمين عن ترقي العلوم في بيروت والولايات العربية إلى الدولة العثمانية لوحدها، إنّما يعود الأمر إلى عدة عوامل، فأسباب "تقصير" الدولة العثمانية في فتح المدارس في الولايات العربية، فمردّه إلى عدة عوامل منها:

1- كانت الدولة العثمانية دولة عسكرية، فطيلة عهدها حروب متتالية، فلم تعرف طعم الراحة منذ تأسيسها حتى سقوطها. بدءاً من حروبها ضد دول البلقان واليونان والنمسا وعموم دول أوروبا، وظهور روسيا على مسرح الأحداث الدولية، والتي أرادت أن تقاسم الدولة العثمانية السيادة على البحر الأسود ودول البلقان، إلى الثورات المتعاقبة لدول البلقان، طبعاً بدعم روسي بالدرجة الأولى وأوروبي بالدرجة الثانية، إلى حروب نابليون بونابرت ووصوله إلى عكا، ولا ننسى حروب محمّد علي باشا، ووصول جيوش ابنه إبراهيم باشا إلى كوتاهيه في تركيا.
2- تركت الدولة العثمانية أمر التعليم للطوائف والملل، فنرى أنّ جميع الطوائف قامت بإنشاء العديد من المدارس، إلاّ الطائفة الإسلامية التي تأخّرت في إنشاء المدارس. حتّى كانت سنة 1295هـ/1878م عندما قامت مجموعة من أهالي بيروت الغيورين على الطائفة الإسلامية بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، التي أخذت على عاتقها نهضة المسلمين العلمية.

3- كانت المدارس الإرسالية منتشرة بكثرة في بيروت، فخافت العائلات البيروتية المحافظة من ارسال أبنائها إلى هذه المدارس، من مغبة تغريبهم ومحاولة التأثير على عقولهم، وربّما "تنصيرهم"[1]. أمّا الفتاة فلم يكن يُسمح لها بالخروج من المنزل إلاّ في الحالات القصوى.

4- ومن الأسباب التي أدّت إلى إحجام المسلمين عن تلّقي العلوم الحديثة، أنّ المسلم لم يكن همّه إلاّ أن يتعلم ابنه القرآن الكريم، ويرتله على أيدي الشيوخ العميان "البصائر".

5- وهناك سبب أخير أدّى إلى تأخّر المسلمين في طلب العلم، إنما يعود إلى العقلية التي كانت تتحكّم بغالبية الأهالي، والتي كانت تعدّ من العار عليها أن ترسل أبناءها لطلب العلم، وغايتها في ذلك كسب الرزق[2]. في حين أنّ الطوائف الأخرى قد أوجدت لها نوافذ ثقافية أطلّت منها على حضارة الغرب ومدنيته عن طريق المدارس التي فتحتها البعثات التبشيرية في بلادنا. لهذه الأسباب وجد المسلمون أنفسهم متأخّرين عن غيرهم في هذا الميدان الحيوي.

أمّا مقولة أنّ الدولة العثمانية لم تولِ العلم أهمية، فهذا محض افتراء، لأنّها اهتمت بإنشاء المدارس منذ نشأتها، بالرغم من أنّها كانت دولة عسكرية. فهذا السلطان محمد الفاتح الذي كان محبّاً للعلم والعلماء، اهتم ببناء المدارس والمعاهد في جميع أرجاء دولته. وكان السلطان أورخان أوّل من أنشأ مدرسة نموذجية في الدولة، حيث انتشرت المدارس والمعاهد في بورسة وأدرنة وغيرها من المدن.

ولقد فاق محمد الفاتح أجداده في هذا المضمار، وبذل جهوداً كبيرة في نشر العلم وإنشاء المدارس والمعاهد، وأدخل بعض الإصلاحات في التعليم، وأشرف على تهذيب المناهج

---

1) طه الولي: مرجع سابق، ص 231 – 234.

2) أنيس الأبيض: الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى بداية الإنتداب الفرنسي، رسالة أُعدت لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، الجامعة اللبنانية، 1980، ص 10-16.

وتطويرها، وحرص على نشر المدارس في كافة المدن الكبيرة والصغيرة، وكذلك في القرى، وأوقف عليها الأوقاف العظيمة. ونظّم هذه المدارس ورتّبها على درجات ومراحل، ووضع لها المناهج، وحدّد العلوم والمواد التي تدرّس في كل مرحلة، ووضع لها نظام الامتحانات[1].

وبعد أن لاحظت الدولة العثمانية تفوّق الأوروبيين عليها في بعض التقنيات الحربية، وبعد عدد من الهزائم التي مُنيت بها الدولة العثمانية قرّرت هذه الأخيرة إدخال التعليم المدني إلى جميع فروع المدارس بما فيها الحربية والبحرية، وخصوصاً علم الحساب والجغرافيا، وفي مرحلة متقدّمة علم الهندسة للاستفادة منه في القصف المدفعي وتنظيم الجيوش[2].

ونعود إلى التعليم في بيروت في القرن التاسع عشر، حيث كان يقتصر بين المسلمين على تعليم القرآن الكريم وبعض الخط على يد "الكتّاب" أو ما كان يعرف في ذلك الحين "بالخوجاية" أو "الشيخة" نسبة للخوجا وللشيخ بمعنى واحد، الأولى بالتركية والثانية بالعربية. والآن نقول إنَّ أكثر الكتاتيب كانت بمثابة مدارس قرآنية لغاية تعليم القرآن فيها. وكان يُعلم فيها ويديرها العميان من الشيوخ الذين كانوا يُعرفون عند الناس "بالبصراء"، وذلك أن العرب كانت تسمي الأعمى بصيراً من باب التفاؤل، والكلمة نفسها تحمل المعنيين، وذلك معروف في اللغة العربية.

وكثيراً ما كان الموسرون من أبناء بيروت يستحضرون المشايخ البصراء إلى منازلهم ليعلّموا أبناءهم لا سيما إذا كان هؤلاء الأبناء من الفتيات وذلك مراعاة لتقاليد ذلك العصر التي تقضي بعدم ظهورهن خارج منازلهن.

ربما يُفاجأ أبناء زماننا – والكلام لعبد القادر قبّاني – "إذا أخبرناهم بأنّ أجدادهم من أهل القرن التاسع عشر كانت مدارسهم في الحوانيت التجارية داخل أسواق

---

1) علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط: دار البيارق، بيروت، ط1، 1999م، ص 221 – 228.

2) إكمال الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ص 503 – 595.

بيروت القديمة، وبعضها كان إلى جانب أبواب المساجد. ففي هذه الدكاكين كان يتعلم أولاد المسلمين الكتابة والقراءة ومبادىء الحساب". ويستذكر عبد القادر قباني بعض ذكرياته في مجلّة الكشاف إذ يقول:"وكان بعض أصحاب هذه الكتاتيب، لا همّ لهم إلاّ أن يختم الطالب القرآن الكريم، ليتناولوا "المعلوم" أي المكافأة التي كانوا يسمّونها "الحلوانة" ونسميها نحن "البخشيش" من الوالدين"[1].

وقد ذكرنا من قبل أنّ التعليم في المدارس على الطريقة العصرية، بدأ على يد الإرساليات الأجنبية التي كان همّ رجالها الأول، التبشير الديني عن طريق التعليم. تبعهم بعد ذلك بعض المسيحيين المحليين الذين أنشأوا المدارس الخاصة بهم، ثم مضى على آثارهم الولاة العثمانيون الذين افتتحوا المدارس الحكومية – طبعاً في بيروت – أمّا المسلمون البيروتيون فلم يبدأوا بفتح المدارس على الطريقة العصرية إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر، وكان ذلك بهمّة الشيخين: محمد الحوت وعبد الله خالد؛ والذي حمَل هذين الشيخين على التفكير بإنشاء المدارس بمفهومها الحديث وعدم الإكتفاء بالتدريس في المساجد، أنّ بعض أبناء العائلات البيروتية العريقة جاء إلى الشيخ عبد الله خالد، ولفت نظره إلى خطر وقوع أولادهم تحت تأثير المبشّرين في المدارس الأجنبية، الذين كانوا يستغلّون وجود هؤلاء الأولاد في مدارسهم، لتحويلهم من الديانة الإسلامية إلى الديانة المسيحية. وبعد أن استمع الشيخ المذكور إلى هذه الملاحظة، بحضور بعض زملائه العلماء، اصطحب عدداً من هؤلاء العلماء، ودخل بهم على والي الإيالة، ولفتوا نظره إلى هذا الأمر، وما يتولّد عنه من سوء المغبّة والخطر على دين الناشئة المسلمين، فاهتمّ الوالي بما سمع واتّصل بإستانبول لهذا الطلب، وعلى الأثر عمد الشيخ عبد الله خالد إلى اختيار جامع النوفرة لهذا الغرض، واتخذ من بعض الغرف الواقعة في الجهة الشرقية من هذا الجامع

1) عبد القادرقباني: الكشاف، المجلّد الأول، مطبعة وزنكرغراف طبارة، بيروت، العدد 2، السنة الأولى 1345هـ/1922م، ص87.

مكاناً للمدرسة التي كانت الأولى من نوعها عند مسلمي بيروت، وكان ذلك في أواسط القرن التاسع عشر[1].

10- جمعية الفنون:

إنّ المدرسة التي أُسّست في جامع النوفرة قد حرّكت همم المسلمين من أجل تطوير المؤسسات التعليمية في بيروت، ودفعها للحاق بالمستوى الذي بلغته مدارس النصارى الأجنبية منها والأهلية، وقد شعر المسلمون في ذلك الوقت بحاجتهم إلى المزيد من المدارس، نظراً لنموّ عددهم في هذه المدينة، ولما كانوا يرونه من أنّ بقية مواطنيهم من الطوائف الأخرى سائرون في تحسين مدارسهم القديمة واستحداث مدارس جديدة.

ومن الأسباب التي دعت إلى تأسيس جمعية الفنون، أنّ الحاج محمد المكوك كان في دكانة يُعلّم الكتابة والحساب، ويكتب لبعض التجّار في هذا السوق ولغيرهم دفاتر البيع والشراء، ثم جاء من مصر الشيخ محمد اليافي فأخذ يعلّم أمام باب الجامع العمري الخط والحساب. ولمّا كان الأهالي من المسلمين في زيادة مستمرة، فقد ظلّوا بحاجة إلى المدارس، مع أنّ الحكومة فتحت المدرسة الرشيدية الملكية ثم المدرسة الرشيدية العسكرية. وكانت جريدة "البصيرة" التركية، وهي ذات مكانة في إستانبول، نشرت فصلاً ذكرت فيه تقدّم بيروت العلمي والأدبي، وأسفت على أنّه لم يكن للمسلمين نصيب فيه. فحرّك هذا التحريض الحميّة والغيرة الوطنية في نفس السري الفاضل الحاج سعد حمادة، وهو يومئذٍ رئيس محكمة التجارة، ففاوض من توسّم فيهم الهمّة والإقدام، وألّف معهم "جمعية الفنون الإسلامية"، وكان هو ناظرها والعلامة الشيخ يوسف الأسير رئيسها. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ألّف شركة مساهمة من أعضاء الجمعية لتأسيس مطبعة ونشر جريدة هي "ثمرات الفنون"، وأخذ لها ولمطبعتها الامتياز باسم عبد القادر قبّاني. وصدر العدد الأول منها في 15 ربيع الأول سنة 1292هـ/نيسان 1875م، وكان من غايات الجمعية الاهتمام بفتح المدارس، ونشر المعارف، إلاّ أنّ مرض الحاج سعيد حماده وموته دفنت معه

---

1) طه الولي: مرجع سابق، ص 234.

مشاريعه، وثم استقل عبد القادر قباني بالجريدة والمطبعة بشراء جميع الأسهم. وكانت الجريدة لا تترك مناسبة من دون أن تحضّ المسلمين على فتح المدارس ونشر العلم[1]. وكانت جمعية الفنون بمثابة البذرة الأولى لتأسيس الجمعيات الخيرية وفتح العديد من المدارس.

وبدأت الدولة العثمانية تزيد في تأسيس المدارس الحكومية في ولاية بيروت، بناء على تقارير ولاتها ومديرية معارف بيروت، ومنها ما أرسله مدير معارف بيروت، وممّا جاء فيه:"إلى وزارة المعارف الجليلة، حيث لا توجد مكاتب ابتدائية بقدر كافٍ في بيروت حتى الوقت الحالي، تكفي للطلبة الذكور والإناث، مع العلم بأن المكاتب الأجنبية كثيرة هناك. ينبغي أن تكثر الإدارة العثمانية من المكاتب الابتدائية حتّى لا يذهب أطفال المسلمين من الجنسين إلى المدارس الأجنبية"[2].

وحرصًا من الطائفة الإسلامية على أبنائها من التغريب، بادر الأهالي إلى توجيه عدد من الرسائل إلى السلطات العثمانية للمبادرة فورًا إلى تأسيس مدارس إسلامية، للوقوف في وجه الإرساليات والمدارس الأهلية المسيحية:"إلى الجناب الشريف بوزارة المعارف العمومية: بسبب كثرة المؤسسات الأجنبية في بيروت والمدارس المخصّصة لغير المسلمين، ويريد الطلبة المسلمون التقدّم لها، ولا يجدون مكانًا لهم، قام السيّد صاحب العزّة من أصحاب الفضل والعرفان عبد القادر أفندي (قباني) وصاحب الكرم عباس أفندي (الأزهري) بتأسيس المدرسة الرشيدية الابتدائية، وينتظران الحصول على رخصة[3].

---

1) عبد القادر قباني: الكشاف، مرجع سابق، ص 86 – 87.

2) B.O.A: B.E.O: 54/39072/1

3) B.O.A: MF.KMT: 302/45

الفصل الثاني

تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية

1- أسباب التأسيس.

2- تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.

3- علاقة جمعية المقاصد بجمعية الفنون.

4- هل لمدحت باشا علاقة بتأسيس جمعية المقاصد في بيروت؟

5- قضية عزل عبد القادر قبّاني عن رئاسة الجمعية.

6- تأسيس المدارس.

7- النظام الداخلي.

8- مالية الجمعية.

9- علاقة جمعية المقاصد في بيروت مع غيرها من الجمعيات الخيرية في ولاية سورية.

10- مساعدة الفقراء والمحتاجين.

1- أسباب التأسيس:

شعر المسلمون في بيروت، لا سيما في القرن التاسع عشر، بخطورة الغزو الأوروبي والثقافي والسياسي والعسكري، الذي بدأ يجتاح مدينتهم والمناطق اللبنانية. ولم يكونوا يعانون التخلف العلمي والحضاري، فهم ورثة الحضارة الإسلامية العربية، التي أنارت ظلام أوروبا في العصور الوسطى، غير أنهم اعتمدوا في أمورهم على الدولة العثمانية (التي أنهكتها الحروب المتتالية) كونها دولة الخلافة، وهي الدولة الإسلامية المسؤولة ديناً ودنيا عن أوضاعهم، ولمّا وجدوا المسلمون تقصيراً لدى الدولة العثمانية في اللحاق بركب العلوم، وخطرًا أمام أطماع الدول الأوروبية، ارتأوا أنّه لا بدّ من مواجهة الأخطار الفكرية والسياسية والعسكرية، فبدأوا يشعرون بأهمية الاعتماد على الذات، والتمويل الذاتي، لمواجهة خطر المشروعات الأوروبية والمحلية الداعية إلى تغريب "تنصير" أبناء المسلمين، مقدّمة لتنصير المدينة، وتغيير معالمها، ولإيجاد أجيال تدين بالولاء للغرب.

وحول دعم ومساعدة أوروبا للطوائف المسيحية في بيروت ولبنان، فقد نبّه الشيخ عبد القادر قباني إلى خطورة الموضوع في صحيفة "ثمرات الفنون":"إنّ أوروبا لم تتجشم هذه المشاق، وتعرف تلك المعارف رحمة بالشرق ولا رأفة بأهل الشام، وإنّما رغبت أن تجعل لمشروعها السياسي حزباً لها يتغذى بمحبّتها صغيراً، فإذا كبر انتشر في البلاد، وكان عونًا لها على مساعيها"[1].

وكان عبد القادر قبّاني أوّل من حمل لواء الدعوة لافتتاح المدارس لأبناء المسلمين في بيروت، عبر جريدة ثمرات الفنون:"قلت إنّ جميع الطوائف في بيروت، عملت على افتتاح مدارس بمساعي أوّلي الخير والحميّة والغيرة من أبناء طوائفهم ذات نفع عام وفوائد كثيرة. فنتأمل من أولي الحمية والغيرة من أبناء طائفتنا المسلمين أن يرفعوا عنّا حمل العار

1) ثمرات الفنون: العدد 203، 3 ذو الحجة 1295هـ/28 تشرين الثاني 1878م.

بتأسيس مدرسة نظير إحدى تلك المدارس، يدرّسن فيها أنواع اللغات والفنون من العلوم النافعة، بحيث يكون ذلك محكم الترتيب منتظم الفوائد"[1].

ولم يفتر القباني عن الدعوة إلى إفتتاح المدارس:"لم تبق طائفة في بيروت حتّى أنشأت مدرسة أو اثنتين، لمساعدة أبنائها، إلاّ طائفتنا فإنّ كثيراً من أولادنا يلعبون في الطرقات، ويطوفون في الشوارع، يتعلمون قلّة الأدب لعدم وجود مدرسة لنا، يأوون إليها، ويمتنعون بها عن مزاولة أسباب الشقاء"[2].

ومن الأسباب الداعية إلى تأليف جمعية المقاصد ما جاء في الفجر الصادق:"أنّ الطوائف المختلفة أخذت تؤلف جمعيات خيرية، وتفتح المدارس لأبنائها جاعلة رأس مالها مساعدات أولي البر والإحسان في طوائفها، ومساعدات الأجانب المالية، واعتنت بالأماكن المناسبة لتدريس أبنائها، فاستحضرت المعلمين المختصين لتعليم اللغات الأجنبية، وأهتمّت أيضًا بالعلوم المفيدة كالطبّ والجراحة حتّى نبغ منهم العديد، فعملوا على نشر المطابع والجرائد. أمّا الطائفة الإسلامية فقد غفلت مدة طويلة عن هذا التقدّم العلمي، فيما كانت أحوال مدارسها سيئة، وأماكن التدريس فيها تسيء إلى صحة الأولاد. أمّا المعلمون فكانوا من المشايخ والعميان، وكان الأطبّاء من الحلاّقين والحجامين. وهذا ما دفع أبناء المسلمين إلى ترك هذه المدارس والإنجذاب نحو مدارس ومكاتب الطوائف الأخرى"[3].

وقد دعا الفجر الصادق إلى أن تكون هذه الجمعيات الخيرية، جمعيات وطنية، حتّى تعمّ الفائدة لجميع أبناء الوطن، ودعا الفجر الصادق إلى نبذ الطائفية:"هذا الأمر كاد يقضي على الوطن العزيز بالمرض العضال، لأنّ تأخر الطائفة الإسلامية الأكثر عدداً يؤثر

---

1) ثمرات الفنون: العدد 101، 15 ربيع الأول 1294هـ/29 إذار 1877م.

2) ثمرات الفنون: العدد 211، 20 محرّم 1296هـ/1 كانون الأول 1879م.

3) الفجر الصادق: مرجع سابق، ص 3.

في تقدّم غيرها. لذلك لزم جعل الجمعيات الطائفية عمومية، ذات مقصد واحد لينتفع مجموع جسم الوطن لأنّ تقوية عضو دون آخر ينشئُ التباين والتنافر"[1].

ويصف الفجر الصادق حال المسلمين، وحال الطوائف الأخرى، وكيف أنّ تلك الطوائف سبقت المسلمين بكثير في إنشاء الجمعيات الخيرية والمدارس، وكيف كانت حال مدارسهم مقارنة مع مدارس المسلمين:"لا يخفى على ذي بصيرة من أبناء الوطن أنّه منذ مدة ليست بقصيرة، أخذت الطوائف المختلفة الموجودة فيه تؤلّف جمعيات خيرية تقوم بمصالحها اللازمة، كافتتاح مدارس للذكور والإناث يتعلّمون فيها أنواع العلوم والمعارف واللغات، جاعلة واردات أوقافها المضبوطة بيدها رأس مال لأعمالها، مستندة على ما يتبرّع به أولّو البر والإحسان من طوائفها وعلى مساعدات الأجانب المالية، وقد خصّصت للابتدائية من هذه المدارس الأماكن المناسبة، وللداخلية القصور العالية، واستحضرت لها معلمين بارعين ووجّهت خواطرها في الدرجة الأولى إلى تعليم أولادها لغات الأجانب الذين لهم مع بلادنا الاتصالات التجارية........فما مضت مدّة على سيرها بهذه الطريقة إلاّ وقد انتشرت بينها أشعة شموس تلك العلوم والمعارف واللغات، فأهتدى أبناؤها بأنوارها إلى إيجاد المطابع ونشر الجرائد وتطبيب المرضى الفقراء .... ولمّا كانت تلك الجمعيات طائفية محضة، كانت أعمالها الخيرية أيضًا، فلم تتخطَّ دائرة طائفة غيرها. أما الطائفة الإسلامية فإنّها كانت غافلة"[2].

2- تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية:

قبل الحديث عن تأسيس جمعية المقاصد لا بدّ من الإشارة إلى أنني سافرت إلى عاصمة الخلافة العثمانية إستانبول مرّتين، وتحديداً إلى الأرشيف العثماني بغية الحصول على فرمان تأسيس الجمعية أو الوثائق العائدة لها إلاّ أنّني لم أوفّق في العثور على فرمان التأسيس أو الإرادة السنيَّة، ومردّ ذلك إلى الفترة القصيرة التي مكثتها في إستانبول، والأمر

1) المرجع نفسه: ص 5.

2) المرجع نفسه: ص 4-7.

الآخر هو عدم أرشفة جميع الوثائق الموجودة لدى، رئاسة مجلس وزراء العثماني. لذلك فأنا لا أستطيع أن أؤكّد أو أنفي وجود فرمان بتأسيس الجمعية، ولكن لن أترك الأمر، فسأحاول السفر مرّة أخرى إلى إستانبول، ربّما أستطيع الحصول على الفرمان إن كان موجودًا، ولكن استطعت الحصول على بعض الوثائق العائدة إلى جمعية المقاصد في بيروت وظفرت بعددٍ لا يُستهان به من الوثائق العائدة لجمعية المقاصد صور، طرابلس الشام وصيدا، وعدد آخر يعود إلى عزل عبد القادر قبّاني من مديرية معارف ولاية بيروت.

ولكن خلال سفري الثاني إلى إستانبول تأكّدت من وجود بيورلدي[1] بتأسيس الجمعية، وذلك من خلال إحدى الوثائق حيث جاء فيها:"... إنّ بيورلدي تأسيس الجمعية الصادر عن الدولة يقضي باعتبار هذه الجمعية منذ ابتداء تأسيسها، على أنّها جمعية تأسّست من أجل تنوير وتدريس وتعليم الأطفال"[2].

وفي سنة 1292هـ/1875م كانت مدينة بيروت لا تزال متصرفية تابعة لولاية سورية، حين أصدرت إستانبول فرمانًا شاهانيًا بتعيين مدحت باشا واليًا على سورية، ورائف بك أفندي متصرّفًا على متصرفية بيروت بصورة خاصة، ذلك أن مدحت باشا ورائف بك كانا من أنصار الأفكار الحديثة ومن الغيارى على نشر المعرفة وإشاعة التعليم في البلاد، واشتهر مدحت باشا بلقب أبي الدستور. وكان في بيروت يومئذٍ نائب أي قاضٍ اسمه الشيخ عبد الله جمال الدين، وهذا الأخير لم يكن يختلف عن الوالي والمتصرف من حيث نزعته الإصلاحية وتطلّعاته التعليمية، **وهكذا تعاون الجميع على إعادة الروح إلى "جمعية الفنون" ولكن باسم جديد وهو "جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية"**[3].

وقد ورد خبر التأسيس في كتاب عن حياة مدحت باشا على الشكل التالي:"عندما تولّى مدحت باشا ولاية سورية فكّر بإصلاح المدارس وقدّمها، كما يقول في مذكراته، على

---

1) بيورلدي: هو قرار يصدر عن الوالي وليس فرمان يصدر عن الدولة العلية.

2) B.O.A: DH.UMUM: 69/2.

3) طه الولي: مرجع سابق، ص 236.

كلّ إصلاح، وشكّل لذلك جمعية من العلماء أخذت تجمع الإعانات من المحسنين، وأصلحت هذه الجمعية بعض المساجد، وحوّلتها إلى مدارس للأحداث. ولمّا كان أهالي الشام يميلون إلى بثّ روح التعليم، **فقد ألّفوا جمعية سمّوها "جمعية المقاصد الخيرية" انتشرت فروعها في جميع أنحاء الولاية**"[1].

أمّا في كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة لإكمال الدين إحسان أوغلي، فقد ورد خبر التأسيس كما يلي:"وفي بلاد الشام، كانت بدايات تلك الجمعيات التعليمية "الجمعيات الخيرية" التي دعا إلى إنشائها والي سورية العثماني المصلح "مدحت باشا" سنة 1878 هـ/1879م، عندما أراد التوسع في نشر المكاتب الابتدائية في الولاية، وكان يعيقه عدم توافر المال اللازم. وفي الوقت ذاته كان راغبًا في إنشاء مدارس إسلامية محلية في مواجهة الإرساليات الأجنبية. وبالفعل تشكّلت تلك "الجمعيات الخيرية الإسلامية" في بلاد الشام، وأسهم فيها عدد وفير من علماء دمشق وأعيانها، **وجُمعت التبرعات لغرض إنشاء تلك المدارس ونجحت في مهمتها. وفي عام 1878م كان هناك ثماني جمعيات موزّعة في دمشق، وبيروت، وطرابلس، واللاذقية، وعكا، ونابلس، وجنين، وصيدا**"[2].

وفي كتاب لـ "علي حيدر مدحت" كُتِب باللغة العثمانية:"إنّ الإصلاح يتطلّب تقديمه على كلّ شيء في سبيل ذلك من إنشاء الجمعيات الخيرية المنتخبة من بعض الثروات من أرباب الحميّة، ومن أجل إيجاد وإقامة وتشكيل مثل هذه الجمعيات، فإنّ مدحت باشا أقدم سنويًا على تقديم كلّ إعانة ممكنة، .... **علاوة عليه فقد تشكّلت جمعية باسم المقاصد الخيرية من نخبة من شخصيات أهالي بيروت وذوي الحميّة منها، وفي**

---

1) مدحت باشا: تعريب كمال حتاتة: مرجع سابق، ص 49.

2) إكمال الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ص 429 – 430.

الختام تشكّلت فروع تابعة لها في جميع الأقضية: طرابلس وصيدا وعكا، فأخذت جميعها تتسابق في ما بينها في إبداء صرحها ومسؤلياتها على صعيد تقديم المساعدات"[1].

وقمت بعرض خبر التأسيس بالاستناد إلى بعض المراجع والمصادر، وسأتولّى تحليل الخبر، لأصِل إلى حقيقة مفادها: هل كان لمدحت باشا علاقة بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت؟.

أمّا جريدة لسان الحال فقد ذكرت الخبر نقلاً عن جريدة ثمرات الفنون إذ قالت:"قد سررنا لما ذكرته ثمرات الفنون من أنّ الطائفة الإسلامية في بيروت قد **أقامت جمعية سمّتها جمعية المقاصد الخيرية، وموضوعها تفقّد أحوال الفقراء، وإيجاد مدارس للذكور والإناث**[2].

أمّا ما جاء في الكشّاف على لسان الشيخ عبد القادر قبّاني وهو أحد مؤسسي الجمعية وأوّل رئيس لها، فهذا نصّه:"إزاء هذه الأحوال، وإزاء صرخات جريدة ثمرات الفنون، وتشكّي الكثير من المسلمين من سوء أحوال أولادهم، وإحساس الأمّة الإسلامية بلزوم تأليف جمعيات لها تخدم مبادئها، تحرّكت همم الشباب المسلم مستمدّين العون من الله، ومسترشدين بنصائح أولي الفضل من أعيان الوطن، أمثال رائف باشا متصرّف بيروت، وجمال أفندي قاضي بيروت، اللذين ساعدا على إنجاح تلك الفكرة، **فتأسّست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت سنة 1296هـ[3] لخدمة المعارف الإنسانية**[4].

وفي ذلك يروي الفجر الصادق خبر التأسيس كما يلي:"وهكذا اتحدت الهمم الشبابية في بيروت على **تأليف جمعية إسلامية خيرية، فتم ذلك بالمساعدات الإلهية،**

---

1) علي حيدر مدحت: مدحت باشا، مرآت حيرت، ترجمة سوسن آغا قصاب، جلد 1، هلال مطبعة سي، إستانبول 1325هـ، ص209-210.

2) لسان الحال: العدد 88، 16 رمضان 1295هـ/31 و12 أيلول 1878م.

3) أعتقد أن عبد القادرقباني وقع في خطأ تاريخي، لأن جميع المراجع تؤكّد أن تأسيس الجمعية كان سنة 1295هـ.

4) عبد القادرقباني: الكشاف، مرجع سابق، ص 87.

ليلة غرة شعبان المعظم لسنة خمس وتسعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية، حيث اجتمعنا نحن أعضاءها العجزة في منزل أحدنا السيد عبد القادر قبّاني، وهناك تلا علينا أحدنا الشيخ سعيد الجندي الأحاديث الشريفة النبوية الآمرة بلزوم الاتحاد لخدمة الأمور الخيرية، فتعاهدنا على ذلك، ووضع كلّ منّا ما ألهمهُ الله من النقود رأس مال لصندوقها، وكتبنا لها بتعليمات على شكل قانون لترتيب داخليتها واجتماعها ومذكراتها وربط أمورها، وقدّمنا بذلك عريضة لجانب الحكومة السنيَّة واستدعينا مساعداتها ليحيط علمها بعملنا الخيري، كما أننا بادرنا لطبع تلك التعليمات وعرضها على الحكومة والأمّة، وبعد القبول والاتكال على الله سبحانه وتعالى يسر الخير باشرنا بالأعمال"[1].

وفي مذكّراته، يقول سليم علي سلام عن التأسيس ما يلي:"رأى البعض من ذوي الغيرة والحمية حاجة ماسة إلى تأليف جمعية إسلامية تعنى بشؤون الطائفة الإسلامية على الخصوص تعليم أبنائها، **فألّفوا هذه الجمعية بالسنة المذكورة 1296هـ**[2]. وكان ذلك بزمن متصرفية رائف باشا الذي أخذ على عاتقه تأسيسها، حتّى حضر والياً على ولاية سورية مدحت باشا، وكانت بيروت يومئذٍ متصرفية تابعة لولاية سورية، فبذل عنايته بمساعدتها[3].

أمّا جريدة ثمرات الفنون فقد أوردت الخبر كما يلي:"قد سرّنا أنّا حصلنا على ما تمنيناه عند أبناء الطائفة الإسلامية في بيروت، **وذلك أنّه قد تألفت جمعية من خمسة وعشرين شاباً من الأهالي، انتخب منهم الرئيس وأمين الصندوق والكاتب وسمّيت "بجمعية المقاصد الخيرية"** للذكور والإناث بما يكون به سداد من عوز وكلّ أمر خير دون المداخلة في الأمور السياسية، وقد شاهدنا الغيرة التامة في هيأة هذه الجمعية بما يتعلق

---

1) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 7.

2) خطأ وقع فيه سليم علي سلام، لأن التأسيس كان سنة 1295هـ.

3) حسان حلاق: مذكرات سليم علي سلام (1868هـ – 1938م)، الدار الجامعية، 1981، ص 118.

بأمورها، فنثني على غيرتهم، كما نتشكر ممّن يمدّ يد الإسعاف لمساعدتها إذا كانت غايتها النفع العمومي لا غير. وقد صممت بتوفيق الله أن يكون باكورة أعمالها افتتاح مدرسة للإناث في أقرب وقت، يتعلّمن فيها أصول التهذيب والقراءة وما يمكن تعليمه من أشغال اليد"[1].

إذا في ليلة من غرة شعبان 1295 هـ/1878م كان التأسيس، وكان منزل الشيخ عبد القادر قبّاني يضمّ نفراً من الشبان هم بحسب الحروف الهجائية: أحمد دريان، بشير البربير، بديع اليافي، حسن بيهم، حسن الطرابلسي، حسن محرم، خضر الحص، راغب عز الدين، سعيد الجندي، سعيد طرباه، طه النصولي، عبد الله الغزاوي، عبد القادر سنو، عبد اللطيف حماده، عبد الرحمن النعماني، محمود خرما، محمد دية، محمود رمضان، مصطفى شبارو، محمد الفاخوري، محمد اللبابيدي، مصباح محرّم، محمد أبو سليم المغربل، هاشم الجمال[2].

إنّ الأعضاء المؤسّسين للجمعية هم أفراد لم يكونوا متساوين ثقافة ووعياً، ولكنّهم تساووا إيماناً وإخلاصاً ومروءة. وأوّل عمل قاموا به فور تأليفهم الجمعية في تلك الليلة، انتخابهم عبد القادر قبّاني رئيساً لها وبشير البربير أمينًا للصندوق ومصباح محرّم كاتباً لها[3].

وبعد مرحلة التأسيس صدر البيان التأسيسي الأوّل لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، وممّا جاء فيه:"حمداً لله من يسرتنا لتأليف جمعية تقوم بمقاصدنا الخيرية. وكلّ ميسّر لما خلق له، وشكراً يا من وفّقت أعمالنا بنياتنا الخالصة الطوية، والأعمال بالنيّات، وثناء عليك منا بما أوليتنا من نجاح وهمم راضية مرضية. ولكلّ أمرهما نوى. فظهرنا بمظهر قولك (وتعاونوا على البر والتقوى)، مخلصين لك الأقوال والأفعال في السر

---

1) ثمرات الفنون: العدد 181، الإثنين 12 رمضان 1295هـ/19 أيلول 1878م.

2) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 23.

3) إيمان محي الدين المناصفي: الشيخ عبد القادر القباني وجريدة ثمرات الفنون، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2008، ص 23.

والنجوى. لا أمل لنا إلاّ بوعدك (وما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله، والله لا يضيّع أجر المحسنين). وصلاة وسلامًا دائمين متلازمين على من أعلن مقاصدنا بقوله (الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) أفضل أنبيائك سيدنا محمد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، القائل (الخلق كلّهم عيال الله وأحبّهم إليه أنفعهم لعياله) وعلى آله وأصحابه السادة الأماجد الذين أسسوا جمعياتهم على خير المقاصد"[1].

ومن أهمّ مبادىء جمعية المقاصد:"... إنّ بعض مؤسسي جمعية الفنون، وحرصًا منهم على روحية الائتلاف قد قاموا سوية في السابق بتأسيس مشروع سوف يكون في البداية لبيروت بمفردها، غير أنّ تأثيره سوف يصل إلى كلّ البلدات الإسلامية فيما بعد، وهو مشروع من أجل دعم ومساندة خدمة، هي ترقية المعارف على الوجه الأحسن، ومن أجل ذلك كان تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. ولقد أظهر المؤسسون لهذه الجمعية وفي مقدّمتهم رئيسها ومنذ البداية: المحافظة على الطهارة والوجدان والصدق والاستقامة فكانوا الأوائل من بين أبناء الأمة في محبّتهم لوطنهم، ولذلك عملوا على إزالة الظروف السيئة رغم صعوبة هذا العمل في بيروت ومحيطها"[2].

ومن أهداف الجمعية أيضًا:"... لقد تشكّلت الجمعية المسمّاة جمعية المقاصد الخيرية وتنظمت كجمعية محلية تقوم باستيفاء وجمع واردات محليّة من أجل عملها المشكور في تكثير عدد المدارس الإسلامية الابتدائية وتحقيق مقصد الإصلاح"[3].

وجاء خبر التأسيس في وثيقة عثمانية أخرى وهي مؤرّخة في العام 1914-1915م أي بعد التأسيس، 36 عاماً من تأسيس جمعية المقاصد حين ورد ما يلي:"لقد تشكّلت في بيروت العام 1292هـ جمعية تنويرية الجمعية المسمّاة (جمعية المقاصد الخيرية) حيث تشكلت كجمعية إسلامية يعود إليها استملاك أماكن ومؤسسات ومدارس كانت تابعة

1) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 2.

2) B.O.A: ŞD nic, nec:1320/25.

3) B.O.A: MF, MKT: 1138/64.

للمعارف للتعليم، يجب تسليمها إليها، ولذلك قامت وزارتنا الجليلة بتبليغ ولاية بيروت القرار الصادر بذلك، والقاضي بأنّ المدارس والمؤسسات السالفة الذكر تنحصر عائداتها لصالح الجمعية المذكورة، حيث يرصد ريع أوقاف[1] من خلال قيام علاقة وارتباط مع الجمعية بأفضل طريقة ممكنة... وأمّا البحث في عائدات الجمعية المذكورة من مبانٍ ومدارس وغيرها، فقد تولّى حمل أعبائها كلٌ من: (محمد بيهم) وكذلك مبعوث ولاية بيروت (سليم سلام)"[2].

وجاء في وثيقة أخرى عن خبر التأسيس، وهي مؤرّخة في 10 أيار 1914م، أنّ مدحت باشا كان وراء تأسيس هذه الجمعية، وممّا جاء في الوثيقة:"في سنة 1292هـ[3] قام أبو الأحرار مدحت باشا بتشريف ورعاية تأسيس جمعية علمية خيرية وهي جمعية المقاصد الخيرية التي قام بتشكيلها خيرة من أشراف بيروت، وأسّس هؤلاء هذه الجمعية من منطلق كونهم جماعة من أهل الحميَّة والجرأة، وانطلق هؤلاء في هذه الجمعية برعاية الوالي المذكور حيث اعتمدوا على تأمين واردات لها بشكل حسن، وعلى السعي والغيرة في استخدام هذه الواردات من أجل فتح المدارس وتأسيسها على نحو حسن"[4].

3- علاقة جمعية المقاصد بجمعية الفنون:

وقبل التطرق إلى إشكالية مهمّة، وهي هل لمدحت باشا علاقة في تأسيس جمعية المقاصد؟ وما مدى العلاقة التي تربط الجمعية بالوالي العثماني إن كان مدحت باشا أو حمدي باشا أو غيرهما؟ لا بدّ من تسليط الضوء على نقطة لا تقلّ أهمية عن النقطتين السابقتين، وهي: هل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية هي امتداد لجمعية الفنون؟ والتي كان الحاج سعد حمادة ناظرها والشيخ يوسف الأسيررئيسها، والتي أصدرت جريدة ثمرات الفنون، والتي كان امتيازها باسم عبد القادر قباني؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية، فإنّنا لا

1) أنشئت لخدمة التعليم.

2) B.O.A: DH.UMUM: 69/ 2.

3) أيضًا خطأ كبيروقعت فيه الوثيقة لأن مدحت باشا تولى ولاية سورية في تشرين الثاني عام 1878م/1295هـ.

4) B.O.A: DH.UMUM: 69/2

نملك الدليل القاطع إلاّ من خلال ما أورده الشيخ طه الولي وعصام شبارو، وما أوردته إحدى الوثائق العثمانية، لكن مع كلّ هذه المصادر والمراجع لا نستطيع أن نؤكّد أو ننفي أنَّ جمعية المقاصد هي امتداد لجمعية الفنون، وسنعرض وجهات النظر لهذه المراجع والمصادر، ثم دراستها، علّنا نصل إلى مقاربة تعطينا فكرة عن هذه العلاقة.

يقول عصام شبارو في كتابه "جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت" ما يلي:"... يخطئ من يظنّ أنّ جمعية الفنون التي ضمّت عشرة أعضاء من بينهم يوسف الأسير، والشيخ عبد القادر قباني، وكانت برئاسة سعد الله حماده، ورئيس محكمة التجارة، هي التي مهدت لتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. ومردّ هذا الخطأ إلى أن جمعية الفنون أصدرت جريدة ثمرات الفنون، وكانت إجازتها الرسمية باسم الشيخ عبد القادر قباني الذي ما لبث وأن اشترى الجريدة ومطبعتها بعد وفاة رئيسها سعد الله حماده وحلّ الجمعية ليشارك في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، وبعد تأسيس جمعية المقاصد ترأس القباني جمعية المقاصد لمدة سبعة أشهر"[1].

أمّا الشيخ طه الولي فيقول:"... وكان في بيروت يومئذٍ نائب أي قاضٍ اسمه الشيخ عبد الله جمال الدين، وهذا الأخير لم يكن يختلف عن الوالي والمتصرف من حيث نزعته الإصلاحية وتطلعاته التعليمية، وهكذا تعاون الجميع على إعادة الروح إلى جمعية الفنون، ولكن باسم جديد وهو جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية"[2].

أمّا الوثائق العثمانية فقد أوردت الخبر كما يلي:"... إنّ بعض مؤسسي جمعية الفنون، وحرصًا منهم على روحية الائتلاف قد قاموا سوية في السابق بتأسيس مشروع سوف يكون في البداية لبيروت بمفردها. غير أنّ تأثيره سوف يصل إلى كلّ البلدات

1) الدكتور عصام محمد شبارو: جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت (1295 - 1421هـ/1878 – 2000م)، دار مصباح الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2000م، ص 30.

2) طه الولي: مرجع سابق، ص 236.

الإسلامية فيما بعد، وهو مشروع من أجل دعم ومساندة خدمة، وترقية المعارف على الوجه الأحسن، ومن أجل ذلك كان تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية"[1].

إذا نحن أمام ثلاث روايات: فالرواية العثمانية لم تؤكّد ولم تنف علاقة جمعية الفنون بجمعية المقاصد، بل اكتفت بالقول إنَّ بعض مؤسسي "جمعية الفنون" حرصاً على روحية الائتلاف قد قاموا... إلى آخر الوثيقة، وكأننا نستدلُّ أنّه من خلال هذه الوثيقة كان هناك رابط ما بين جمعية الفنون وجمعية المقاصد. أما الروايتان الأخريان، فتجعلنا أمام روايتين متناقضتين، فالأولى تنفي أي علاقة لجمعية الفنون بجمعية المقاصد، فالمبررات التي يسوقها عصام شبارو عن نفيه لأي صلة بين الجمعيتين هي ضعيفة، فهو يردّ أمر النفي إلى أنّ جمعية الفنون أصدرت جريدة ثمرات الفنون والتي كانت إجازتها – أي الجريدة – باسم عبد القادر قباني، والسبب الآخر هو أن القباني اشترى الجريدة بعد وفاة ناظرها الحاج سعد الله حماده. فلا بدّ أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع، ما المانع من أن يكون القباني أحد أعضاء الجمعية – جمعية الفنون – وتصدر الجريدة باسمه. وما هو المانع من أن يشتري القباني الجريدة بعد وفاة رئيسها سعد الله حماده، فالنفي الذي يسوقه شبارو ليس مبرّراً لنفي علاقة جمعية الفنون بجمعية المقاصد. وما المانع من أن يكون بعض الأعضاء، أعضاء في جمعية الفنون، وفي الوقت نفسه قد أصبحوا أعضاء في جمعية المقاصد؟ فمثلاً نجد أنّ الشيخ عباس الأزهري كان خلال فترة معيّنة عضواً لجمعية المقاصد في بيروت، وكان عمدة للكلية العثمانية التي أشرف على تأسيسها. إنّ شبارو يسوق مبرّرًا آخر وهو أنّ جمعية الفنون قد أُغلقت بعد وفاة الحاج سعد الله حماده، فإنّني لا أرى هذه الأسباب موجبة للنفي الذي يسوقه شبارو من أنّ جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت هي امتداد لجمعية الفنون، لذلك فأنا أميل إلى رواية الشيخ طه الولي، الذي يرى أن جمعية المقاصد هي امتداد لجمعية الفنون.

1) B.O.A: ŞD nic, nec: 1320/25.

4- هل لمدحت باشا علاقة بتأسيس جمعية المقاصد بيروت؟

أولاً سأعرض الروايات التي تحدّثت عن علاقة مدحت باشا بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية، وسأعمل ثانية على دراسة هذه المعلومات مستعينًا بالحجج والبراهين والدليل الواضح.

ففي الكتاب الذي أشرف عليه إكمال الدين إحسان أوغلي وعنوانه:"الدولة العثمانية تاريخ وحضارة"، جاء فيه:"وفي بلاد الشام، كانت بدايات تلك "الجمعيات الخيرية" التي دعا إلى إنشائها والي سورية العثماني المصلح "مدحت باشا" سنة 1878-1879م عندما أراد التوسع في نشر المكاتب الابتدائية في الولاية، وكان يعيقه عدم توافر المال اللازم، وفي الوقت ذاته كان راغبًا في إنشاء مدارس إسلامية محليّة في مواجهة الإرساليات الأجنبية، **وبالفعل تشكلت تلك "الجمعيات الخيرية الإسلامية" في بلاد الشام، وأسهم فيها عدد وفير من علماء دمشق وأعيانها، وجمعت التبرعات لغرض إنشاء تلك المدارس، ونجحت في مهمّتها. وفي عام 1878م كان هناك ثماني جمعيات موزّعة في دمشق، بيروت، وطرابلس، واللاذقية، وعكا، ونابلس، وجنين، وصيدا**[1].

وفي كتاب مدحت باشا: حياته - مذكراته – محاكمته، جاء خبر التأسيس كما يلي:"قدمت إصلاح المدارس – يتكلم مدحت باشا عن نفسه – على كلّ إصلاح، وشكّلت جمعية من العلماء، وجمعت الإعانات من ذوي المروءة، فأصلحت بها بعض الجوامع وجعلتها مدارس للأحداث، وأدخلت في كلّ مدرسة 150 تلميذاً أو 200، وقرّرت أن يجازى ولي الطفل إذا بلغ السادسة ولم يرسله إلى المدرسة، وخصصت عدا الإعانة جزءًا من إيراد الأوقاف، وعممت المدارس في الملحقات **وكان أهالي الشام يميلون إلى بثّ روح التعليم فألّفوا "جمعية المقاصد الخيرية" و انتشرت شُعبها في أنحاء الولاية**"[2].

1) إكمال الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ص 429.

2) مدحت باشا: حياته – مذكراته – محاكمته، مرجع سابق، ص 49.

ويقول علي حيدر مدحت:"... إنّ الإصلاح يتطلّب تقديمه على كلّ شيء في سبيل ذلك من إنشاء الجمعيات الخيرية المنتخبة من بعض الذوات من أرباب الحمية، ومن أجل إيجاد وإقامة وتشكيل مثل هذه الجمعيات، فإنّ مدحت باشا أقدم سنوياً على تقديم إعانة ممكنة، ... **وعلاوة عليه تشكّلت جمعية باسم المقاصد الخيرية من نخبة من شخصيات أهالي بيروت وذوي الحمية منها، وفي الختام تشكّلت فروع لها في جميع الأقضية: طرابلس وصيدا وعكا**"[1].

حتّى إنّ الوثائق العثمانية، تشير أيضًا إلى أنّ مدحت باشا كان وراء تأسيس جمعية المقاصد:"**إنّ هذه الجمعية – جمعية المقاصد الخيرية – هي جمعية قامت في الأساس من أجل تأسيس وإدارة المدارس الخصوصية، وهي أيضًا جمعية خيرية تأسّست على زمن حكومة المرحوم (مدحت باشا)**، وذلك بمساعدة فعّالة من قبله، وقد تمكّنت عن طريق واردات وأملاك وعقارات كثيرة تحت يديها من منتج وإدارة عدة مدارس"[2].

وبعد هذا العرض لخبر تأسيس الجمعية، ومدى علاقة مدحت باشا بهذا التأسيس، ننتقل إلى خبر آخر وهو نفي أي علاقة لمدحت باشا في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية على الأقل جمعية بيروت، وذلك استنادًا إلى الحجج والأدلة البراهين والتي لا تدع مجالاً للشك، بأنّ مدحت باشا ليس له أي علاقة بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت. أمّا باقي فروع الجمعية في ولاية سورية، بحسب الدلائل والبراهين المتوافرة لدينا، فإنّها تثبت أنّ مدحت باشا كان وراء تأسيسها ولا نريد إعادة ذكرها – راجع ما كتب قبلاً – لذلك سنركّز في حديثنا على جمعية المقاصد في بيروت، حول شقّين الأوّل: ما كتب في بعض المراجع، والثاني، سنبرهن أنّ تعيين مدحت باشا والي سورية كان بعد تأسيس جمعية المقاصد في بيروت.

---

1) علي حيدر مدحت: مرجع سابق، ص 201 – 210.

2) B.O.A: MF.MKT: 1138/64

يقول طه الولي في خبر التأسيس:"وكان في بيروت نائب أي قاضٍ اسمه الشيخ جمال الدين، وهذا الأخير لم يكن يختلف عن المتصرّف[1] من حيث نزعته الإصلاحية وتطلعاته التعليمية، وهكذا تعاون الجميع على إعادة الروح إلى جمعية الفنون، ولكن باسم جديد هو"جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية"[2]، **نجد في رو اية طه الولي أنّه لا يوجد أيّ ذكر لمدحت باشا في خبر التأسيس، إنّما عزى طه الولي خبر التأسيس إلى القاضي جمال الدين والمتصرّف رائف باشا**".

أمّا عبد القادر قبّاني فإنّه يذكر خبر تأسيس جمعية المقاصد في بيروت في الكشاف كما يلي:"تحركّت همم الشباب المسلم مستمدّين العون من الله، ومسترشدين بنصائح أولي الفضل من أعيان الوطن، أمثال رائف باشا متصرّف بيروت، وجمال الدين أفندي قاض بيروت، اللذين ساعدا على نجاح تلك الفكرة، فتأسّست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت سنة 1296 ه[3]. لخدمة المعارف الإنسانية[4]، ويتابع القباني فيقول:"واتفق أنّ عين مدحت باشا لولاية سورية وهو على ما علمت – والكلام للقباني – من خيار وزراء الدولة العثمانية فساعد الجمعية مساعدة حقة"[5]، إذا واضح من كلام القباني، وهو من مؤسّسي الجمعية وأوّل رئيس لها، **أنّ مدحت باشا لم يكن له أي علاقة بتأسيس جمعية المقاصد في بيروت، بل يؤكّد القباني أنّ تعيين مدحت باشا لولاية سوريا كان بعد تأسيس الجمعية.**

وفي مذكراته، يقول سليم علي سلام، الذي ولد في بيروت 1868م كان شاهدًا ومعاصرًا لتأسيس جمعية المقاصد:"رأى البعض من ذوي الغيرة والحمية أنّ هناك حاجة ماسة لتأليف جمعية إسلامية تعنى بشؤون الطائفة الإسلامية على الخصوص تعليم

---

1) المتصرف: هو رائف باشا.

2) طه الولي: مرجع سابق، ص 236.

3) خطأ وقع فيه القباني لأن التأسيس كان 1295م.

4) عبد القادر قباني: الكشاف، مرجع سابق، ص 87.

5) المرجع نفسه: ص 87.

أبنائها، فألّفوا هذه الجمعية بالسنة المذكورة 1296 هـ[1]، **وكان ذلك في متصرفية رائف باشا الذي أخذ على عاتقه تأسيسها**، حتّى حضر واليًا على ولاية سورية مدحت باشا، وكانت بيروت يومئذٍ متصرفية تابعة لولاية سورية، فبذل عنايته بمساعدتها"[2]. **ويتّضح أيضًا من كلام سليم علي سلام أنّ تأسيس جمعية المقاصد في بيروت كان سابقًا لوصول مدحت باشا لاستلام ولاية سورية.**

ولتأكيد نفي أيّة علاقة لمدحت باشا بتأسيس جمعية المقاصد في بيروت، وقطع الشك باليقين، كان عليّ إجراء مقاربة تاريخية لتولي مدحت باشا ولاية سوريا، وتاريخ تأسيس جمعية المقاصد في بيروت باليوم والشهر والسنة، فكان لزامًا عليّ الاستناد إلى أكثر من مصدر ومرجع لإثبات هذه المقاربة، وخصوصًا أنّه لا مصادر أو مراجع تعطينا فكرة دقيقة لتولي مدحت باشا ولاية سورية، ولكن بعد التمحيص والتقميش في الكثير منها، وهي تتناول تاريخ الدولة العثمانية، وخصوصًا تلك التي روت حياة السلطان عبد الحميد الثاني، والمصادر التي حكت سيرة مدحت باشا ومنها: مدحت باشا (لقدري قلعجي)، أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين. ومدحت باشا: حياته – مذكراته – محاكمته، ليوسف كمال بك حتاتة. ولم أعثر على تاريخ دقيق لتولي مدحت باشا ولاية سورية. لكن عثرت على شذرات ومقتطفات من كتاب السلطان عبد الحميد الثاني (لأورخان محمد علي):

أولاً: عثرت على تاريخ نفي مدحت باشا خارج إستانبول وهو 5 شباط 1878م[3].

ثانيًا: المدة التي قضاها في المنفى وهي سنة وسبعة أشهر وواحد وعشرون يومًا، حيث عاد بعد هذا التاريخ إلى جزيرة كريت، وعليه يكون مدحت باشا قد عاد من منفاه في 26 أيلول 1878م. واشترط عليه السلطان عبد الحميد البقاء في جزيرة كريت من دون القيام بأي

1) خطأ وقع فيه سلام لأن التأسيس كان 1295هـ.

2) حسان حلاق: مذكرات سليم علي سلام، مرجع سابق، ص 118.

3) أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عهده، دار الأنبار، ط 1، 1987، ص 120.

نشاط لمدة أربعة أشهر. بعدها تولى ولاية سورية[1]، يضاف إلى التاريخ المدوّن قبلاً أربعة أشهر، وهي الفترة التي نستطيع تسميتها بالإقامة الجبرية، ممّا يعني أنّ استلام مدحت باشا لولاية سورية كان في 26 كانون الثاني 1879م، أي في زمن متأخر عن تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، وقد أجمعت معظم المصادر والمراجع أنّ تأسيس الجمعية كان في 31 تموز 1878م. أمّا عبد العزيز محمد عوض فإنّه يؤكّد ما ذهبنا إليه من أن استلام مدحت باشا لولاية سورية كان في سنة 1879م[2].

أمّا أسد رستم فيقول:"وصل مدحت باشا إلى ولاية سورية في 3 كانون الأول 1878م ففرح الناس بقدومه"[3]، وتؤكّد جريدة لسان الحال أنّ تعيين مدحت باشا لولاية سورية كان في 2 أو 14 تشرين الثاني 1878م[4].

إذا جميع المصادر والمراجع ومن عاصر تلك الفترة يؤكّد أنّ تعيين مدحت باشا واليًا على سورية كان متأخرًا عن تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت؛ لذلك ثبت بالدليل القاطع أنّ مدحت باشا لم يكن وراء تأسيس جمعية المقاصد في بيروت، لكن ربّما يكون أحمد مدحت باشا وراء تأسيس فروع الجمعية في كلّ من الشام وصيدا وعكا وجنين وطرابلس...ألخ. وقد أوردت جريدة ثمرات الفنون لصاحبها عبد القادر قبّاني وهو أحد مؤسسي الجمعية وأوّل رئيس لها، الخبر التالي:"أثناء تعيين مدحت باشا واليًا لسورية، وأثناء وصوله إلى مرفأ بيروت قام الأهالي باستقباله استقبالاً كبيرًا وعلى رأسهم الأعيان وتلاميذ المدارس، وفي مقدّمتهم جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية حيث صنعت (الجمعية) قوسًا كبيرًا للوالي وكتبت يافطة كبيرة، كُتبَ عليها:"فليحي مولانا السلطان عبد الحميد خان"[5]. وتتابع جريدة ثمرات الفنون في نفس الصدد فتقول:"إنّ ما قامت به

1) أورخان محمد علي: مرجع سابق، ص 179.

2) عبد العزيز عوض: مرجع سابق، ص 56.

3) أسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، منشورات المكتبة البوليسية، ط 2، لبنان، 1978م، ص 318.

4) لسان الحال: العدد 106، 20 ذي القعدة 1295هـ/2 أو 14 تشرين الثاني 1878م.

5) ثمرات الفنون: العدد 202، 30 ذي القعدة 1295هـ/25 تشرين الثاني 1878م.

جمعية المقاصد من تزيين وأقواس النصر احتفالاً بقدوم والي سورية أحمد مدحت باشا هو من مال الأعضاء الخاص"[1]. إذا كيف يكون استقبال جمعية المقاصد لمدحت باشا وهي لم تؤسس بعد؟؟

فبعد هذا العرض المفصّل عن علاقة مدحت باشا بتأسيس الجمعية، فمن غير المقبول أو المعقول أن ينسَب أحدٌ تأسيس جمعية المقاصد في بيروت إلى والي سورية مدحت باشا، إنّ القول بأنَّ مدحت باشا هو وراء تأسيس جمعية المقاصد في بيروت مردود وغير مقبول.

5- قضية عزل عبد القادر قبّاني من رئاسة الجمعية:

لم يمكث عبد القادر قباني في رئاسة الجمعية إلاّ مدّة وجيزة ثم استعفى من الرئاسة، حتى أن عصام شبارو يحدّد الفترة التي مكثها القباني في رئاسة الجمعية سبعة أشهر[2]. والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لم تستمر رئاسة القباني إلاّ هذه الفترة القصيرة؟؟ وهل استعفى من منصبه كما تقول بعض المراجع؟؟ أم عزل؟!!. والحقيقة إنّ المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع قليلة جدًا، إن لم تكن نادرة. وقد ورد خبر عزل القباني في إحدى الوثائق العثمانية، وليس لدينا مصادر أو مراجع توضح الفترة التي قضاها القباني في رئاسة الجمعية سوى ما أشار إليه شبارو، أمّا الوثيقة العثمانية فإنّها لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى فترة رئاسته للجمعية، إنّما جلّ ما ورد في الوثيقة، وهو تقرير استخباراتي أو طلب إنصاف القباني من حملة المغرضين والفُسّاد الذين وشوا به إلى السلطات العثمانية، لأنّه يبدو أنّ القباني كان له أعداء وحسّاد كثر من مسؤولي مجلس الولاية الذين رفعوا هذه الشكاية ضدّه حتى تمّ عزله عن رئاسة الجمعية، كما حصل معه تمامًا عندما كان مديرًا لمعارف بيروت، حيث تمّ عزله أيضًا لعريضة تقدّم بها بعض الحساد من مسؤولي مجلس معارف الولاية، وسنفصّل ذلك لاحقًا. أمّا الآن سنعرض ما ورد في

1) ثمرات الفنون: العدد 203، 3 ذي الحجة 1295هـ/28 تشرين الثاني 1878م.

2) الدكتور عصام شبارو: مرجع سابق، ص 30.

الوثيقة تمامًا من دون التطرق إلى تحليل أيّ من معلوماتها فقد جاء فيها ما يلي:"... ومن أجل ذلك كان تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، ولقد أظهر المؤسّسون لهذه الجمعية وفي مقدمتهم رئيسها ومنذ البداية: المحافظة على الطهارة، والوجدان والصدق والاستقامة فكانوا من بين أبناء الأمة المخلصين في محبتهم لوطنهم، ولذلك فإنّهم عملوا على إزالة الظروف السيئة – رغم صعوبة هذا العمل في بيروت ومحيطها – وقد عمل هؤلاء على ذلك، واضعين نصب أعينهم مبادىء وشروط العدالة والحرية، تلك المبادىء التي كانت موجودة مسبقاً في فكر رئيس الجمعية وخياله، وهو بسببها قد واجه الغدر وجهًا لوجه ومنذ البداية، **وبسبب ذلك فإنّهم ساقوا ضدّه الظلم والعزل بمقدار كبير ولمدة طويلة**، ولذلك فقد قام بتقديم هذا الاسترحام من أجل كشف وتوضيح مقدار الغدر الذي تعرّض له بسبب تلك الشكاية الكاذبة..."[1].

وترجّح الوثيقة أنّ سبب عزل القبّاني عائد إلى خلاف بينه وبين مسؤولي مجلس الولاية حول تعيين جميل أفندي وهو درزي في مدارس بيروت لتعليم القرآن الكريم:"... إنّ السيد جميل أفندي لا يتمتع بالكفاءة العلمية لتعليم هذه المادة. وهذا من باب حرص الجمعية على حسن سير العمل في المدارس الإسلامية، لأنّ جمعية المقاصد تعتبر نفسها بمثابة الأم الحاضنة لجميع مدارس بيروت"[2].

ربّ معترض يسأل ما علاقة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، وعلاقة رئيسها، واعتراضه على تعيين مدرّس غير كفوء لتعليم القرآن الكريم في إحدى مدارس بيروت، وهي ليست تابعة للجمعية، لكن من يتعمّق ويبحث عن علاقة الجمعية بباقي المدارس العثمانية والأهلية، ربّما يجد الإجابة الشافية عن هذا السؤال، فجمعية المقاصد في بيروت كانت بمثابة الأم الحاضنة لجميع مدارس بيروت، وكانت تعتبر أنّ من أهم أولوياتها تعيين مدرسي مادة القرآن الكريم لجميع مدارس بيروت، ففي إحدى جلساتها

1) B.O.A: ŞD nic, nec: 1320/25.

2) B.O.A: ŞD nic, nec: 1320/25.

نراها تتخذ قرارًا بتعيين شيخ لتعليم القرآن الكريم في المكتب الرشدي العسكري:"تقرّر **بالأكثرية تعيين الشيخ سلامة الخليلي الضرير معلمًا للقرآن الشريف في المكتب الرشدي العسكري**، بمعاش وقدره ماية وخمسون قرشًا تُصرَف له من صندوق الجمعية ومن واردات الأوقاف"[1].

حتى أنّ الجمعية كانت مسؤولة عن صادرات وورادات المكتب الرشدي العسكري :"إنّ الدفتر المتقدم من لجنة عمل لوازم مدرسة الطابق العلوي في المكتب الرشدي العسكري، قد قدمت دفترًا يتضمن ما صرفته وما قبضته من هذه الجمعية – أي جمعية المقاصد – فصادق عليه من محاسبة الجمعية، فلذلك قرّرنا صرف المبلغ بموجب ذلك الدفتر وقدره ألف وأربعمائة وتسعة وستون قرشًا من صندوق الجمعية"[2].

حتى صرف راتب الشيخ الذي عيِّن للمكتب الرشدي، كانت الجمعية لا تصرفه إلاّ من خلال جلسة الهيئة الإدارية :"**قرّرنا صرف خمسة وسبعين قرشًا إلى معلم القرآن الشريف في المكتب السلطاني الشيخ سلامة وذلك استحقاقه**"[3]. ولم يقتصر الأمر على الإشراف على صادرات وواردات المدارس الأخرى من قِبل جمعية المقاصد بل تعدّاه إلى فضّ الخلافات بين أفراد الهيئة التعليمية:"أحيل إلى لجنة مدرسة المكتب الرشدي العسكري – اللجنة هي من جمعية المقاصد – أمر النظر في الفساد الواقع بين معلميها، وتكلّفت اللجنة لبيان ملاحظاتها الراهنة بتقرير الجمعية"[4]. **وبناءً لطلب المدرسة الوطنية تقرّر تعيين لجنة من جمعية المقاصد للمدرسة المذكورة**[5]. وبناءً لطلب **لجنة المدرسة الوطنية التي**

1) جلسة الهيئة الإدارية: الأربعاء 15 شوال 1296هـ.

2) المصدر نفسه: الأربعاء 22 شوال 1296هـ.

3) المصدر نفسه: 16 ذي القعدة 1295هـ.

4) المصدر نفسه: جلسة الأربعاء 28 ذي القعدة 1296هـ.

5) المصدر نفسه: جلسة الأربعاء 7 ذي القعدة 1296هـ.

تقرّر تعيينها من قِبل الجمعية، فقد قرّرت أن يكون رئيسًا لهذه المدرسة عبد القادر أفندي قباني[1].

ولم يقتصر الأمر على تعيين القبّاني رئيسًا للمدرسة الوطنية، بل إنّ أحد أعضاء الجمعية تولّى رئاسة المكتب الرشدي العسكري:"**بناءً على طلب لجنة مدرسة المكتب الرشدي العسكري قد قرّرنا – أي جمعية المقاصد – أن يكون رئيسها أحدنا طه أفندي النصولي**"[2].

ونتابع الحديث عن مدى العلاقة الوطيدة بين جمعية المقاصد وباقي المدارس في بيروت :"بناءً على شدّة لزوم المدرسة الثانية للذكور – وهي مدرسة تابعة للجمعية – إلى معلم رابع يُعلّم القرآن الشريف كما أفادت اللجنة المخصوصة بالمدارس، وعلى عدم قدرة الجمعية بتعيين معلم رابع لها، وذلك نظرًا للمضايقة الحاصلة (المالية)، وعلى الإفادة الواقعة من البعض بأنّ الشيخ سلوم المقدّم من طرف الجمعية علمًا للقرآن الشريف في المكتب الرشدي العسكري، هو غير متمكن من إيفاء خدمته هنالك، نظرًا لعدم رغبة تلامذتها بالتعليم، رؤي **أنّ الأسباب التي دعت الجمعية للمداخلة بأمر المكتب قد زالت ولا لزوم للمداخلة، ولذلك تقرّر نقله من المكتب الرشدي المذكور إلى المدرسة الثانية للذكور**"[3].

وكانت الجمعية تشتري الكتب وتوزّعها على المكتب الرشدي العسكري:"**قد قرّرنا – أي جمعية المقاصد – إعطاء سند إلى إدارة المكتب الرشدي العسكري في بيروت بدفع أربعمائة وستة وستين غرشًا، وذلك ثمن كتب، وزعت عن الأولاد الفقراء في المكتب المذكور بمعرفة المدير أشرف أفندي**"[4].

---

1) المصدر نفسه: جلسة الجمعة 30 ذي القعدة 1296هـ.

2) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 6 ذي الحجة 1296هـ.

3) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 13 ربيع الأول 1297هـ.

4) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الجمعة 15 ربيع الأول 1297هـ.

ونرى من خلال ما تقدّم الصلة الوثيقة بين جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية والمدارس العثمانية والوطنية، وكان للجمعية اليد الطولى بتعيين المدرّسين، وخصوصًا مدرّسي القرآن الشريف، لذلك من يتعمّق في هذا الموضوع، يدرك تمامًا العلاقة التي حتّمت على القباني التدخل والاعتراض على تعيين أحد المدرسين لتعليم القرآن الكريم في إحدى مدارس بيروت، وكان من الطبيعي حصول الصدام مع من قام بتعيين المدرس وبين القباني، الأمر الذي دفع خصومه إلى رفع العرائض إلى الباب العالي، متهمين القباني بشتى أنواع التهم، الأمر الذي أدّى إلى عزله.

وبعد أن تمّ عزل عبد القادر قباني من رئاسة الجمعية قدّم استقالته من عضوية الجمعية، لكن الجمعية قرّرت عقد جلسة طارئة لمعالجة الموضوع:"تقرّر إرسال تحرير إلى أحدنا عبد القادر قباني يُدعى به إلى الجمعية في الجلسة القادمة لأجل المذاكرة معه على الأسباب التي ألجأته للاستعفاء"[1].

وفي الجلسة التي دُعيَّ القباني لحضورها، أجمع الحضور على عدم قبول استعفائه من عضوية الجمعية ومن الرئاسة:"بالاتفاق رُفض استعفاء أحدنا عبد القادر أفندي القباني"[2]. لكن القبّاني أصرَّ على الاستقالة. وقد تولّى رئاسة الجمعية بعد عبد القادر قباني، حسن بك محرم[3].

6- تأسيس المدارس:

رأت جمعية المقاصد منذ بداية نشاطها، أنّه لا بدّ من الاهتمام بالفتاة المسلمة وإعدادها إعدادًا جيدًا، حتّى يتسنّى لها المشاركة في تكوين جيل مسلم ناضج ومنفتح، لهذا كان الهم المقاصدي الأول العمل على إنشاء مدرسة للبنات المسلمات؛ وممّا جاء في حيثيات هذا القرار قول أحد الأعضاء:"... فأخذنا في أول الأمر لنشر المعارف منها هو تعليم الإناث:

---

1) المصدر نفسه: جلسة الأربعاء 7 شعبان 1297هـ.
2) المصدر نفسه: جلسة الجمعة 9 شعبان 1297هـ.
3) المصدر نفسه: جلسة الأربعاء 4 رمضان 1297هـ.

منها طرق التربية وما يحتجن إليه من العلوم والصنائع، إذ هنّ المربيات الأول، وعلى تقدّمهن المعوّل، فتذاكرنا بافتتاح مدرسة لهّن"[1]. ولقد أثار حسن بيهم أحد أعضاء الجمعية وأحد المؤسّسين قائلاً:"إنّ لا أمة بلا رجال، ولا رجال بلا عائلة، ولا عائلة بلا مربٍّ، وهذا المربّي هو الأم التي إن لم تكن متعلّمة وهي صبية، لا يمكنها أن تربّي أولادها، وبالتالي لا تستطيع أن تهذّب الأمة"[2]. وقال الشيخ عبد القادر قباني:"إنْ سمحتم لي بتحسين التربية ألزمت نفسي لكم بإصلاح أحوال العالم بأسره"[3].

"وقد صمّمت الجمعية بتوفيق الله، أن يكون باكورة أعمالها افتتاح مدرسة للإناث في أقرب وقت، يتعلمن بها أصول التهذيب والقراءة، وما يمكن تعليمه من أشغال اليد، وقد استحضر لها المعلّمات، وقريبًا إن شاء الله نفتح مكتبًا للتعليم بها. فمن الواجب على أهل الغيرة والحميّة إسعاف هذه الجمعية لتتمكن من بلوغ مقاصدها. فنرجو من كلّ محب لصالح الوطن أن يؤازرها على هذا المشروع"[4].

ويعدُّ توجه جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية نحو تعليم الفتاة المسلمة ثورة بحدّ ذاتها. فقد لاقت هذه الفكرة إعتراضًا من معظم الأهالي، ومقاومة العلماء والمشايخ. لكنّ الجمعية لم تكترث للمعترضين ولم تعبأ بالمقاومة، فأسَّست أول مدرسة للبنات في 5 شوال 1295هـ/20 تشرين أول 1878م[5].

ومن الأسباب الأخرى التي دعت جمعية المقاصد إلى التفكير في افتتاح مدارس للإناث أوّلاً، هو أنّ الإرساليات الأجنبية قد أنشأت في وقت مبكر مدارس للإناث، فخوف

1) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 7.

2) الدكتور حسان حلاق: دراسات في المجتمع اللبناني، دراسات سياسية – إجتماعية – إقتصادية – تربوية – ديمغرافية، دار النهضة، بيروت، لبنان، ص 166.

3) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 4.

4) ثمرات الفنون: العدد 181، 12 رمضان 1295هـ/19 أيلول 1878م

5) المصدر نفسه: العدد 187، الخميس 6 شوال 1295هـ/21 أيلول 1878م.

جمعية المقاصد من "تنصير" وتغريب الفتاة المسلمة، دعاها إلى تعليم الفتاة المسلمة، وإلى فتح مدارس لتعليم الإناث.

وممّا يذكر لبعثات التبشير البروتستنتي في لبنان أنّها كانت أوّل من فتح مدارس للبنات، حيث أنشأت مدرسة داخلية بإشراف السيدة "فورست" في عام 1847م، واستقبلت بالطبع فتيات من مسلمات بيروت. وفي عام 1851م قدمت الآنسة "آن وتيليس" فافتتحت مدرسة للبنات، لكنّها توفيت قبل أن تكمل سنتها الأولى، كما أقفلت المدرسة الأولى لتدهور صحة السيدة "فورست" عام 1855م[1].

وقد أنشأت السيدة "بيرد" عام 1830م مدرسة للإناث قرب مدرسة زوجها السيد "إسحاق"، في بناء مستقل، وكانت تستقبل في بيتها بضع بنات بتدريسهن. وبعد بضعة أعوام حذت السيدة "أليز طومسن" زوجة القس "وليم طومسن" حذو السيدة "بيرد" وفتحت بيتها لاستقبال ثماني بنات كانت تدرّسهن فيه. وبقي تعليم البنات على هذه الحال إلى سنة 1834م. ففي هذا العام قدمت إلى بيروت السيدة "سارة سميث" زوجة القس الدكتور "إيلي سميث" أحد مترجمي التوراة (العهد القديم) إلى اللغة العربية. تولّت السيدة المذكورة أمر تنظيم تدريس البنات في بناء مستقل، وأنجزت هذا البناء سنة 1835م، وعُرفت المدرسة يومئذٍ باسم مدرسة "بيروت للإناث"، وكان عدد تلميذاتها 40 بنتًا. وكانت هذه المدرسة أول مدرسة لتعليم البنات في بيروت وفي سائر الولايات العربية العثمانية[2].

لهذه الأسباب كان تركيز جمعية المقاصد على افتتاح مدارس للإناث أوّلاً:"وفي يوم الثلاثاء الماضي صار افتتاح مدرسة البنات التي أنشأتها جمعية المقاصد الخيرية في بيروت،

1) د. موفق بني المرجة: مرجع سابق، ص 167.
2) طه الولي: مرجع سابق، ص 215.

والمأمول من أصحاب الغيرة والكمال مؤازرة هذه الجمعية ليمكّنها من فتح مدرسة للذكور يكون بها الكفاية وقد كلّفنا الآن نشكر فضل المساعدين"[1].

لم يقتصر الأمر على ورود الخبر في ثمرات الفنون بتأسيس المدرسة الأولى للإناث، بل ورد أيضًا في جريدة لسان الحال:"في الأسبوع الماضي فتحت مدرسة للبنات الأولى التي أنشأتها جمعية المقاصد الخيرية للطائفة الإسلامية فاجتمع فيها 150 تلميذة"[2].

وقبل البدء ببناء المدرسة الثانية للإناث اجتمع بعض وجوه بيروت مع وفد من الجمعية لاطلاعهم على أعمالها:"اجتمع بعض من وجوه بيروت مع جمعية المقاصد، وأطلعتهم الجمعية على ما تنوي فعله من فتح مدرسة ثانية للإناث، حيث قام المجتمعون بدفع مبلغ من المال"[3]، وقد افتتحت المدرسة الثانية للإناث في شهر جمادي الثاني 1296هـ:"وممّا يسرّنا إعلامه أنّ جمعية المقاصد الخيرية في بيروت توفقت أيضًا لفتح المدرسة الثانية للإناث، وفي عزمها إنشاء عدة مدارس للذكور"[4].

وكانت الدولة العثمانية تقدّم المساعدات العينية لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية:"قامت الجمعية الخيرية المعروفة في بيروت (جمعية المقاصد الخيرية) بتأسيس وفتح صف في مدرسة الإناث التابعة لها تخصيصاً مرسلاً، حيث تمّ تخصيصها برصيد موازنة لها، وإدخالها ضمن موازنة 96 (1296هـ) إدخالاً سنوياً بمبلغ وقدره 32800 قرش"[5].

وقد قرّرت الجمعية تقديم كتاب إلى السلطة المحلية تطلب فيه تنفيذ وعدها بإجراء الصيانة اللازمة على المدرسة الثانية للإناث:"وقد تقرّر تقديم معروض إلى الحكومة المحلية يطلب إجراء وعدها بتعمير البيت المتخذ مدرسة ثانية للبنات مع الالتماس بصدور

1) ثمرات الفنون: العدد 187، 6 شوال 1295هـ/21 أيلول 1878م.

2) لسان الحال: العدد 95، 16 رمضان 1295هـ/7 تشرين الأول 1878م.

3) ثمرات الفنون: العدد 191، 30 شوال 1295هـ/5 تشرين الأول 1878م.

4) جلسة الهيئة الإدارية: 2 رمضان 1296هـ.

5) B.O.A: MF.MKT:71/3.

الأمر إلى دائرة الأوقاف كي تعطي مجالاً في الجنينة المجاورة للبيت المذكور تكون ملعبًا للأولاد وقت الفرص"[1]. كما تقرّر تقديم كتاب ثانٍ إلى الحكومة تطلب فيه الجمعية دفع مبلغ من المال لبناء المدرسة الثانية[2].

وقد شكّل والي سورية لجنة لدراسة وضع جمعية المقاصد في بيروت:"وبعد تشكيل لجنة من قِبل الوالي مدحت باشا لدراسة أوقاف بيروت، وبرئاسة السيد عبد الله أفندي جمال الدين نائب بيروت، وقدّمت اللجنة تقريرها إلى الوالي تطلب منه إنشاء خمس مدارس للذكور ومدرسة ثانية للإناث. علاوة على التي فتحتها الجمعية وتعيين مواقعهما: منها اثنتان سيعيد بناؤهما واثنتان سيعيد تصليحهما، والخامسة الطابق السفلي من مكتب الرشدية العسكري من المحلات التي ستصلح فوق بوّابة المصلّى ملك السيد محمود أفندي إياس"[3].

وكانت الدولة العثمانية تقدّم المساعدات المادية لمدارس جمعية المقاصد الخيرية، من رواتب المعلمين وغيره:"بناءً على الأمر العالي الوارد من جانب ولاية سورية الجليلة بتاريخ 4 ذي القعدة 1296هـ، والمتضمّن إنّه صدر لهما الجواب من نظارة المعارف الجليلة بأنّها خصصت معاشات لمستخدمي مكتب الإناث المنشأ من طرف هذه الجمعية"[4].

وقد تأكّد خبر مساعدة الدولة العثمانية، إلى جمعية المقاصد الخيرية في وثيقتين عثمانيتين، حيث طلبت وزارة المعارف من ولاية سورية تقديم مساعدة مالية إلى الجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت مقدارها 32 ألف قرش[5].

1) ثمرات الفنون: العدد 221، 13 جمادي الثاني 1296هـ/2 حزيران 1879م.

2) ثمرات الفنون: العدد 223، 16 ربيع الأول 1296هـ/11 نيسان 1879م.

3) جلسة الهيئة الإدارية: الجمعة 14 جمادي الأولى 1297هـ.

4) جلسة الهيئة الإدارية: الأربعاء 7 ذي القعدة 1296هـ.

5) B.O.A: MF.MKT: 76/15.

أمّا افتتاح مدارس الذكور فقد تأخر قليلاً عن مدارس الإناث لا لشيء، وإنّما أرادت الجمعية الاهتمام بالفتاة المسلمة خوفًا من "تغريبها" ولأسباب شرحناها سابقًا:"تقرر أن يكون افتتاح مدرسة الذكور الأولى يوم الأحد القادم بحضور الذوات الذين ستقدّم لجنة المدارس دفترًا بأسمائهم فتدعوهم الجمعية لذلك الإحتفال"[1].

وكان افتتاح الجمعية لمدرسة الذكور الأولى في 23 ذي الحجة 1296 هـ الموافق 7 كانون الأول 1879م :"احتفلت جمعية المقاصد الخيرية يوم الأحد الموافق في 23 ذي الحجة 1296 هـ الموافق 7 كانون الأول 1879م بافتتاح مدرسة الذكور الأولى وقد شرّف هذا الإحتفال حضرة صاحب الأبّهة مدحت باشا وسعادة متصرف الأكرم وصاحبا الفضيلة نائب ومفتي بيروت وجمهور كبير من الطائفة"[2].

وبعد افتتاح مدرسة الذكور الأولى، اتخذت الجمعية سلسلة من القرارات لتنظيم العمل بها، ومن هذه القرارت تعيين المعلمين لها، وأن يكون التعليم فيها مجّانًا، وتحديد العمر من سبع سنوات إلى خمس عشرة سنة:"دارت المذاكرة على تعيين المعلمين لمدارس الذكور فتقرّر أوّلاً أن المدرسة الكائنة في سوق البازركان المعروفة بالمحكمة العتيقة التي أنشأت بنيانها الجمعية من مالها الخاص تكون مسمّاة بالمدرسة الأولى للذكور، ويكون التعليم فيها مجانًا، وأن يكون سن التلاميذ فيها من السبعة فصاعدًا إلى الخمسة عشر"[3].

أمّا بالنسبة للمدرسة الثانية للذكور فقد كان افتتاحها في شهر محرم 1297هـ:"بناءً على القرار المعطى ليلة الأربعاء 20 ذي الحجة 1296هـ قد قرّرنا أن يكون افتتاح المدرسة الثانية للذكور نهار الأحد القادم، وأن يكون موقعها في الغرف التي تستنسبها لجنة المدارس في الطابق الرشدي العسكري، وأن يكون التعليم إبتدائيًا إلى أن

---

1) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 20 ذي الحجة 1296هـ.

2) ثمرات الفنون: العدد 258، 24 ذي الحجة 1296هـ/8 كانون الأول 1879م.

3) جلسة الهيئة الإدارية، جلسة الجمعة 11 رمضان 1296هـ

ترى الجمعية لزومًا لترقية بها تدريجيًا، وأن يكون فيها مائة تلميذ فقط، وأن يكون التعليم فيها مجانًا"[1].

وبالفعل كان الافتتاح باليوم الذي حدّدته الجمعية:"في الجمعة الماضية تمّ افتتاح مدرسة لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت ثانية للذكور لتعليم المبادىء من قراءة وكتابة وحساب وأمور دينية فنرجو التوفيق والنجاح ونطلب من الأهالي مدّ يد المساعدة للجمعية كي تتمكّن من النجاح"[2].

وقبل افتتاح المدرسة الثانية للذكور، وبعد أن تمّ تحديد مكانها، تم تعيين مديرها:"تقرّر أولاً فتح المدرسة الثانية للذكور في الطابق العلوي من المكتب السلطاني، ثانيًا تعيين الشيخ عمر أفندي البربير معلمًا أولاً فيها ورئيسًا لها"[3]. واتّخذت الجمعية قرارًا مهمًا جدًا وهو الإيعاز إلى رؤوساء المدارس الأربع المحافظة على النظام في ما يتعلّق بقضية الضرب"[4]، بافتتاح المدارس الأربع لجمعية المقاصد، اثنتين للإناث واثنتين للذكور، لم تتوقف الجمعية عن افتتاح المدارس، أو التفكير في انشاء مدارس جديدة، حيث باشرت ببناء مدرستين في محلة رأس النبع بأرض اشترتها من مالها مع التصميم على بناء جامع أيضًا في جوارهما، وقامت ببناء جامع في محلة الأشرفية[5].

وكانت الجمعية تقوم بتمويل بناء هاتين المدرستين من مالها الخاص:"تقرّر إعطاء تحويل بمبلغ خمسة آلاف قرش إلى لجنة إعمار مدرستي رأس النبع على جناب مولانا الشيخ عبد الباسط الفاخوري من أصل ما يطلب منه إلى الجمعية فعلى المحاسبة تسوية القيود"[6].

---

1) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 27 ذي الحجة 1296هـ.

2) ثمرات الفنون: العدد 260، 9 محرم 1297هـ/10 كانون الأول 1879م.

3) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 20 ذي الحجة 1296هـ.

4) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الجمعة 4 صفر 1297هـ.

5) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 9.

6) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الجمعة 24 شوال 1296هـ.

وقدّمت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية جردة بما قامت به في "الفجر الصادق"، وممّا جاء فيه:"وجدنا أنّ أحسن وسيلة لنشر المعارف هو تعليم الإناث طرق التربية وما يحتجن إليه من العلوم والصنائع إذ هنّ المربيات الأول وعلى تقدمهن المعوّل فتذاكرنا بافتتاح مدرسة لهن غير، إنّه لما كان لا يوجد في الجمعية واردات تكفي لمصاريفها وتؤمن مستقبلها، وثبت كل منا على نفسه مرتّبُ شهريُ يدفعه لصندوقها فكان مجموعة كافية لمصاريف تلك المدرسة، فافتتحناها واستحضرنا لها المعلمات، وجعلنا التعليم بها مجانًا، فاجتمع بها تقريبًا مائتا تلميذة يتعلّمن فيها العلوم اللازمة، فأخذت المساعدات من الأهالي تواصلنا وتعضد مشروعنا، فما مضت مدة يسيرة حتى افتتحنا مدرسة ثانية للإناث أيضًا على نسق الأولى، فهرعت إليها التلميذات وبلغ عددهن المائتين والخمسين، ثم بذلت الحكومة المحلية اقتدارها من المساعدات لنا وتكرّمت علينا بإعطاء محلات متروكة اتخذنا منها مدرستين للذكور بعد تعمير إحداهما تعميرًا متقنًا، وكانت مشقّة البناء فاجتمع بهما من التلاميذ ما يفوق على أربعمائة يتعلّمون أنواع العلوم الابتدائية مجانًا على أنّ المدارس الأربع ما زالت سارية في أمر التعليم والإدارة الداخلية توفيقًا لنص قوانين الدولة العلية المتعلّقة بالمعارف والتدريس"[1].

ولم تكتفِ جمعية المقاصد بفتح مدارس للذكور والإناث فقط، إنّما فكّرت بإنشاء مدرسة طبية ملكية، إلاّ أنّ هذا المشروع لم يبصر النور إلاّ في العام 1915م:"بإعتبار أنّ تشكيل مدارس ملكية في بيروت هو أمرٌ جارٍ فإنّ المدرسة الطبية الملكية تعتزم فتح فرع لها في بيروت بهمة جمعية المقاصد الخيرية والتي تقدّمت بأفضل طريقة ممكنة ببرنامج للمدرسة المذكورة، هذا وإنّ شروط القبول والدخول في المدرسة المذكورة والأحوال والصفات اللازمة لذلك، كلّه تمّ إرساله في تحريرات إلى سند ولاية سورية

1) الفجر الصادق: مصدر سابق، 7 – 8.

الجليلة في وارد تحريرات وإشعار مناسبة لكيفية القيام بذلك، ولذلك يجب إجراء مطالعتكم على هذا الباب أوّلاً وإصدار الأمر في سياق ذلك"[1].

وبقيت هذه الغرسة الطيبة فترة طويلة حتى أينعت، ففي العام 1915م: وبعد إقفال المدرسة الطبية في دمشق، سعى والي بيروت إلى فتحها من جديد ونقلها إلى بيروت، وقدّم مقترحه إلى وزارة المعارف، كما اقترح اتّخاذ مبنى مدرسة الجزويت الطبية الفرنسية مقراً لها. وبالفعل تمّ افتتاح المدرسة في عهد جمال باشا 1916م[2].

وقد ورد جدول مفصّل لعدد التلاميذ والمعلمين والمستخدمين أيضًا في الفجر الصادق[3]:

مدارس الذكور:

رقم	معلم	مدرسة	تلميذ	خادم
1	3	1	118	1
2	4	1	200	1
المجموع	7	**2**	**318**	**2**

مدارس الإناث:

رقم	معلم	مدرسة	تلميذ	خادم
1	6	1	230	1
2	5	1	200	1
المجموع	**11**	**2**	**430**	**2**

1) B.O.A: MF.MKT: 68/100.

2) فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية، تقديم خالد أرن، منظمة التعاون الإسلامي، إستانبول، 2013، ص 490-491.

3) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 31.

أما في السنة الرابعة لتأسيس الجمعية، وعند تحويلها إلى شعبة المعارف، فقد كان عدد التلاميذ والمعلمين على النحو التالي[1]:

مدارس الذكور:

رقم	معلم	مدرسة	تلميذ	خادم
1	5	1	164	1
2	6	1	130	1
المجموع	**11**	**2**	**294**	**2**

مدارس الإناث

رقم	معلم	مدرسة	تلميذ	خادم
1	6	1	266	1
2	6	1	270	1
المجموع	**12**	**2**	**536**	**2**

هكذا نجد أن إقبال الإناث على التعليم في مدارس جمعية المقاصد كان في تزايد مستمر أكثر من الذكور، ربّما مرد هذا إلى الغرس الطيب الذي غرسته الجمعية في نفوس الأهالي بضرورة تعليم الفتاة، لأنّها المعوّل عليها نهضة المجتمع، والأمر الآخر هو وعي الأهالي في إرسال بناتهم للتعليم في المدارس بدل جلوسهن في المنزل.

ولم تكتف جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت بافتتاح مدارس للإناث والذكور، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، حين فكّرت بإنشاء مدرسة داخلية ليس لها مثيل في ولاية سورية، وقد جاء في حيثيات القرار:"إعلان من جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في

1) المصدر نفسه: ص 22.

بيروت: إنّه كانت المدارس من أعظم الوسائط لنشر العلوم والمعارف، خصوصًا الداخلية التي ينام فيها التلاميذ لتفرّغهم إلى التعليم، ولعدم انشغالهم بما يخرج عن دائرة الدرس، فضلاً عن حسن التهذيب والتربية، كما هو مشاهد في المدارس الداخلية، وبما أنّ الأمّة الإسلامية ليس لها في البلاد السورية مدرسة من هذا القبيل، عزمت جمعيتنا مع الاتكال على الله تعالى أن تباشر بإنشاء مدرسة داخلية، إذا تيسّر لها ستون تلميذًا من أية طائفة كانوا، ومن كان من غير الطائفة الإسلامية يكون غير مكلّف بالتعليم الديني، وتكون الأجرة عن السنة المدرسية خمس عشر ليرة. وهذه الأجرة تشمل المنامة والتعليم والمأكل، وسيكون موقع المدرسة في أحسن المواقع مناخًا. فالمرجو من أصحاب الحمية والغيرة مساعدة مشروعنا ومؤزارتنا بالدعاء"[1]. تبيّن من حيثيات القرار أو الإعلان أنّ جمعية المقاصد، ومنذ نشأتها لم يعرف التعصب طريقًا إليها، بل إعتنقت الدين الإسلامي السمح المعتدل، وما زال هذا النهج ساريًا معها حتى الآن.

وكانت الجمعية عازمة على إنشاء هكذا مدرسة، وقد ظهر ذلك من الإعلانات المتتالية التي ظهرت في الصحف المحلية:"كلّ من أجرى مقابلة بين تأخّر الدول الإسلامية وتقدّم دول أوروبا أيقن أنّ مبادىء التقدم كانت بالعلم، وسبب التأخر كان بالجهل، الأمر الذي يتطلب تحسين المدارس وإيصالها إلى حالة الكمال، ولا يتم ذلك لا بالدرهم والدينار. وقد تألّفت في جملة بلدان من ولاية سورية وغيرها جمعيات خيرية من الأمة الإسلامية (كما تشكل عند غيرها قبلاً)، وقد كان في مقدمة هذه الجمعيات جمعية المقاصد الخيرية في بيروت ..... ولمّا لم يكن للأمة الإسلامية مدرسة داخلية في ولاية سورية والبلاد العربية أعلنت الجمعية عزمها على إنشاء مدرسة من هذا القبيل"[2].

وكان يتبرع بطباعة هذه الإعلانات عبد القادر قباني صاحب جريدة ثمرات الفنون:"تلي الإعلان مع النشرة نظما من طرف اللجنة المقامة للنظر في أمر المدرسة الداخلية، وتقرّر طبعهما ونشرهما على نفقة أحدنا عبد القادر أفندي القباني الذي تبرع بذلك"[3].

---

1) ثمرات الفنون: العدد 255، 3 ذي الحجة 1296هـ/5 تشرين الثاني 1879م.

2) ثمرات الفنون: العدد 265، 14 صفر 1279هـ/14 كانون الثاني 1880م.

3) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الجمعة 30 ذي القعدة 1296هـ.

ووعد والي سورية جمعية المقاصد بمساعدتها على إتمام مشروعها لأنّ الأمة الإسلامية تفتقر إلى مثل هذه المدرسة:"وعد أبهة الوالي أحمد حمدي باشا جمعية المقاصد بمساعدتها كي تتمكن من فتح مدرسة داخلية، لتعليم اللغات والفنون لأنّه لا يوجد عند الأمة الإسلامية مدرسة من هذا القبيل"[1].

لكنّ الظروف والأحداث المتسارعة في بيروت وولاية سورية لم تمهل الجمعية على افتتاح هذا الصرح العلمي الكبير، وذلك لعدة أسباب أوردها الفجر الصادق:"كانت الجمعية عزمت على إنشاء مدرسة داخلية كاملة الاستعداد لتعليم الفنون واللغات لما تأكد أن ما يحصله التلميذ في مثل هذه المدارس في مدة لا يحصله في غيرها بضعفي المدة المذكورة فضلاً عن حسن الآداب وطهارة الأخلاق من دنس ما يتفوه به الجهلة، وقد اعترضها عن إتمام عزمها أمران:

الأول: أنّها وجدت عدم كفاية وارداتها فأقدمت على إنشاء ما يدرّ عليها بالواردات من المباني لتجعل ذلك في مقابلة ما يلزم من المصاريف.

الثاني: تحويل اسم الجمعية إلى "شعبة مجلس المعارف" على أنّ هذا التحويل لا يغيّر من إتمام عمل الجمعية شيئًا، وإن شاء الله تعالى سيتمّ فتح هذه المدرسة، خصوصًا أنّ الأسباب تسهلت لذلك"[2]. وسنفصّل الكلام أكثر على هذا الموضوع في بحث لاحق، بعد أن تحولّت جمعية المقاصد إلى شعبة المعارف.

7- النظام الداخلي:

بالرغم من عدم وجود مصادر ومراجع تعطينا فكرة عن نظام القانون الداخلي للجمعية، إلاّ أنّنا نستطيع أن نستكشف من خلال محاضر الجلسات أو من جريدة ثمرات الفنون بعضًا من مواد هذا النظام.

ففي حالة استقالة أحد أعضاء الجمعية كيف يتمّ تعيين بديلاً لهذا العضو:"بناءً على الاستعفاء المقدّم من أحدنا عبد الله بيضون من عضوية هذه الجمعية فقد جرى

---

1) ثمرات الفنون: العدد 317، 17 ذي الحجة 1297هـ/17 تشرين الثاني 1880م.

2) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 3.

الانتخاب، وتمّ بأحد عشر على أن يكون جناب محمد أفندي ابن الشيخ يوسف الأسير عضوًا لهذه الجمعية عوضه"[1]. يتّضح من هذه الجلسة أمران أوّلهما: أنّ مبدأ الديمقراطية كان الطريقة السائدة لانتخاب الأعضاء، وثانيهما: أنّه كان يتمّ انتخاب الأعضاء البدلاء عن طريق الهيئة الإدارية، لا عن طريق الهيئة العامة.

أمّا إذا تعذّر حضور أحد الأعضاء لعدة جلسات لسبب من الأسباب، فإنّ الهيئة الإدارية كانت تلتئم لتعيين عضوٍ بديل مكان العضو الذي لم تسمح له الظروف بحضور الجلسات:"تقرّر بالأكثرية تعيين الشيخ فضل أفندي القصار عضوًا عاملاً لهذه الجمعية عوضًا عن أحدنا محمد أفندي الأسير الذي انفصل عن العضوية بسبب سفره المتكرر وتقرّر إرسال الدعوة اللازمة"[2]. واضح أيضًا من هذا التعيين أنّ الديمقراطية كانت سبيلاً لتعيين الأعضاء، حيث كان هناك إجماع على تعيين الشيخ فضل مكان محمد الأسير.

أمّا إذا تخلّف أحد الأعضاء عن حضور ثلاث جلسات متتالية فيعتبر حكمًا ساقطًا لعضويته من الهيئة الإدارية:"بناءً على دعوة الرئيس لحضور هذه الجلسة الغير اعتيادية حضرنا وطالعنا تقريره المتضمّن الحث على المداومة والاستقامة للجمعية، ووضع قرار يتكلف بمنع التكاسل بالحضور، وعلى ذلك دارت المذاكرة وتقرّر بالاتفاق أن كلّ عضو لا يحضر جلستي الأربعاء وليلة الجمعة يعتبر في نهاية جلسة الجمعة ساقطًا من عضوية الجمعية، وكذلك كلّ عضو غاب عن ليالي الإجتماع ثلاث مرات في شهر واحد يعتبر ساقطًا، وعلى الرئيس أن يرسل له تحريرًا بإسقاطه وعلى الهيئة أن تطلب انتخاب غيره عن إسقاطه ما عدا من كان معتذرًا بالأعذار المقرّرة في المادة 25 من قانون الجمعية"[3].

يتَّضح من خلال هذه الجلسة أنّ الجمعية كان لها نظام داخلي، لكن لم نتمكن من الحصول عليه، لأنّه غير موجود في أرشيف الجمعية، كما أنه واضح أيضًا من خلال هذه الجلسة أنّ قرارات الهيئة الإدارية تتخذ بالأكثرية، وهي قمّة الديمقراطية، كما أنّ الهيئة الإدارية كانت تجتمع مرتين في الأسبوع حتى أنّه يحق لرئيس الجمعية أن يدعو الهيئة

---

1) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 15 شوال 1296هـ.

2) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الجمعة 4 صفر 1297هـ.

3) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأحد 23 جمادي الأول 1279هـ.

الإدارية إلى اجتماع فوق العادة، كما هو واضح من خلال هذه الجلسة، لتدارس بعض الأمور المهمة.

وأخيرًا، لا بدّ من تسليط الضوء، بعد استعفاء عبد القادر قباني من رئاسة الجمعية على من تولي الرئاسة من بعده، فالذي تولى رئاسة الجمعية بعد القباني هو حسن بك محرم[1]، وقد بقي في الرئاسة حتى تحويل الجمعية إلى شعبة مجلس المعارف.

أمّا الأعضاء، كما ورد في جريدة ثمرات الفنون، والفجر الصادق، وحسب التسلسل الأبجدي:"الرئيس للمرة الثانية جناب رفعتلو حسن بك محرم، باش كاتب مجلس إدارة بيروت ثم الأعضاء: أحمد دريان، بشير البربير، بديع اليافي، حسن بيهم، حسن طرابلسي، رسلان دمشقية، سعيد الجندي، سليم رمضان، سعيد طرابية، طه النصولي، عبد القادر سنو، عبد الله الغزاوي، عبد القادر قباني، عبد الرحمن ناعماني، فضل القصار، محمود خرما، محمود رمضان، مصطفى شبارو، محمد طبارة، محمد الفاخوري، محمد اللبابيدي، محمد أبو سليم المغربل، مصباح محرم وهاشم الجمال"[2].

8- مالية الجمعية:

منذ نشأتها، اعتمدت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، وغيرها من الجمعيات الخيرية التي قامت في ولاية سورية، على مساعدات الأهالي وعلى الأوقاف التي حُبست لها من قِبل الوالي، أو من قِبل الأهالي الذين أعطوا العديد من الأوقاف للجمعية، حتى أننا نستطيع أن نقول أنّ الجمعية قامت على أكتاف الأهالي ليس فقط المسلمين، إنّما من المسيحيين أيضًا، لأنّ أهالي بيروت اعتبروا أنّ جمعية المقاصد تعمل على نشر العلم بين أبناء بيروت، ولا تفرّق بين مسلم ومسيحي، ففي نظرها إنَّ العلم يجب أن يضم جميع أبناء الوطن ولا فرق بين غني وفقير، مسلم ومسيحي، بل اعتمدت الجمعية التعليم الديني القائم على حب الله والوطن، والإسلام المتسامح منفتح على الجميع.

أولاً: سنتطرّق إلى مساعدة السلطة المحلية من الوالي أحمد مدحت باشا وأحمد حمدي باشا للجمعية من مساعدات مالية ومن الأوقاف التي حبست لها، وكيف كانت

1) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 4 رمضان 1297هـ.

2) ثمرات الفنون: العدد 318، 5 محرم 1298هـ/6 كانون الأول 1880م. و انظر أيضًا: الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 33.

علاقة الولاة بجمعية المقاصد. فقد كانت هذه العلاقة علاقة جيدة جدًا بل ممتازة، فهناك زيارات متبادلة بين الوالي وجمعية المقاصد وما عزّز هذه العلاقة المساعدات والأوقاف التي حبسها هؤلاء الولاة للجمعية:"قدّمت جمعية المقاصد تشخيص رواية "ملكة الخضر" لأبهة والينا الأفخم، وفي أثناء التشخيص تلا جناب الأديب حسن أفندي بيهم خطابًا عن أعمال الجمعية، وحضر اللقاء قومندان موقع بيروت ومتصرّفها وكثير من الوجوه فسروا ما شاهدوه من حسن الإتقان وبلاغة الرواية المذكورة، وقد أعلن "الوالي" أنّ عمل الجمعية جارٍ على قدم التوفيق والنجاح فنرجو لها دوام التوفيق، وكانت كلمة شكر لكل من مدّ لها يد المساعدة"[1].

ولم يقتصر الأمر على زيارة جمعية المقاصد للوالي بل كان هناك زيارات متبادلة:"يوم الثلاثاء والأربعاء زار أبهة الوالي مدارس جمعية المقاصد الخيرية فسرّ كلّ السرور ممّا شاهده من النجاح والترتيب ولا سيما مدارس البنات"[2].

ولم تكن جمعية المقاصد تتوانى عن طلب المساعدة من الوالي أو من السلطات العثمانية، إن كانت مالية أو معنوية:"عرضت جمعية المقاصد على صاحب السعادة المتصرف أحمد نجيب باشا أنّ ستة وعشرين تلميذًا من تلاميذ مكاتبها الابتدائية قد أنهوا دروسهم الأولية بما أهّلهم لتلقي دروس أعلى، حيث طلبت الجمعية من المتصرف قبول هؤلاء التلاميذ عشرة منهم في المدرسة الرشدية الملكية وستة عشر في المدرسة الرشدية العسكرية"[3].

ولم تكن الجمعية تترك مناسبة إلاّ وتشارك فيها، فعند قيام الدولة العثمانية بتغيير الوالي أو استبداله بوالٍ جديد كانت الجمعية تبادر بالذهاب إلى الوالي الجديد لتهنئته:"في مدة وجود أبهة الوالي الجديد أحمد حمدي باشا في بيروت تشرفت جمعية المقاصد الخيرية بمقابلته والسلام عليه، وعرضت عليه أعمالها وقدّمت له نسخة من

---

1) ثمرات الفنون: العدد 235، 11 رجب 1296هـ/3 حزيران 1879م.

2) ثمرات الفنون: العدد 314، 17 صفر 1298هـ/21 كانون الثاني 1881م.

3) ثمرات الفنون: العدد 348، 25 شوال 1298هـ/7 أيلول 1881م.

تعليماتها المطبوعة واسترحمت مساعدته وأنظاره، فأظهر كل سرور مما سمعه ووعد بمساعدة الجمعية"[1].

أمّا بالنسبة للمساعدات المالية التي قدّمها الولاة أو سعوا بها، إن كانت مادية أو أوقافاً فهي على الشكل التالي:

فبالإضافة إلى المساعدات التي كانت تقدّمها الحكومة العثمانية لجمعية المقاصد، فقد كانت قليلة قياسًا بالأعمال التي كانت تقوم بها، فقد عمدت الجمعية إلى الطلب من الحكومة العثمانية الإيعاز إلى بلدية بيروت لتقديم بعض المساعدات للجمعية، وممّا جاء في حيثيات الطلب:"استنادًا إلى الفقرة الأخيرة من المادة الثالثة من نظام البلدية كلّف حضرة الرئيس (رئيس الجمعية) تنظيم تقرير للحكومة السنية يتضمن طلبًا بتخصيص ثلاثة آلاف قرش من واردات البلدية للجمعية لأجل صرفها بمداواة المرضى ودفن الموتى وما شابه ذلك"[2].

ولم يكن الوالي العثماني يتأخّر عن تقديم المساعدة إلى الجمعية، فكان يعمل بكل قوّة لإيجاد المساعدات للجمعية دون إبطاء أو تأخير:"تقدّمت جمعية المقاصد الخيرية بكتاب إلى الوالي مدحت باشا تطلب منه المساعدة للوصول إلى ما يمكنهم من خدمة الوطن وترقي المعارف من أبناء الطائفة الإسلامية، وقد أظهر الوالي تفهّمه لمطالب الجمعية ووعدهم بالمساعدة الفعالة اللازمة لإصلاح التعليم، وبوضع تحت تصرفهم عددًا من الأوقاف الإسلامية بما يوافق الشرع الحنيف. وقد استدعى الوالي بعض المشايخ والوجهاء وحثهم على مساعدة الجمعية، وشكّل منهم لجنة لدعم الجمعية"[3].

"وكانت هذه اللجنة مكوّنة من علماء ووجهاء البلد برئاسة العلاّمة الفاضل صاحب الفضيلة السيد عبد الله أفندي جمال الدين نائب بيروت المشهور بالعفة والاستقامة والدراية، وقد قرّرت هذه اللجنة أنّ الأوقاف التي يصرف ريعها للصدقة وإطعام الفقراء يجب أن تسلّم إلى الجمعية. وما كان شرط واقفها لغير هذه الجهات يبقى

1) ثمرات الفنون: العدد 294، 10 رمضان 1297هـ/4 آب 1880م.

2) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 9 صفر 1297هـ.

3) ثمرات الفنون: العدد 222، 6 ربيع الأول 1296هـ/24 إذار 1879م.

على حاله. وفي يوم الخميس 3 نيسان 1879م اجتمعت اللجنة بحضرة الوالي وقدّموا له جردة الأوقاف التي جرى عليها التحقيق. وحيث يوجد أوقاف يقتضي لها تحقيق، فقد أمر الوالي بتعيين لجنة نظارة من النائب المشار إليه أعلاه ورئاسة الشيخ عبد الباسط فاخوري من أجل استكمال التحقيق"[1].

لم تكتفِ السلطات العثمانية بتقديم المساعدات المعنوية، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك فقامت بتقديم مساعدات عينية:"تكرّمت نظارة المعارف الأهلية على مدارس جمعية المقاصد الخيرية بصندوق أجزاء من الكتاب العزيز"[2]. كما قامت الحكومة العثمانية بتقديم المساعدات المادية للجمعية:"طلبت وزارة المعارف من ولاية سورية تقديم مساعدة مالية لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت مقدارها 32000 ألف قرش"[3]. وقد تأكّد خبر هذه المساعدة في جريدة ثمرات الفنون إذ ورد فيها ما نصه:"صدر أمر صاحب الفخامة رئيس الوكلاء بصرف لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت من مخصصات المعارف مبلغاً وقدره إثنان وثلاثون ألف قرش في كلّ سنة لأجل التعليم وهو مآثره جليلة ويد عظيمة، فيجب شكرها أيد الله دولتنا العلية وأعز أبصارها"[4].

ولم تكتف جمعية المقاصد بالمساعدات المادية والعينية التي كانت تقدّمها السلطات العثمانية، بل عمدت إلى إتباع التمويل الذاتي حيث:"أنشأت الجمعية برسم الإيجار والانتفاع بالريع ثلاثة مخازن في أرض السمطية"[5].

ومن أجل استمرارها في تأدية رسالتها التعليمية، طالبت الجمعية بمزيد من المساعدات وخصوصًا الأوقاف لأن الأعباء قد زادت عليها بسبب مجانية التعليم في مدارسها:"طلبت الجمعية من صاحبي الفضيلة الحاكم الشرعي ومفتي البلدة بإعطائنا بعض الأوقاف الغير مضبوطة فتمّ ذلك بصدور أمر من الولاية الجليلة مبنيًا على مضبطة تقدّمت لها من اللجنة المشكلة – سابقًا – لذلك فانتفعت أعمال الجمعية بريعها كما انتفعت بما تكرّمت به وجوه البلدة والبلاد المجاورة من المساعدات ماديًا وأدبيًا. كما نرجو

1) ثمرات الفنون: العدد 223، 16 ربيع الثاني 1296هـ/11 نيسان 1879م.

2) ثمرات الفنون: العدد 323، 14 ربيع الثاني 1298هـ/2 إذار 1881م.

3) B.O.A: MF.MKT: 76/15.

4) ثمرات الفنون: العدد 325، 7 صفر 1298هـ/26 كانون الثاني 1881م.

5) الفجر الصادق، مصدر سابق، ص 9.

من أهل البر والإحسان التكرم على هذه الجمعية بما يلهمهم الله من الخير فإنّه يجزي المتصدقين ولا يضيّع أجر المحسنين".[1]

ونورد فيما يلي الأوقاف التي حبست لجمعية المقاصد، وهي أوقاف من قبل الأهالي وبمصادقة الحكومة العثمانية ، وهي أوقاف مُوَّجه شرط واقفها على البر والخيرات:"وقف الجبانات، وقف التكية، وقف جل التين، وقف المرحومة فاطمة بنت المرحوم عبدالقادر الجبيلي، وقف المرحومة الحاجة بدرة بنت المرحوم المذكور، وقف المرحوم الحاج محمد آغا الطرابلسي، وقف المرحومين بني الطيارة والحص، وقف المرحومين بني نجا وقريطم، وقف الشمع، أوقاف قفة الخبز، وقف المرحومة الحاجة طاهرة، وقف المرحوم يوسف حمود، وقف المرحوم حيدر آغا، وقف سبيل السراج، وقف المرحوم الحاج مصطفى قباني، وقف المرحوم أمين آغا رمضان، وقف سبيل السنطية، وقف المرحومة الحاجة كباسية، وقف والدة بديع اليافي، وقف المرحوم محمود بك، وقف المرحوم حسين آغا الكردلي، وقف المرحوم الحاج حسن منيمنة، وقف السبيل الذي امام الجامع الكبير العمري، وقف دكانتين مجهول واقفهما بيد عبد السلام قرنفل، وقف قطعة ارض في رأس النبع ".[2]

"وقد وقفت السيدة عائشة بنت المرحوم الحاج مصطفى آغا القباني دكان كائنة في باب الحكومة وعيّنت ريعها لجلب الماء إلى جامع الأشرفية الذي أنشأته الجمعية، وخصصت السيدة المومى اليها من ريع البيت الذي وقفته والكائن قرب المدرسة الرشدية في محلة الباشورة مبلغ ماية قرش تدفع في كل سنة".[3]

---

1) الفجر الصادق، مصدر سابق، ص9.

2) المصدر نفسه : ص31 - 32

3) الفجر الصادق: ص32 ، و أيضًا جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 6 صفر 1297هـ

أمّا المساعدات العينية من الأهالي والأفراد سنورد بعضها بحسب أهميته، لأنّ أكثرها مدوَّن في الفجر الصادق أعمال السنة الأولى .[1]

وكانت جمعية المقاصد تجتمع بين الحين والآخر مع الأهالي تطلعهم على آخر أعمالها، وتطلب منهم مؤازرتها في أعمالها وتقديم المساعدة :" اجتمع ليلة الجمعة من الأسبوع الماضي بعض وجوه الأهالي مع جمعية المقاصد الخيرية لتطلعهم الجمعية على اعمالها وما تريد أن تفعله في المستقبل . وقد قام المجتمعون بالتبرع بدفع مبلغ من المال لفتح مدرسة ثانية للإناث لكثرتهم وعدم استيعاب الأولى للأعداد الكبيرة ".[2]

وكثرت تبرعات الأفراد للجمعية وبمبالغ كبيرة قياسًا مع ذلك الزمن ومن هؤلاء الأفراد :"أن الأديب الفاضل صاحب الفضيلة الشيخ محمد أفندي بيرم تكرم بألف وستين قرشًا على صندوق الجمعية وجعل مثلها مرتّبا عليه سنويًا كما أفادتنا لجنة الزيادات فتقدّم الشكر له وتقرّر قبول المبلغ المذكور للصندوف مع إعطاء الوصل اللازم ".[3] يلاحظ ممّا تقدم أنّ الجمعية لم تكن لتقبل أي هبة دون موافقة الهيئة الإدارية ، كما أنّها لم تكن تقبل أي مبلغ دون إعطاء إيصال صادر عن الجمعية .

ولم تكن التبرعات للجمعية دائمًا أموالاً نقدية ، بل كانت في بعض الأحيان عبارة عن "ريع" لرواية كان مؤلفها يوهب ماتجنيه الرواية إلى جمعية المقاصد ، كما فعل العلامة الشيخ ابراهيم أفندي الأحدب:"في ليلة الأربعاء الواقع 8 أيار 1879 اجتمع عدد من أعضاء الجمعية في منزل الحاج محمد بيضون في محلة الباشورة لمناقشة رواية "ملكة الخضر" المعروفة "بالزباء" من تأليف العلامة الفاضل الشيخ ابراهيم أفندي الأحدب وأن يعود ريع هذه الرواية لصندوق الجمعية"[4].

---

1) المصدرنفسه: السنة الاولى ، ص 10 – 26 أيضًا الفجرالصادق : مصدرسابق السنة الرابعة ص 5 - 15

2) ثمرات الفنون : العدد 191 ، 30 شوال 1295هـ / 5 تشرين الثاني 1878م.

3) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 4 صفر1297هـ

4) ثمرات الفنون : العدد 229 ، 28 جمادى الأولى 1296هـ / 19 أيار1879م

كما كانت الجمعية تشكّل اللجان من أجل الحصول على الأموال من المحسنين كلّما دعت الحاجة إلى ذلك "لمّا كانت أمور ماليتنا تستدعي عظيم الانتباه والالتفات ففي هذه الجلسة تقرّر حصر المذاكرة عليها وتقرّر ما يأتي: وهو أنّ الجمعية عمومًا أربعة وعشرون عضوًا ورئيسهم ماعدا أحدهم الشيخ سعيد أفندي الجندي المسافر الآن بمرجعيون ينقسمون إلى اربع لجان الأولى تحت رياسة رئيس الجمعية ، والثانية تحت رياسة عبد القادر أفندي قباني ، والثالثة تحت رياسة محمود أفندي رمضان ، والرابعة تحت رياسة الشيخ طه أفندي، وكل لجنة تتركّب من خمسة من الأعضاء وريس وذلك لأجل تحصيل أموال الجمعية المتراكمة عند المحسنين وعلى ذلك تقرّر توزيع القوجانات[1] الموجودة على هذه اللجان الأربع"[2].

"كما تقرّر تعيين كلّ من أحدنا ارسلان أفندي دمشقية ومحمود أفندي رمضان وأحمد أفندي دريان لجنة لاستحصال المبلغ الذي جمع من أهالي محلة الباشورة لعمل حوض لم يتم عمله ، وذلك لصندوق الجمعية"[3].

ولم يقتصر الأمر على هبات الدولة العثمانية على الجمعية وما حبسته من الأوقاف لها ، وماتبرّع به بعض الأفراد المسلمون ، بل تخطّاه الأمر إلى تبرع بعض الأهالي المسيحيين على

جمعية المقاصد، وذلك للقيام بالأعباء الملقاة على عاتقها ، وفي ذلك تتجلّى وحدة المسلمين والمسيحيين، وسنورد بعض هذه التبرعات كما وردت في جريدة ثمرات الفنون وجلسات الهيئة الإدارية للجمعية .

---

1) القوجانات : دفاتر الايصالات

2) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 9 شعبان 1297هـ

3) جلسة الهيئة الادارية : جلسة 4 رمضان 1296هـ

"تبرّع جناب الأديب اللبيب جرجي ديمتري أفندي سرسق لجمعية المقاصد الخيرية بثلاثمائة نسخة من كتاب "المرآة السنية في القواعد العثمانية ليدرّيس به تلامذة المدارس".[1]

ومن أجل الشفافية بعملها ، كانت جمعية المقاصد تعمد إلى نشر أسماء المتبرّعين عليها في الصحف المحلية والمبلغ الذي تبرعوا به:"لا يخفى أنّ الانسان إنّما يذكر بفعله وباحسانه وجميله وحبّه بنفع أبناء وطنه والفقراء منهم خصوصًا ، وحيث أن الجرنالات هي الواسطة لاظهار مايجب من الشكر لكلّ من يتصف بالفعل والمعروف ، وأنّ جمعيتنا جمعية المقاصد في بيروت تلتمس من إدارتكم البهية (إدارة جريدة ثمرات الفنون) إعلان ماتكرم به جناب الماجد سليم أفندي بسترس المحترم الموجود في لوندرة (لندن) في إرسال الف قرش لتوزع على الفقراء بواسطتها والتفضل بأربعين كسوة: عشرون منها للصبيان وعشرون للإناث من تلامذة مدارسها الفقراء والفقيرات فتكون الجمعية قامت ببعض مايجب عليها من الشكر للأفندي المومى اليه".[2]

ولم تكن الأموال التي تبرّع بها المحسنون تُصرف فقط على حاجات التلاميذ ، وإنّما كانت تصرف على المحتاجين والفقراء والمرضى :" إنّ حضرات الخواجات يوسف أفندي وأخوته أولاد الخواجة يعقوب تابت قد أرسلوا لهذه الجمعية أربعة واربعين ريالاً مجيديًا بواسطة أحدنا حسن أفندي بيهم وذلك لإجراء، توزيعها على المحتاجين بمعرفة الجمعية، فعلى ذلك تقرّر إعطاء اثنين وعشرين ريالا منها إلى لجنة المرضى لتصرفها في أعمالها الخيرية ، وصرف الباقي على المحتاجين بعلم الجمعية "[3].

ولم تكن الجمعية تترك مناسبة إلاّ وتشكر فيها المحسنين الذين يتبرّعون لها بهبات عينية أو معنوية ، فكانت تقدّم الشكر لهم عبر جريدة ثمرات الفنون ، وهذا إن دلّ

---

1) ثمرات الفنون : العدد 231 ، 31 جمادى الثانية 1296هـ / 3 حزيران 1879م

2) ثمرات الفنون : العدد 293 ، 3 رمضان 1297هـ / 28 تموز 1880م

3) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 18 صفر 1297هـ

على شئ فإنّما يدل على مدى الشفافية في تعاطي الجمعية مع هذه الهبات :" كلفنا من طرف جمعية المقاصد (يعني عبدالقادر قباني) ان نتقدم بالشكر للكرام الذين مدّوا أيدي المساعدة من أهالي صيدا للجمعية المومى اليها بواسطة جناب رفعتلو محرم بك ، فإنّ اهتمامهم يدلّنا على مالهم من الشهامة وحبّ الانسانية وتقدّم الوطن فنشكرهم على هذا الصنيع"[1].

حتى إنّ الجمعية كانت تقدّم الشكر لمن كان يقدم لها الدعم المعنوي أيضًا عبر صفحات جريدة ثمرات الفنون :" ورد لنا من جمعية المقاصد الخيرية في بيروت ما يعرب عن تقديم الشكر لجناب الأديب الفاضل سليم أفندي الحمدي صاحب جريدة الإسكندرية لما حرّره في حق الجمعية المومى اليها من الثناء، وتمنيه النجاح لها، وحثّها على الإقدام والصبر لما ينجم عن الجمعيات من التقدم في أحوال الأمة وقد تكرّم عليها بماية كتاب لأجل التعليم بها ممّا جعل جميع هيأة الجمعية تثني أجمل ثناء على غيرته الوطنية المفطورة عليها ولا شكّ في أن عمله هذا يستوجب الشكر".[2]

في حين كان الجابي سعدالدين النقيب يقوم بتحصيل واردات الجمعية والأوقاف مقابل راتب شهري يبلغ 110 قروش[3]. وبذلك ففي السنة الأولى لتأسيس الجمعية بلغت الواردات 137064قرشا[4]. بما فيها التبرعات التي بلغت 98993قرشا[5]. وواردات الأوقاف المحصّلة في شهر جمادى الثانية إلى شهر ذي الحجة 1296هـ الموافق 1879م قد بلغت 13132قرشًا . أمّا النفقات التي وردت تحت عنوان المصارفات فقد بلغت 100749قرشا[6].

4) ثمرات الفنون: العدد 188، 10 شوال 1295هـ/25 أيلول 1878م.

2) ثمرات الفنون: العدد 205، 17 ذي الحجة 1295هـ / 2 كانون الأول 1878م

3) الفجر الصادق: مصدر سابق ، ص 28

4) المصدر نفسه: ص 30

5) المصدر نفسه: ص 26 - 30

6) المصدر نفسه: ص 26

وتشير ميزانية جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، في السنة الأولى إلى أن صندوق الجمعية في وفر دائم، لا يعاني أبدًا العجز المالي، رغم النفقات التي صرفت لمدرستي الإناث الأولى والثانية، ومدرستي الذكور الأولى والثانية، لشراء قطعة أرض لبناء مدرستين في محلة رأس النبع[1]. ولبناء جامع الأشرفية، ولمعالجة المرضى من الفقراء والمساعدات المادية التي تقدّم لبعض الفقراء فضلاً عن نفقات سفر بعثة الطلاب الخمسة لدراسة الطب في مصر".[2]

9- علاقة جمعية المقاصد في بيروت مع غيرها من الجمعيات الخيرية في ولاية سورية :

اعتبر بعض الكتاب ممن كتبوا عن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت أنّ الجمعيات الخيرية التي تشكّلت في ولاية سورية في عهد الوالي مدحت باشا، لا علاقة لها بجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، لذلك أردت تسليط الضوء على مدى ارتباط هذه الجمعيات بجمعية المقاصد، فهل هذه الجمعيات هي تابعة لجمعية المقاصد في بيروت أم لا!!!؟

أولاً سنتحدث عن تأسيس هذه الجمعيات وماذا قال الكتّاب القدامى عن علاقتهم بجمعية المقاصد، لننطلق بعدها ونأخذ كلّ جمعية على حدة ونتكلّم عليها ، وذلك استنادًا إلى الوثائق العثمانية وجريدة "ثمرات الفنون" و"جلسات الهيئة الإدارية"، لنتوصل أخيرًا إلى مدى ارتباط هذه الجمعيات بجمعية المقاصد.

يقول إكمال الدين إحسان أوغلي في الكتاب الذي أشرف عليه "الدولة العثمانية تاريخ وحضارة":"....... وبالفعل تشكلت تلك الجمعيات الخيرية الإسلامية في بلاد الشام، وأسهم فيها عدد وفير من علماء دمشق وأعيانها، وجمعت التبرعات لغرض إنشاء تلك

1) المصدر نفسه: ص30

2) المصدر نفسه: ص 27 – 29

المدارس، ونجحت في مهمتها . وفي عام 1878م، **كان هناك ثماني جمعيات موزّعة في دمشق ، طرابلس ، اللاذقية ، وعكا ، ونابلس ، وجنين ، وصيدا**".[1]

وفي رواية علي حيدر مدحت :"....... علاوة عليه فقد **تشكلت جمعية باسم المقاصد الخيرية من نخبة من شخصيات أهالي بيروت وذوي الحمية منها المترصدين (المتعقبين) ، مثل هذه المناسبة والأسلوب و أيضًا (من نفس الفئة) في طرابلس وصيدا وعكا وفي الختام (تشكلت فروع) تابعة لها أيضًا في جميع الأقضية** ".[2]

وفي كتابه عن مدحت باشا يقول يوسف كمال حتاتة :" عندما تولّى مدحت باشا ولاية سورية فكّر في إصلاح المدارس وقدّمها كما يقول – مدحت باشا – على كل إصلاح ، وشكّل لذلك جمعية من العلماء أخذت تجمع الإعانات من المحسنين ، وأصلحت هذه الجمعية بعض المساجد ، وحوّلتها إلى مدارس للأحداث . ولما كان أهالي الشام يميلون إلى بث روح التعليم ، **فقد ألّفوا جمعية سمّوها " جمعية المقاصد الخيرية " انتشرت فروعها في جميع أنحاء الولاية**".[3]

وأُسِّس في السنة نفسها عدد كبير من الجمعيات الخيرية في ولاية سورية أوردت جريدة ثمرات الفنون عددًا منها كالجمعية الخيرية في اللاذقية [4] وعكا[5] ومرجعيون[6] وحيفا[7] وحما[8] وطبريا[9] ونابلس[10] والبلقاء[11].

---

1) إكمال الدين احسان اوغلي : مرجع سابق ، ج2 ، ص 429

2) علي حيدر مدحت : مرجع سابق ، ص 209 - 210

3) يوسف كمال بك حتاتة : مدحت باشا ، مرجع سابق ،ص49

4) ثمرات الفنون : العدد 251 ، 4 ذي القعدة 1296هـ / 2 تشرين الثاني 1879م

5) ثمرات الفنون : العدد 256 ، 10 ذي الحجة 1296هـ / 12 تشرين الثاني 1879م

6) ثمرات الفنون : العدد 259 ، 1 محرم 1297هـ / 15 كانون الأول 1879م

7) جلسة الهيئة الادارية : جلسة 28 ذي القعدة 1296هـ

8) حلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 29 ذي الحجة 1296هـ

9) جلسة الهيئة الادارية :جلسة الأربعاء 2 ربيع الاول 1297هـ

10) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 21 شعبان 1297هـ

11) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 15 رجب 1297هـ

ولقد أوردت هذا الكمّ من تأسيس الجمعيات الخيرية في ولاية سورية للدلالة على أنّ تأسيسها كان في عهد مدحت باشا ، فجريدة "ثمرات الفنون" و"محاضر جلسات الهيئة الإدارية" للجمعية تشير إلى أن تأسيس هذه الجمعيات كان في عهد مدحت باشا ، وأكثر هذه المصادر والمراجع ترى أن هذه الجمعيات كانت فروعًا لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت مع العلم أنّ جمعية المقاصد في بيروت لم يكن لمدحت باشا أي علاقة في تشكيلها كما أثبتنا ذلك سابقاً، فربّما كان مدحت باشا يقوم بتشكيل هذه الجمعيات، ويطلب من جمعية المقاصد في بيروت أن تكون هذه الجمعيات شعبًا لها في المناطق ، وبالفعل كانت جمعية المقاصد في بيروت كالأم الحاضنة لجميع الجمعيات، وهذا ماسنحاول أن نثبته في متن هذا البحث . ونتطرّق إلى علاقة هذه الجمعيات بجمعية المقاصد.

عمدت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت إلى تأسيس نظام للشعب ، قبل البدء بتأسيس الجمعيات الخيرية ، من أجل قبول إنشاء شُعب في المناطق: " وقد أنشأت الجمعية نظامًا للشعب أي الفروع لجمعية المقاصد، وقررت بهذا النظام قبول إنشاء شعبة للجمعية في المناطق"[1] لو لم يكن للجمعية علاقة بالجمعيات الخيرية التي أنشئت في المناطق، فما الحاجة إذا إلى هكذا نظام، ونرى أنّها وافقت على انشاء شعبة لها في المناطق، فهذا أوّل الغيث، وإشارة واضحة إلى مدى الارتباط الوثيق لجمعية المقاصد في بيروت مع باقي الجمعيات الخيرية في المناطق أو بالأحرى التي تشكّلت في ولاية سورية.

وسنتحدث عن كلّ جمعية من الجمعيات الخيرية التي تشكّلت في ولاية سورية على حدة، وعن مدى علاقتها بجمعية المقاصد في بيروت. ونبدأ أوّلاً شعبة المقاصد صيدا: "

1) للاطلاع على مزيد من هذا النظام راجع جلسات الهيئة الادارية لشهر شوال 1296هـ

أسست جمعية المقاصد في بيروت العديد من المدارس وبنت الأبنية لريعها، وشكلت فرعا لها بمدينة صيدا".[1]

"ولمّا كانت شعبة المقاصد هنا (صيدا) ساعية لخدمة تعليم المعارف، وجد من المناسب لدى صاحب الأبّهة والدولة مدحت باشا الأفخم ، تقديم محلاً أميريا تجعله مُعدًا للتعليم، وقد رُمّمت الشعبة على حسب الإمكان ذلك المحل، وفي مساء يوم الجمعة الماضي 25 رجب حصل اجتماع جناب العالم الفاضل مكرمتلو السيد علي نائلي أفندي نائب مدينتنا، ووكيل القائمقام المحترم ومأمورين الحكومة مع مكرمتلو معلّم مدرسة الرشدية، وحَضَرو المحل الشعبة الجديد فصار استقبالهم بكل احترام، وقد توالى على الكلام عدد من الشخصيات، ومنهم جناب الأديب السيد محمد أفندي الأسير[2]، وتلا خطبة بليغة ضمّنها الشكر والتبريك عن نفسه وعن الحاضرين وعن جمعية المقاصد الخيرية في بيروت ."[3]

يلاحظ ممّا تقدّم أنّه لم يُطلق اسم جمعية صيدا، بل "شعبة المقاصد صيدا"، وهذا إنْ دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أنّ جمعية المقاصد صيدا هي شعبة أو فرع لجمعية المقاصد بيروت، ووجود أحد الأعضاء من جمعية مقاصد بيروت يقدّم التبريك للشعبة، ويشير أيضًا إلى الصلة الوثيقة بين جمعية المقاصد في بيروت وشعبة المقاصد في صيدا.

وقد تأسست شعبة المعارف في صيدا، على أنّها جمعية تقوم بأعمال البر والاحسان وفتح مدارس ابتدائية للذكور والإناث:" إنّها تشكلت على أساس أنها جمعية لأعمال البر والإحسان، وبدأت منذ ذلك الوقت في جمع المساعدات وفتح مدارس ابتدائية

---

1) حسان حلاق : مذكرات سليم علي سلام : مرجع سابق ،ص119

2) أحد أعضاء جمعية المقاصد في بيروت

3) ثمرات الفنون : العدد 388 ، 28 رجب 1297هـ / 23 حزيران 1880م

للذكور والإناث حيث تعتمد هذه المدارس على إنشاء بعض الأملاك من أجل تأمين واردات لها "[1].

وهذه الشعبة ليست كجمعية كبرى حيث جاء في وثيقة عثمانية :" بالنسبة إلى تأسيس جمعية المقاصد الخيرية في صيدا وإدارتها المدارس الخاصة فإنّ هيئة تأسيسها ليس كجمعية سالونيك الخيرية الخاصة المؤلّفة من شخصيات ذوي ثروة وأهل علم ومعرفة من سكان المدينة الكبرى"[2].

وممّا يُعزّز القول بأنَّ شعبة المقاصد في صيدا هي فرع لجمعية المقاصد في بيروت، أنّ جريدة ثمرات الفنون وفي كل اعدادها كانت تطلق اسم "شعبة" على كلّ الجمعيات الخيرية التي تشكّلت في ولاية سورية، ومنها المقاصد في صيدا وما تناقلته الجريدة: " وصل صاحب الأبّهة مدحت باشا إلى صيدا مساء الخميس، وقد خرج لاستقباله تلاميذ شعبة مقاصد صيد".[3] "بلغنا مساعي الشعبة الخيرية في صيدا واجتهادها واتحادها على ترويج مقاصدها الخيرية ".[4]

وقد ورد في عدد آخر: "أخبرنا أنّ شعبة جمعية المقاصد الخيرية في صيدا توفقت لفتح مدرسة للذكور وقرّرت فتح مدرسة للإناث".[5] وقد تكرّر إطلاق اسم "شعبة" على مقاصد صيدا: "حاول بعض الناس رمي الوشايات بين الأهالي وشعبة جمعية المقاصد الخيرية صيدا بأنّهم يقومون ببناء بعض المحلاّت في مكان للدواب لسد بعض النفقات

---

1) B.O.A: MF.MKT: 1138/64 (1+2).

اشارة إلى أنّ جميع الوثائق العثمانية تطلق اسم الجمعيات على كل جمعيات المقاصد التي تشكلت في ولاية سورية

2) B.O.A: MF.MKT: 1138/64 (1+2).

3) ثمرات الفنون : العدد 266 ، 21 صفر 1297هـ / 21 كانون الثاني 1880م

4) ثمرات الفنون : العدد 267 ، 28 صفر 1297هـ / 28 كانون الثاني 1880م

5) ثمرات الفنون : العدد 231 ، 13 جمادى الثانية 1296هـ / 3 حزيران 1879م

لتعليم أبناء المسلمين، وقد تبين للمتصرف حسن سير شعبة جمعية المقاصد من خلال التقرير الذي رفعه المكرم سعيد الجندي[1] للمتصرف".[2]

ولم تكن علاقة جمعية المقاصد الخيرية في بيروت مع باقي الجمعيات علاقة عادية، أو جمعية مع جمعية أخرى فحسب، بل كانت علاقة بمثابة الأم لأطفالها، وهي علاقة عضوية، بل حتى إنّ جمعية المقاصد في بيروت كانت مسؤولة عن هذه الجمعيات ماديًا ومعنويًا، فهذا الارتباط لا يمكن أن يكون علاقة أخوية وصداقة فقط، إنّما علاقة الراعي المسؤول عن رعيته. وهذا يظهر من خلال بعض جلسات الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد في بيروت: "لمّا كانت شعبة صيدا في حالة تستلزم مداخلة الجمعية (أي جمعية مقاصد بيروت)، فقد كلّفنا حضرة الرئيس بالذهاب اليها في فرصة العيد واتّخاذ الوسائل اللازمة لإنقاذها ممّا هي به من الارتباك"[3]. فإذا لم تكن شعبة صيدا تابعة لجمعية المقاصد في بيروت، لماذا يتدخّل رئيس الجمعية في بيروت لحلّ المشاكل العالقة لشعبة صيدا؟؟

وقد ورد إلى جمعية المقاصد في بيروت عدة رسائل من شعبة المقاصد في صيدا تطلب منها مساعدة الجمعية ، ومدّ يد العون اليها وإنقاذها ممّا هي فيه :"تلي التحرير الوارد من شعبة صيدا المتضمّن طلبها قرضها ثلاثمائة ريال مجيدي لأجل إتمام بناء الدكاكين التي باشرت بناؤها والحاوي (أي تحرير) شكايتها في ضيق الحال، وعلى ذلك تقرّر إرسال تلغرافين أحدهما إلى فضيلة مفتش الأحكام العدلية السيد عبد الله جمال الدين أفندي الذي سيشرف لمدينة صيدا يطلب به منه مدّ يد الإسعاف والمساعدة للشعبة، والثاني لشعبة صيدا يتضمّن إخبارهم أوّلا بقدوم المومى اليه، وثانيا بأنّنا قدّمنا له تلغرافا بهذا الخصوص، وثالثا بأنّ رئيسنا متوجّه لمساعدتهم"[4].

---

1) سعيد الجندي: هو المدعي العام العمومي وأحد اعضاء جمعية المقاصد في بيروت .

2) ثمرات الفنون : العدد 253 ، 25 ذي القعدة 1296هـ / 22 تشرين الأول 1879م

3) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 30 ذي القعدة 1296هـ

1)جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 30 ذي القعدة 1296هـ.

وقد جاءت الموافقة على إقراض شعبة صيدا المال الذي طلبته، وجاء في حيثيات القرار:"بناء على طلب شعبة صيدا فقد قرّرنا بالاتفاق إقراضها ثلاثمائة ريال مجيدي لحين الطلب، على أن يؤخذ بها وصل ممضي من عموم أعضائها مختومًا بختم الشعبة، ويصير إيصال المبلغ المذكور إلى الشعبة المرقومة بواسطة حضرة الريس محرم بك ، وأن يصرّح بالوصل المذكور تعهّد الأعضاء والشعبة معًا بدفع هذا المبلغ لجمعيتنا تمامًا ونقدًا عندما يطلب منها".[1]

وقد تبلّغت الجمعية بوصول المبلغ إلى شعبة صيدا: "تلي التحرير الوارد من شعبة صيدا المؤرّخ في 26 ذي الحجة 1296هـ المتضمّن وصول مبلغ الثلاثمائة ريال مجيدي المرسل لها على سبيل القرض من جمعية المقاصد في بيروت، وتلي السند المرسل بإمضاء الأعضاء وختم الشعبة"[2].

ربَّ متسائل يقول: بما أنّ شعبة مقاصد صيدا كانت تابعة أو هي فرع لجمعية المقاصد في بيروت، إذاً لماذا تقرضها المال وفي الوقت عينه تطلب منها إعادة هذه الأموال في حال توافرها في صندوق الشعبة ، للإجابة عن هذا السؤال البسيط ، وهو أنّ جمعية المقاصد في بيروت أسّست في تموز من سنة 1922 "لجنة تعليم أبناء فقراء المسلمين " وكانت تابعة للجمعية وهذه اللجنة كانت تتمتع باستقلال ذاتي وإدارة مستقلّة ، وحين كانت اللجنة تتعثر ماديًا كانت الجمعية تقرضها الأموال ، أو حتّى عندما كانت اللجنة تتعثر في أيّ موضوع كانت جمعية المقاصد في بيروت تتدخل لحلّ كلّ إشكال ، وكان للجنة ختمها الخاص.[3]

ولم يقتصر الأمر من قبل جمعية المقاصد في بيروت على مدّ يد المساعدة لشعبة صيدا ماديًا، بل تعدّاه الأمر إلى المساعدة المعنوية أيضًا: "بناء على طلب شعبة صيدا الذي

---

1) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 20 ذي الحجة 1269هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 29 ذي الحجة 1296هـ.

3) لمزيد من الأيضاحات راجع جلسات الهيئة الادارية لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت من سنة 1922 إلى سنة 1978م.

تبلّغ لنا بواسطة الريس قرّرنا إرسال ست عشرة نسخة من قانون الجمعية الداخلي للتوزيع على أعضائها، وقرّرنا أيضًا إرسال نسخة مصدقة من نظام مدارس الذكور ونظام مدارس الإناث. كما تقرّر إرسال خمسين نسخة من القواعد العثمانية هدية إلى مدارس شعبة صيدا"[1].

وبالاضافة إلى المساعدة المادية والمعنوية كانت جمعية المقاصد ببيروت تتدخل لحلّ المشاكل بين شعبة صيدا والأهالي، وقد ظهر ذلك خلال التحرير الوارد لجمعية المقاصد ببيروت، والتي تطلب منها التدخل مع أحد الأشخاص في صيدا للحصول على المبلغ الذي وعد فيه شعبة صيدا بالتبرع لها: "تلي التحرير الوارد في شعبة صيدا المؤرّخ في 3 صفر 1297هـ المتضمن طلب استحصال مبلغ ألف قرش من خليل بك الأسعد . وذلك المبلغ الذي تبرّع به البك المومى اليه لصندوق الشعبة، وعلى ذلك تقرّر إرسال تحرير خطاب إلى البك المومى اليه استنهاض همته بدفع المبلغ المرقوم لصندوق الشعبة"[2].

وعندما طلبت شعبة صيدا من جمعية المقاصد ببيروت مخاطبة الحكومة العثمانية بإعطائها قشلة[3] في صيدا من أجل فتحها مكاتب للشعبة، وكانت الشعبة لا تستطيع مخاطبة الحكومة العثمانية إلاّ عبر جمعية المقاصد في بيروت؛ وهذا يدلّ على مدى ارتباط شعبة صيدا بجمعية المقاصد في بيروت: "تلي التحرير من شعبة صيدا المتضمّن طلب المساعدة باستحصال أمر الحكومة السنية بإعطائها قشلة سليمان باشا الكائنة في صيدا مع طلب صورة الأمر الصادر من الدولة العلية بإعطاء الأوقاف المدروس شرط واقفها إلى الجمعيات الخيرية، فبالمذاكرة تقرّر إحالته لكاتب المراسلات ليجاوب

1) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 20 ذي الحجة 1296هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 9 صفر 1297هـ.

3) القشلة : الثكنة العسكرية.

عليه الشعبة المذكورة، بأنّه صار استحصال الأمر المذكور من الحكومة"[1]. وقد استطاعت جمعية المقاصد بيروت الحصول على ماتريده شعبة صيدا.

ولو لم يكن لجمعية المقاصد ببيروت علاقة أو ارتباط بالجمعيات الخيرية التي شكّلت في ولاية سورية، لم تكن لتطالبهم بضرورة تطبيق نظام الشعب على هذه الجمعيات :"دارت المذاكرة مليًا مع رئيس جمعية اللاذقية منح أفندي ومع فريد أفندي رئيس شعبة صيدا ومنيب أفندي أحد أعضائها بما يتعلّق بنظام الشُعب والجمعية في هذه المذاكرة حافظت على قرارها السابق ، ورأت لزومًا السرعة في إجرائه".[2]

لقد أوردت كلّ ما قيل عن علاقة جمعية المقاصد في بيروت وشعبة المقاصد صيدا، نقلاً عن أمهات المصادر، فواضح من خلال هذه المصادر العلاقة الوثيقة بين جمعية المقاصد بيروت والشعبة، تاركًا للقارىء الحكم على مدى هذا الارتباط، والصلة بينهما.

وفي معرض الحديث عن جمعية أخرى نرى مدى الارتباط الوثيق بين جمعية المقاصد في بيروت والجمعيات الخيرية التي تشكلت أثناء ولاية مدحت باشا لولاية سورية : جمعية اللاذقية مثلاً. فقد ورد ذكر هذه الجمعية بالكثير من جلسات الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد في بيروت ، ويستشفّ من هذه الجلسات على مدى العلاقة الوطيدة بين هذه الجمعية وجمعية المقاصد بيروت :" في هذه الجلسة تلي التحرير الوارد من الجمعية الخيرية الإسلامية التي تشكّلت في مدينة اللاذقية المؤرّخ في 13 رمضان 1296هـ والمتضمّن طلبها صور الأوراق اللازمة لها"[3] وكأنّها تطلب الأوراق الثبوتية لها أو الترخيص من جمعية المقاصد في بيروت للمباشرة في عملها.

1)جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 30 صفر1297هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 7 ذي القعدة 1296هـ.

3) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 10 شوال 1296هـ.

وبعد تشكيلها فورًا عمدت الجمعية المشار اليها إلى الطلب من جمعية المقاصد في بيروت نظام الشعب، من أجل انتظام عملها، وحتّى لا تخرج عن النظام العام لجمعية المقاصد ببيروت:"بعد أن تلي التحرير الوارد من جمعية اللاذقية المؤرخ في 23 محرم 1297هـ المتضمّن طلبها صورة نظام الشعب، تفيد الجمعية قرارها، وتقرر إرسال الجواب مع صورة النظام المذكور للجمعية المومى اليها توفيقاً للقرار".[1]

ومن الجمعيات الخيرية التي تشكّلت في ولاية سورية : الجمعية الخيرية في مدينة عكا[2]. وقد أرسلت جمعية المقاصد في بيروت رسالة تهنئة إلى هذه الجمعيات وطلبت منها، إن كان عندها الرغبة، الإنضمام إلى جمعية المقاصد في بيروت :" تلي التلغراف الوارد من عزتلو عبد الرحيم أفندي الصلح المتضمن بشرى تشكيل جمعيتين خيرتين إحداهما في عكا والثانية في حيفا ، وطلبتا قانون الجمعية وبعد تلاوته والشكر لله تعالى والثناء على من سعى بهذا الخير تقرّر تحرير كتابين يتضمنان التبريك لهما بهذه الخدمة الوطنية، وإرسال نسختين من قانون الجمعية المطبوع مع السؤال منهما رغبتهما في قبول الانضمام لهذه الجمعية تحت اسم شعبة لها ، فإن قبلتا بذلك يبادر لإرسال نظام الشعب لهما ويطلب منهما إرسال أعضاء من طرفهما ليحضرا المذاكرة العمومية ".[3]

يتضح من التلغراف الذي أرسلته جمعية المقاصد في بيروت أنّها كانت تطلب من الجمعيات الخيرية أن تنضم إليها تحت اسم "شعبة" وقد أرسلت جمعية المقاصد في بيروت برسالة أخرى إلى الجمعية الخيرية بعكا تبدّد فيها مخاوفها من أنّ الانضمام إلى جمعية المقاصد في بيروت إنّما هو انضمام معنوي، حيث ورد في إحدى الجلسات :" تقرّر إرسال جواب إلى الجمعية الخيرية بعكا يتضمّن الأسباب والبراهين اللازمة التي من شأنها أن تزيل من أفكار أعضاء هذه الجمعية ، إننا لم نقصد قط بطلبنا تحت اسم شعبة لجمعيتنا

1) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 18 صفر 1297هـ.

2) ثمرات الفنون : العدد 256 ، 10 ذي الحجة 1296هـ / 12 تشرين الثاني 1879م.

3) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 28 ذي القعدة 1296 هـ.

تقرير السيادة على جمعيتهم أصلا، بل قصدنا تمكين دواعي الارتباط بهذه الخدمة الخيرية . وقرّرنا إرسال نسخة من نظام الشعب إلى تلك الجمعية لتخفيف عن أعضائها على مايطمح أفكارهم بهذا الباب ".[1]

حتّى أنّ المراسلات بين الجمعيات الخيرية والسلطات العثمانية كانت تتمّ عبر جمعية المقاصد في بيروت ، وكأنّها هي المسؤولة عنهم ماديًا ومعنويًا :" تكلف حضرة الريس – رئيس جمعية المقاصد ببيروت- بترويج المضبطة المتقدمة من مجلس إدارة عكا للولاية بإعطاء أراضي للجمعية الخيرية وتكلّف أيضًا بطلب إنفاذ وعد دولة أفندينا الوالي بإعطاء الطابق السفلي من المكتب الرشدي العسكري".[2]

يلاحظ أنّ الجمعيات الخيرية التي تشكّلت خارج نطاق ولاية سورية لم تكن تطلب نظام الشعب، فهذه الجمعية الخيرية التي تأسست في حلب لم تطلب النظام.[3]

ننتقل للحديث عن الجمعية الخيرية التي تشكّلت في مرجعيون، لنرى أيضًا العلاقة الوطيدة والارتباط القوي بينها وبين جمعية المقاصد بيروت، فالمتتبع لمحاضر جلسات جمعية المقاصد في بيروت يجد متانة هذه العلاقة العضوية بينهما، وهي علاقة الأم بأولادها: "تلي التحرير الوارد من رئيس شعبة المقاصد الخيرية التي تشكّلت في مرجعيون، وتليت المضبطة المحررة من أعضائها المتضمنة تشكيلهم الشعبة المذكورة، وطلبهم صورة من قانون هذه الجمعية الداخلي ، فعلى ذلك تقرّر إرسال بتحرير التبريك لهم بهذه الخدمة الوطنية مع إرسال نسخة من القانون المذكور، وتقرّر أيضًا قبول الشعبة المذكورة شعبة لهذه الجمعية، واأن يبادر بإرسال نسخة من نظام الشعب لها ، وان يرسل اليها أيضًا ختم باسمها بناء لطلبها ".[4] يتضح تمامًا من هذا التحرير أنّ الجمعيات الخيرية

1) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الجمعة 29 ذي الحجة 1296هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الجمعة 29 ذي الحجة 1296هـ.

3) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 29 شوال 1296هـ.

4) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 20 ذي الحجة 1296هـ.

التي تأسست في ولاية سورية كانت تابعة لجمعية المقاصد في بيروت ، حتى أن الشعب لم تكن لتصنع ختم باسمها إلاّ بموافقة الجمعية في بيروت.

وفي الجلسة المنعقدة بتاريخ 28 ربيع الأول 1297هـ يظهر بوضوح الارتباط الوثيق بين جمعية المقاصد في بيروت وباقي الجمعيات الخيرية التي تشكّلت في ولاية سورية، فبالرغم من أنّ هذه الجمعيات كانت تتمتع باستقلال ذاتي، لكنّها في الوقت عينه لم تكن تُقدم على أيّ خطوة دون أن تعلّم الجمعية الأم، فارتباط هذه الجمعيات بالجمعية في بيروت كان ارتباطًا ماديًا ومعنويًا وعضويًا، حتّى إذا أرادت هذه الجمعيات فتح مدارس كانت تُعلم الجمعية الأم: "تلي التحرير الوارد من شعبة مرجعيون المؤرّخ بتاريخ ربيع الأول 1297هـ المتضمن بشرى افتتاحها مدرستين ابتدائيتين للذكور وصرف المساعي بافتتاح ثالثة"[1]. لو لم يكن هناك علاقة عضوية بين شعبة مرجعيون وجمعية المقاصد في بيروت، لماذا كانت تعلمها بافتتاح مدارس تابعة لها بمرجعيون.

و كانت جمعية المقاصد في بيروت تقوم بتحصيل الأموال لهذه الجمعيات الخيرية :" تقرّر تحرير جواب إلى شعبة مرجعيون على تحريرها المؤرّخ 29 جمادى الأولى 1297هـ المتضمّن طلب استحصال أمر من الحكومة بإعطائها المبلغ الذي جمع قبلاً من المسلمين في قضاء مرجعيون، وقدره خمسة آلاف قرش تقريبًا إلى الشعبة المرقومة حسب استدعاء أربابه بأنّ الجمعية – في بيروت – كلّفت رئيسها بذلك وبهمه الحميدة صار استحصال الأمر من جانب المتصرفية وأنّه واصل لقاء وبموجبه يلزم قبض المبلغ المذكور لصندوق الجمعية"[2]. يلاحظ من هذا التحرير وغيره – كما مرّ سابقاً – أنّ جمعية المقاصد كانت مرهوبة الجانب، فلم تكن تطلب شيئًا من الحكومة العثمانية أو الوالي أو المتصرف إلاّ يجاب طلبها فوراً.

1) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 10 ربيع الأول 1297هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 20 ربيع الآخر 1297هـ.

أمّا الجمعية الخيرية في طبريا فقد ورد اسمها بمحاضر جلسات الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد كما يلي:"تلي التحرير الوارد من جناب عزتلو سليم أفندي رمضان قائمقام طبريا المتضمّن بشرى افتتاحه وتشكيله جمعية من قصبة طبريا تحت اسم المساعى الخيرية وأنّه – أي القائمقام – يرغب في انضمامها لهذه الجمعية – أي جمعية المقاصد – فعلى ذلك تقرّر إرسال تحرير الشكر له، يتضمن قبول الجمعية المذكورة لهذه الجمعية، على أن يكون اسمها شعبة جمعية المقاصد الخيرية في طبريا وأن يرسل لها لفّاً صورة نظام الجمعية والشعب"[1]. ليس أدلّ من هذا على أنّ الجمعيات الخيرية التي تشكّلت في ولاية سورية كانت تابعة لجمعية المقاصد في بيروت.

أمّا في ما خص الجمعية الخيرية في نابلس فقد كانت كسابقاتها بالنسبة للعلاقة مع جمعية المقاصد الخيرية في بيروت:"بناء على التلغراف الوارد من متصرفية نابلس خطابًا لدولة أفندينا الوالي بتشكيل شعبة للجمعية في نابلس، وأنّها أرسلت حوالة بالتلغراف لأمر الجمعية على: محمد وعبد الرحيم سلام بمبلغ ثلاث عشرة ليرة عثمانية لتسلّم إلى المعلّمين الذين صار تعيينهما من طرف الجمعية إلى مدارس نابلس وجنين"[2]. حتّى انّ تعيين المعلّمين ودفع رواتبهم إلى الشُعب كان يتم من قبل جمعية المقاصد.

وكانت جمعية المقاصد في بيروت تشتري حاجيات الشُعب في المناطق وتقوم بإرسالها إليهم: "صارت تلاوة تحرير شعبة نابلس وأنيط اشتراء الأشياء المطلوبة بكلّ من أحدنا عبد القادر أفندي قباني والحاج حسن أفندي الطرابلسي، وبعده يُنظر بالجواب عن هذا التحرير مع تسفير الأشياء المذكورة"[3].

---

1) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 20 ربيع الآخر 1297هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الجمعة 21 شعبان 1297هـ.

3) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 21 شعبان 1297هـ.

ولتأكيد الصلة القوية التي تربط جمعية المقاصد في بيروت بالشُعب، كانت الجمعية ترسل المعلّمين إلى هذه الشعب: "تقرر مجاوبة محمد أفندي الإسكندراني المعلم المرسل لنابلس بالشكر والثناء عليه وحسن استنهاض هممه بأمر التعليم"[1].

بالإضافة إلى إرسال جمعية المقاصد المعلمين وحاجات الشعب، كذلك كانت ترسل الكتب إليهم:"أما الكتب التي اشترتها الجمعية بطلب شعبة نابلس لأجل مدارسها وأرسلت لها، البالغ ثمنها تسعماية وواحد وتسعين قرشًا يعطي بثمنها حوالة على السادات عبدالرحيم ومحمد سلام المأمورين بدفعة من طرق الشعبة المرقومة وذلك إلى أحدنا الحاج حسن أفندي الطرابلسي"[2].

ومن أجل إثبات العلاقة القوية بين الجمعية في بيروت وباقي الجمعيات، ويلاحظ أنّ الجمعية في بيروت كانت تتبع أسلوب الأمر مع هذه الجمعيات، حيث طلبت من الجمعية الخيرية بدمشق قبول أحد التلاميذ الذي كان مسجّلا في مدارس الجمعية في بيروت، بسبب انتقاله للعيش بالشام، وهذا لا يحصل بين المدارس المختلفة، إنّما التي بينها علاقة وطيدة وحميمة: "يحرّر إلى الجمعية الخيرية بدمشق بقبول التلميذ على رفيق في مدارسها لأنّه نقل بيته إلى دمشق بعد أن كان تلميذًا في مدارس الجمعية"[3].

وأخيرا قبل الانتقال إلى الحديث عن علاقة جمعية المقاصد في بيروت بالجمعية الخيرية بطرابلس وصور، وذلك من خلال الوثائق العثمانية، لأنّه لا يوجد في محاضر جلسات الهيئة الإدارية ما يدلّ على هاتين الجمعيتين، نودّ أن نتطرق إلى تحرير وارد من جانب الوالي مدحت باشا، والقاضي بتشكيل جمعية خيرية في البلقاء تابعة لجمعية المقاصد في بيروت، وهذا الأمر يدل على ما يلي: أولاً الثقة القوية والمكانة الكبيرة التي تحتلها جمعية المقاصد في قلب الوالي. والثاني: إنّ الجمعيات الخيرية التي تشكّلت في ولاية سورية

---

1) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 4 رمضان 1297هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 12 رمضان 1297هـ.

3) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 4 رمضان 1297هـ.

كانت بدعم من الوالي مدحت باشا، وكان يطلب من جمعية المقاصد في بيروت رعاية هذه الجمعيات:"قد تشرفت هذه الهيئة – هيئة جمعية المقاصد – بتلاوت التحريرات العلية الصادرة من جانب ملجأ الولاية خطابًا لرئاسة الجمعية المؤرّخة 15 رجب 1297هـ المتضمن أنّ دولته قد أصدر أمره إلى متصرفية البلقاء بتشكيل شعبة لهذه الجمعية بها لأجل تنظيم المكاتب التي صار إنشاؤها في نابلس وجنين وصار أمر فخامته بحسن رؤية وتمشية الوظائف المحمولة للجمعية لسبيل تأسيس وإصلاح هذه المكاتب"[1].

وقد تشكّلت في طرابلس شعبة لجمعية المقاصد الخيرية في زمن مدحت باشا، حيث أنشأت أربع مدارس للذكور ومدرستين للإناث:"وصار أن أصبحت فجوة في تأمين تمويل لهذه المدارس، حيث بلغت مصاريفها السنوية سبعة وستين ألف وستمائة قرش ومن أجل تأمين هذه النفقات، كانت الأوقاف تسدّ جزء منها والباقي كانت تقوم بتمويله جمعية المقاصد في بيروت، حيث حصلت الجمعية على موافقة من قبل الولاية الجليلة بخصوص هذا الموضوع الذي صار قيد التنفيذ تقريبا"[2].

واضح من هذه الوثيقة رعاية جمعية المقاصد ببيروت، للجمعية في طرابلس من خلال تقديم المساعدة المادية لها.

وقد تمّ إنشاء فرع لجمعية المقاصد في صور، ولكن اللافت أنّه لم يرد ذكر لهذا الفرع، لا في جريدة "ثمرات الفنون"، ولا حتّى في محاضر "جلسات الهيئة الإدارية" لجمعية المقاصد في بيروت، بل اقتصر ذكر هذه الجمعية على الوثائق العثمانية وقد جاء في طلب التأسيس: "...... لما رأينا أنّ الجامعة الإسلامية لا تقوى دعائمها ولا تتوطّد أركانها في جميع ممالك العثمانية المحروسة إلاّ بالاتفاق والاتحاد حول أريكتكم المقدسة، صانها الله وحماها، وهذا لا يتسنى إلاّ للخاصة من الأفراد المتنورين حيث إنّ القسم الاكبر من رعاياكم لا يعرفون العلم إلاّ بالسماع ظللهم الجهل حتى أصبحوا شاردين في بواديه، وهذا

1) جلسة الهيئة الإدارية: جلسة الأربعاء 15 رجب 1297هـ.

2) B.O.A: MF.MKF: 74/118.

سبب تأخّرنا عن الغربيين في الزراعة والصناعة والتجارة .... ولمّا كنا نعلم يقينا أنّ غاية أماني جلالتكم إسعاد الرعية ورقي الممالك المحروسة بنور العلم والعرفان الذي عليهما مدار الرقي والفلاح، لذلك نهضنا متوكّلين على عناية الله الأعظم وروحانية نبيه الأكرم، والتفات جلالتكم العالي لتأليف جمعية باسم "جمعية المقاصد الخيرية في قصبة صور" من أعمال ولاية بيروت الجليلة غايتها بناء مسجد في القصبة المذكورة، وإنشاء المدارس للناشئة وتربيتهم تربية إسلامية"[1] أعتقد أنّ من رفع هذه العريضة هي جمعية المقاصد في بيروت.

وفي طلب الجمعية في صور إنشاء مسجد ومدرسة جاء في الوثيقة:"داخل قضاء صور توجد أراضي رأس العين والتي يزمع أن يتم إنشاء مسجد شريف ومدرسة فيها، وذلك بعد أن تشكلت في صور جمعية المقاصد الخيرية التي تقدّمت من طرفها باستدعاء من أجل هذا الغرض، ولمّا كانت الإنشاءات المذكورة سوف تقوم على أراضي وقفية ليس لها مستندات فإنّ وزارة الأوقاف الهمايونية تغدو في هذه الحالة هي المرجعية، في إمكانية إعطاء الأراضي المذكورة"[2].

وقد تمّت الموافقة من جانب الحكومة العثمانية على إنشاء المسجد والمدرسة من أراضي الجفتلك[3] في قصبة صور[4].

وفي الحقيقة إنّه من غير الواضح علاقة جمعية المقاصد في بيروت بجمعية المقاصد في صور ، ولكن نستطيع أن نستشف أنّه لم تكن الشعب تعمد إلى مخاطبة السلطات العثمانية أو حتى الوالي إلاّ من خلال جمعية المقاصد في بيروت لذلك ارجح أن يكون هذه الخطابات ارسلت من قبل جمعية المقاصد في بيروت، وللتأكّد من الأمر أكثر

---

1) B.O.A: DH – ID: 84/10.

2) B.O.A: DH – ID: 84/4.

3) الجفتلك : أراضي تابعة للسلطان.

4) B.O.A: DH – ID: 84/5.

عمدت إلى سؤال بعض أهالي صور ، حيث أكّدوا أنه لم يكن في صور جمعية باسم جمعية المقاصد ، انه كانت توجد مدارس تابعة لجمعية المقاصد ببيروت. وقد اجتمعت مع الشيخ حسن موسى إمام مسجد صور القديم وأمين سر دار الإفتاء فيها وقال :"إنه لا يوجد في منطقة رأس العين لا مسجد ولا مدرسة أنّما يرجّح المقصود بوجود المدرسة والمسجد بمنطقة الشعيتية التي تبعد حوالي كيلومتر ونصف عن رأس العين". وفي الختام لا بدّ من كلمة أخيرة ، لقد قمت بنقل ماكتب عن هذه الجمعيات الخيرية وعلاقاتها بجمعية المقاصد حرفيًا عن محاضر جلسات الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد في بيروت ، وقمت بربطها ببعضها وتقديم تحليل بسيط عن علاقة هذه الجمعيات بجمعية المقاصد ببيروت ، وقد تبيّن من خلال هذه المحاضر العلاقة الوثيقة التي تربط هذه الجمعيات بجمعية المقاصد في بيروت، فهي كانت بمثابة الأم الحاضنة لهذه الجمعيات والراعية لها.

10- مساعدة الفقراء والمحتاجين:

لم تقتصر أعمال الجمعية على فتح المدارس للإناث والذكور، بل عدّت الجمعية مسؤولة عن الأهالي بكلّ احوالهم: العلمية – الصحية، مساعدات إنسانية، فكانت بمثابة الأم الحاضنة لأهل بيروت.

وسنتطرق في هذه المجال إلى بعض المساعدات التي كانت تقدّمها الجمعية إلى الأهالي والمجتمع المحلي، فقد جاء في إحدى الجلسات:"من مدّة شهرين حضرت لهذه البلدة الحرمة زينب بنت محمد يوسف من قرية كترمايا التابعة لصيدا، وهي محترقة بالنار فقيرة الحال، لا تملك شيئاً من الدراهم، محتاجة إلى القوت الضروري، فضلاً عن ثمن الأدوية المحتاجة لها وبما أنّه لا يوجد هنا مستشفى متخصص بالنساء المسلمات، فقد رأت الجمعية لزومًا لوضع هذه الحرمة المنكودة الخطر في دار الشيخ علي عبود، وإجراء مداواتها تحت نظارة أحدنا مصطفى أفندي شبارو"[1].

---

1) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 2 رمضان 1296هـ.

إزاء اندفاع الجمعية تجاه مجتمعها في بيروت، قام بعض أصحاب المهن الحرة من أطباء وغيرهم بتقديم المساعدة إلى المرضى عن طريق جمعية المقاصد:"حيث انّ الخواجة سنس الفرنساوي أبلغ الجمعية بواسطة أحدنا بشير أفندي البربير أنّه مستعد لأن يطبب الفقراء الذين ترسلهم له الجمعية مع شهادة منها مجاناً. والخواجة مسعود الحميري الصيدلاني أبلغ الجمعية أيضًا بواسطة أحدنا بديع أفندي اليافي أنّه مستعد لأن يعطي الفقراء المرضى الذين تشهد الجمعية بفقرهم أدوية بلا ثمن. فلذلك تقرّر تحرير شكر كلّ منهما، ولقد عينا كل من أحدنا بشير أفندي البربير وأحمد أفندي دريان ومحمود أفندي خرما ومحمود أفندي رمضان ومحمد أفندي اللبابيدي والشيخ أحمد أفندي عباس وعبدالله أفندي غزاوي لجنة للنظر بمداواة المرضى الفقراء، وتقرّر عمل ختم وتذاكر مطبوعة لهذه اللجنة، وعند اتساع أعمالها يقرّر لها نظام مخصوص"[1]. نرى كيف أنّ أهالي بيروت التفوا حول جمعية المقاصد مسيحين ومسلمين، وتقديم كلّ انواع الدعم لها:"تقرر إرسال تحرير إلى شاكر أفندي الخوري الطبيب دعوة له ليكون من أطباء هذه الجمعية الذي يخدمونها مجانًا لوجه الله"[2].

وهكذا شكّلت الجمعية لجنة معاينة ومعالجة المرضى، كما تقرّر ان يكون لها ختم خاص، وطلبت الجمعية ان يكون لها نظام عند اتّساع أعمالها، وقد خصصت موازنة خاصة للجنة المرضى لتسهيل عملها:"إنّه باتفاق الآراء قد خصصت للجنة مداواة المرض مائة قرش شهريًا تصرف لها من صندوق الجمعية لتصرفها في سبيل وظيفتها بعد تحقيق احتياج المعرف عليه مع تقديم دفتر كلّ شهر يتضمّن جهة صرفها، ممضيًا من عموم الهيئة"[3].

1) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 22 شوال 1296هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الجمعة 22 ذي الحجة 1296هـ.

3) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الجمعة 24 شوال 1296هـ.

وقرّرت جمعية المقاصد طلب مساعدة البلدية بهذا الخصوص، اذ أرسلت الجمعية كتابًا تطلب فيه إجراء ما يلزم للمرضى المحالين من قبل لجنة المرض إلى البلدية:"تقرّر إرسال تقرير لمجلس بلدية بيروت يلتمس به معرفته لجنة المرض المقامة من طرف هذه الجمعية وقبول تذاكرها من طرف طبيبه وصيدليته"[1].

وبعد فترة من إحالة كتاب الجمعية إلى مجلس بلدية بيروت وافقت البلدية على طلب الجمعية وجاء في القرار:"حيث إنّ رياسة المجلس البلدي قد أحالت تقرير هذه الجمعية المؤرّخ 29 شوال 1296هـ إلى طبيب البلدية، وأمرته أن يعتمد لجنة المرضى المقامة من طرف الجمعية، وأن يعطي الفقراء الذين يرسلون من طرفها بشهادات الأدوية اللازمة بلا ثمن كاملا لهم وأن يقدم للمجلس دفترا بذلك مع شهادات الجمعية"[2].

ولم تكتف الجمعية بتشكيل لجنة المرضى، وحصر أعمالها، بل أرادت أن يستفيد من عملها أكبر عدد ممكن من الأهالي، فعمدت إلى نشر إعلان في الصحف المحلية عن تشكيل هذه اللجنة:"قرّرنا نشر إعلان بالجرائد المحلية عن تعيين لجنة المرضى لتكون معلومة لدى العموم، فتتمكن من إيفاء وظيفتها، وقرّرنا لزوم مسارعة اللجنة المذكورة لإجراء ماكُلّفت إليه وطلبنا منها أن تجتمع وتقرّر أعمالها وتنظّم حالتها لينتفع المرضى الفقراء من مساعدتها"[3].

ومن أجل استمرار عمل اللجنة وعدم تلكؤها في تقديم الخدمات المجانية إلى الفقراء، فقد تقرر أن يصرف المبلغ المخصّص لها من صندوق الجمعية شهريًا. ومن أجل شفافية العمل طلب من اللجنة تقديم دفتر مدوّن فيه كيفية صرف الأموال:"تقرر أن

---

1) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 29 شوال 1296هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 7 ذي القعدة 1296هـ.

3) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الجمعة 9 ذي القعدة 1296هـ.

يكون صرف المبلغ المخصص إلى لجنة مداواة المرضى شهريًا وعلى اللجنة تقديم دفتر ممضي من عموم هيئتها يتضمّن جهات صرف المبلغ المذكور وأن يكون ختم بإسمها"[1].

ومن حرص الجمعية على استمرار عمل لجنة المرضى طلبت من اللجنة إعداد نظام خاص بها :"رخّصنا للجنة المرضى بأن تنظّم نظامًا لها على أن تعرضه على هيئة الجمعية فتقرره بعد أن تنقح ما يجب تنقيحه"[2].

وفكرت الجمعية بعد ازدياد حالات المرضى بين الفقراء المسلمين بإنشاء مستشفى لتطبيب الفقراء، وقد جاء في حيثيات القرار:"تقرر إحالة الطلب المتعلّق بلزوم فتح مستشفى إلى لجنة المرضى، لكي تعرض على أفندينا الوالي، وتطلب منه إسعافها بذلك"[3].

وبالفعل تقدّمت الجمعية بطلب رسمي إلى السلطات العثمانية لإعطائه بعض الغرف في سوق البازركان وإفتتاحها مستشفى:"تقرّر تكليف الرئيس تنظيم تقرير إلى ملجأ الولاية يحتوي الالتماس من جانب الحكومة السنية بإعطاء أربع عشرة أوضة[4] من خان شاهين الكائن في سوق البازركان الذي هو من الأملاك الأميرية لتكون مستشفى للفقراء"[5]. ولكن حلم الجمعية لم يتحقّق فعليًا إلاّ بعد نشأتها الثانية، حيث تمّ افتتاح مستشفى باسمها.

على الرغم من كلّ مشاغل الجمعية، والخدمات التي تقدمها للمجتمع فقد أخذت على عاتقها أيضًا مهمّة دفن موتى المسلمين:"إنّ لجنة المرضى تخابر دائرة البلدية بأمر دفن

1) جلسة الهيئة الادارية: الأربعاء 22 ذي الحجة 1296هـ.
2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 28 ذي القعدة 1296هـ.
3) جلسة الهيئة الإدارية: الأربعاء 14 ذي القعدة 1296هـ.
4) أوضة : غرفة.
5) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الجمعة 27 محرم 1297هـ.

الموتى الفقراء وتفيد – أي اللجنة – الجمعية نتيجة المخابرة"[1]، ومازالت الجمعية تتولى هذه الخدمات حتى اليوم في بيروت.

وعملت الجمعية على تطبيق السنة المطهرة لجهة ختان اولاد فقراء المسلمين، الذين لا يملكون المال الكافي لتطبيق هذه السنة:"حيث أنّه تقرّر قبلاً لدى الجمعية لزوم ختان أولاد فقراء المسلمين الذين لم يتمكّنوا من القيام بإجراء هذه السنة المطهرة، وتعيين هذه اللجنة ثلاثة من أعضائها ليبادروا مع جناب الماجد المحترم الشيخ محمد أفندي بدران لجمع مبلغ كافٍ من أرباب البر والإحسان، لتتمكن الجمعية به من إجراء هذا المشروع الخيري الديني، والأعضاء المومى اليهم بذلوا مقدرتهم لجمع ذلك المبلغ، وقد تعهّدت الجمعية بمصاريف ختان ماية ولد من الفقراء والأيتام على أنّ هاته المصاريف تصرف من صندوق الجمعية"[2].

ومن أجل التشديد في تطبيق السنة النبوية، دعت الجمعية علماء البلد وبعض الفعاليات، وذلك للنظر بعدم خروج النساء وراء الميت أثناء تشييع الجنازة، وتحديد أيام مخصوصة لهم لزيارة القبور: "دعت جمعية المقاصد الخيرية علماء البلدة ومدرّسيها وخطباءَها ودارت المذاكرة، بين الجميع على إبطال العوائد والبدع المخالفة للشرع والآداب، فتقرّر في أول الأمر اتخاذ جميع الوسائل لمنع خروج النساء خلف الميت وذهابهن إلى المقابر بلا استثناء، وأن يمنعن من زيارة القبور إلاّ في يوم السبت من كلّ اسبوع وأيام الأعياد مؤقتاً إلى أن يتيسر منعهن من زيارتها مطلقاً وأن تبطل ضوضاء العميان أمام الجنائز حيث إنّه من السنة تشييع الميت بالصمت والتفكر، ولا يجوز شرعًا خلافه، وقد تقرر ذلك على الورق ووقع عليه جميع من حضر"[3].

1) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 23 ذي القعدة 1296هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الأربعاء 10 جمادى الآخر 1297هـ ، انظر أيضًا ثمرات الفنون : العدد 384 ، 29 جمادى الثانية 1297هـ / 26 أيار 1880م.

3) ثمرات الفنون : العدد نفسه.

ومن أجل تطبيق هذا القرار الصادر عن المجتمعين، قررت الجمعية تقديم كتاب إلى الحاكم الشرعي تطلب منه إصدار فتوى شرعية بهذا القرار:"تقرّر تقديم عريضة من طرف الجمعية لفضيلة الحاكم الشرعي، نلفت بها صورة القرار المعطي من طرف العلماء والخطباء، ويلتمس من فضيلته أن يصدر حكمًا شرعيًا بتنفيذ القرار المذكور مع التنبيه على الخطباء والمدرّسين بأن ينبهوا العوام لتجنّب هذه المخالفة"[1].

وقامت الجمعية وتبرّعت بطباعة المناشير لتوزيعها على مسلمي بيروت، لمنع زيارة القبور:"تقرّر توزيع خمسماية نسخة من منع زيارات القبور للنساء بمعرفة اللجنة المقامة لتنظيم هيئة تشييع الجنازة ، كما تقرّر تقديم استدعاء إلى الحكومة المحلية في المساعدة يمنع النساء من زيارات الجبانات"[2].

وكانت الجمعية تقف إلى جانب الأهالي مع كلّ شاردة وواردة، كيف لا وهي الأمّ الحاضنة لهم، فعمدت إلى إيواء الناس في أوقات النكبات: "هطلت الأمطار بشكل شديد في بيروت، ممّا أضرّ بالمهاجرين من بلاد البلقان فهرعت جمعية المقاصد إلى إيواء المشرّدين في الأماكن العائدة لها في بيروت"[3].

وأخيراً، بالإضافة إلى انشغال الجمعية بفتح المدارس، ومساعدة المرضى والفقراء، ودفن موتى المسلمين، وتطبيق سنة الرسول، ومساعدة المنكوبين، فقد خصّصت لبعض الفقراء مرتّبات شهرية: "ساعدت الجمعية بقدر إمكانها الفقراء وثبّتت للبعض منهم مرتّبات شهرية، وهكذا سارت الجمعية في طريق النجاح ببركة الروحانية النبوية، وكانت قدوة للجمعيات التي شكّلت بعدها في البلاد الشامية"[4].

---

1) جلسة الهيئة الادارية : جلسة الجمعة 4 رجب 1297هـ.

2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 15 شعبان 1297هـ.

3) ثمرات الفنون : العدد 185 ، 26 رمضان 1295هـ / 23 أيلول 1878م.

4) الفجر الصادق : مصدر سابق ، ص9.

وهكذا نرى أنّ جمعية المقاصد اهتمت بأحوال الناس من المجتمع البيروتي، فمدّت يد المساعدة إلى كلّ فقير، وبالمقابل تطلع المجتمع المحلي من مسلمين ومسيحيين لتقديم كلّ أنواع الدعم لهذه الجمعية، حتى انّ السلطات العثمانية لم توفّر وسيلة ممكنة إلاّ وقدّمتها إلى جمعية المقاصد كونها الراعية الوحيدة لجميع شؤون المجتمع المحلي.

الفصل الثالث

تحويل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية فى بيروت

إلى شعبة المعارف.

1- مدحت باشا.
2- علاقة مدحت باشا بالسطان عبد الحميد الثاني.
3- أسباب تشكيل الاتحاد والترقي.
4- تحويل جمعية المقاصد إلى شعبة المعارف "إغلاقها".
5- شعبة المعارف.
6- أعمال شعبة المعارف.
7- المدرسة السلطانية.
8- فتح المدارس الابتدائية.
9- قضية عزل عبد القادر قباني عن مديرية معارف بيروت.
10- إغلاق جمعية المقاصد.

تحويل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية فى بيروت إلى شعبة المعارف

لفهم الأسباب الحقيقية لـ"إغلاق" أو تحويل جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية فى بيروت إلى شعبة المعارف:

لا بدّ من فهم حقيقة مدحت باشا والي سوريا، وكيف كان يفكّر، وما هي علاقته بجمعية الاتحاد أو تركيا الفتاة، واهم أهداف هذه الجمعية لجهة تأسيس الجمعيات السرية تحت ستار الجمعيات الخيرية والمدارس، ووصية مدحت باشا للاتحاد والترقى بفتح المدارس، وعلاقة مدحت باشا بالسلطان عبد الحميد الثانى، وأسباب عزله عن ولاية سورية. والعودة قليلا إلى تأسيس الجمعيات الخيرية فى هذه الولاية، والتى ساهم فى تشكيلها إلى حد كبير مدحت باشا ، ومن كان يقف فعلياً وراء تأسيس هذه الجمعيات ؟!!!

1- مدحت باشا :

مدحت باشا هو من الشخصيات التاريخية التى لم توضع فى موضعها الصحيح، ولم تُقَوَّم التقويم السليم، حيث أحيط بهالة كبيرة وقُدِّم إلى الناس كبطل للحرية والديمقراطية ومناضل ضد الظلم والطغيان والاستبداد، وهو ضحية من ضحايا السلطان عبد الحميد، وهكذا فإن القوى الماسونية والصهيونية العالمية واليهودية التى شوّهت سمعة السلطان عبد الحميد وأنزلتها إلى الحضيض، هى نفسها التى رفعت سمعة مدحت باشا إلى عنان السماء[1].

وكان الإنكليز أكثر من صفّقوا لتولى، مدحت باشا منصب الصدارة لدرجة أنّ السيد " هنري إليوت" السفير البريطانى فى استانبول آنذاك، قد وصف مدحت باشا فى

1) محمد مصطفى الهلالى : السلطان عبد الحميد الثانى بين الإنصاف والجحود ، دار الفكر ، دمشق، ط1 ،2004 ، ص.64

خطاب بعث به إلى حكومته قائلا:"إنّه من أنشط الرجال العظام الذين أنجبتهم تركيا، وأكثرهم حبّا للحرية"[1].

2- علاقة مدحت باشا بالسلطان عبد الحميد الثانى:

يقول السلطان عبد الحميد الثانى عن مدحت باشا :"إنّه وحده ينصّب نفسه وصيًا علي، وكان فى معاملته معي بعيدًا عن المشروطية، وأقرب الى الاستبداد. والذين يعرفون مدحت باشا عن قرب لا يكتمون عظم استبداده برأيه ومواقفه"[2].

ويتابع السلطان عبد الحميد في مذكراته:" أصدرت المرسوم السلطاني الخاص بالقانون الأساسي (الدستور) أثناء صدارة مدحت باشا الثانية[3]، ومن المعروف أنّ أحرار!!! ذلك العهد من شعراء وأدباء اجتمعوا مساء يوم صدور مرسوم القانون الأساسي في قصر مدحت باشا، لا ليتحدثوا في أمور الدولة، بل في أمور السكر والعربدة، وهم يحتسون الخمر، ومدحت باشا يدمن الخمر منذ شبابه[4]، ومشهور عنه هذا، والتقت نشوة الخمر بالنشوة التي بعثها إعلان القانون الأساسي، وعندما نهض مدحت من على طاولة الأكل، خرج مستندًا على أذرع الآخرين حتى لا يقع على الارض، وبينما كان يغسل يديه قال لزوج اخته طوسون باشا: ياباشا!!! من يستطيع الآن، وبعد كل ما وصلت اليه، أن يبعدني عن منصبي !!!من؟! قل لي: كم سنة سأظل في الصدارة العظمى ؟! ردّ عليه طوسون باشا قائلا: إذا بقيتم على هذه الحال، فليس أكثر من أسبوع. أنا لا أغض – يتابع السلطان الحديث – من قيمة مدحت باشا إنّه كان واليًا فعالاً مستقيمًا[5]. يتابع السلطان حديثه فيقول: "اعتقد

---

1) عمر فاروق يلماز: السلطان عبد الحميد خان الثانى بالوثائق ، ترجمة طارق عبدالجليل السيد ، دار النشر عثماني ، استانبول، ص 25.

2) الدكتور محمد حرب : مذكرات السلطان عبد الحميد ، دار القلم دمشق ، ط4 ، 1998 ، ص 76

3) الصدارة الاولى كانت عام 1872 م

4) عن إدمان مدحت باشا: راجع يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا – إستانبول 1990، ج2، ص 139.

5) الدكتور محمد حرب: مرجع سابق، ص 77 – 78.

مدحت باشا كثيرًا في أن الأمّة تحبه حبًا جمًا، ولم ير داعيًا لكتمان قوله بأنّي لو عزلته فستقوم في البلاد ثورة ضخمة وأنّه من الممكن خلعي أو حتى إعدامي"[1].

وبعد أن قويت شوكة السلطان عبد الحميد الثانى في السلطة، بدأ يتخلّص تدريجيا من سطوة مدحت باشا، فقد عمد إلى تعيين سعيد باشا الصغير رئيسا لكتاب المابين وعيّن سعيد باشا الإنكليزى مشيرًا للمابين، فخالف بذلك السلطان أول العهود التي قطعها على نفسه أمام مدحت. إذ كان لهذا المنصب أهمية كبرى لا تقلّ عن أهمية الصدارة العظمى، فرأى مدحت أنّ إسناد هذين المنصبين إلى أكثر أعداء الأحرار ضربة قوية له، ثمّ تعيين رديف باشا قائدا للجيش والدامادا (صهر السلطان) محمود جلال الدين باشا وزيرًا للحربية وجودت باشا وزيرًا للعدلية، فتألّفت من هؤلاء جميعا حاشية يسكن اليها السلطان، ويعتمد عليها، ويطلق يديها في شؤون الدولة. وقد أسر مدحت باشا هذه البادرة العدائية في نفسه[2].

وقد تفاقمت أسباب العداوة بين السلطان ومدحت، ومردّ ذلك إلى:

1- إشتراك مدحت باشا في عزل سلطانين وتنصيب سلطانين، جعله مغرورًا ومعتدًا بنفسه ومحبّاً للتسلط من جهة ، وموضع شك وريبة من السلطان من جهة أخرى.
2- أنّه جرّ الدولة العثمانية بتهوره وقصر نظره إلى كارثة كبيرة[3] إشارة إلى الحرب الروسية العثمانية (1876 – 1877)
3- إنّه أصبح يجاهر في مجالس الشراب التي كان يعقدها في بيته استخفافاً بالسلطان ، ويظهر نيته في تغيير الحكم بحكم جمهوري ، وقد اشتهر

1) المرجع نفسه: ص 85.
2) قدري قلعجي: مدحت باشا، مرجع سابق ، ص 47.
3) أورخان محمد علي: مرجع سابق، ص 121.

وتواتر ماقاله مرة وهو ثمل :"لقد حكم حتى الآن آل عثمان ، ماالمانع أن يحكم من الآن فصاعدا آل مدحت"[1].

4- قام بتشكيل وحدة من الجيش مرتبطة به وهي خارجة عن نطاق الجيش الرسمي ، على أساس أنّه "جيش الأمة " وكانت هذه الوحدة تتألف من شباب مسلمين وغير مسلمين ، وقد كثر عددهم وبدأ أفرادها يتوافدون على قصره ويهتفون ويصفقون له. وكان هذا التصرف من مدحت باشا غريباً ونشازًا لا تقبل به إدارة أية دولة مهما كانت ديمقراطية . وعندما أصدر السلطان أمرًا بتسجيل أفراد هذه الوحدة ضمن جيش الدولة لم ينفذ أمره[2].

وقد اعترف مدحت باشا بأنّه كان وراء خلع السلطان عبد العزيز حيث قال:"إننا لم نخلع السلطان عبد العزيز إلاّ طمعًا فى الوصول إلى هذه الغاية المقدسة"[3]. إشارةً إلى إعلان الدستور.

ولا بدّ إذاً أن يشتدّ الصراع بين مدحت وعبد الحميد، ويبلغ أوجه في المرحلة التي أعقبت إعلان الدستور، فقد كان لا بد من أن تثير الأعمال التي يتصرف بها أبو الأحرار كأنّه رئيس وزارة في دولة أوروبية دستورية راقية، حفيظة السلطان عبد المجيد الأول الذي أيقن بأن الأمر إذا استمر على هذه الحال، فمعناه زوال نفوذه وفقدان سيطرته[4].

وبلغت الوقاحة بمدحت باشا حدّاً كبيرًا فكان يتهم السلطان بهدم الدولة، و الإستبداد، وعدم مراعاة شؤون الدولة على النحو اللازم. وكان خطاب مدحت هذا بمثابة فرمان إعدام لنفسه، بيد أنّ السطان عبد الحميد الذي تورّع عن إراقة الدماء طوال فترة

---

1) عمرفاروق يلماز: مرجع سابق، ص 39، انظرأيضًا: الدكتور محمد حرب، مرجع سابق، ص 106.

2) أورخان محمد علي : مرجع سابق ، ص.121 ، أيضًا عمريلماز: مرجع سابق ، ص.41

3) قدري قلعجي: مرجع سابق ، ص 53.

4) أورخان محمد علي: مرجع سابق ، ص 59.

سلطنته، آثر أن يطبّق عليه المادة 113 من الدستور. فتم استدعاء مدحت باشا إلى السراي يوم 5 شباط 1877م، وطلب منه تسليم الختم الهمايوني، وأعدت مذكرة العزل التي تضمّنت كونه يعقد اجتماعات معادية للدولة في قصره منذ فترة وأنه منضم إلى جمعيات الإفساد السرية[1].

يضاف إلى هذه ألاسباب اشتراكه مع تركيا الفتاة في مقتل السلطان عبدالعزيز، وقد ثبتت التهمة عليه، إلاّ أنّ السلطان من عطفه ورحمته لم يشأ اعدام مدحت، بل اكتفى بنفيه خارج البلاد[2]. كما أن السلطان وجد وضبط أوراقا عند مدحت باشا تثبت خيانته[3].

لقد عرفنا قصة مدحت باشا مع السلطان عبد الحميد الثاني وأسباب عزله باختصار، و رأينا كيف أنّ مدحت باشا فكّر في تحويل حكم آل عثمان إلى حكم آل مدحت، ونيته في تحويل الحكم إلى نظام جمهوري، وحتى نتمّكن من معرفة أسباب عزله عن ولاية سورية وإغلاق جميع الجمعيات الخيرية التي قام مدحت باشا بتشكيلها أثناء ولايته لسوريا، من ضمنها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، التي كانت ضحية من ضحايا مدحت باشا – بالرغم من تقديم الكثير من المساعدات إليها، لأنّه – أي مدحت – كان يقوم بتشكيل الجمعيات الخيرية في ولاية سورية، ويطلب من جمعية المقاصد ببيروت أنّ ترعى هذه الجمعيات ، وقد فصّلنا هذا سابقا. وقد أثبتنا سابقاً أنّ مدحت باشا ليس له علاقة بتشكيل جمعية المقاصد في بيروت، إلاّ أنّه "ذهب الصالح بعهد الطالح". ولا بدّ أيضًا من فهم وحقيقة أمر جمعية تركيا الفتاة او الاتحاد والترقي وعلاقة مدحت باشا بها، وكيف تسترت في إنشاء الجمعيات الخيرية من أجل أعمال الخير، لكن الواضح أنّه كان وراء تأسيس هذه الجمعيات طبعا مدحت باشا بدعم ومساعدة الاتحاد والترقي، وكيف أنّ

---

1) عمريلماز: مرجع سابق، ص 45.

2) المرجع نفسه: ص 45.

3) قدري قلعجي: مرجع سابق، ص 69.

مدحت باشا أوصى بوصية طويلة الاتحاد والترقي بفتح المدارس، التي اعتبرها من أهم الوسائل لتحقيق أهدافه، حتى أنّ من أهداف الاتحاد والترقي تأسيس المدارس، وسنتحدث عن هذه العناوين بشئ من التفصيل.

3- أسباب تشكيل الاتحاد والترقي:

قبل الحديث عن علاقة مدحت باشا بجمعية الاتحاد والترقي أو تركيا الفتاة، لا بدّ من كشف الأسباب التي دعت إلى تشكيل هذه الجمعية. حرص الغرب الأوروبي بزعامة بريطانيا على إنهاء الدولة العثمانية وتوزيع أملاكها، فعمل على إنشاء حركات قومية على أيدي ما يُسمّى المتنورين والمثقفين الأتراك الذين تعلموا في الغرب وفق الأساليب العلمانية. وعلى رغم أن تاريخ الحركة التركية ضد "استبداد السلاطين"بدأت عام (1276هـ 1859م) ، عندما اكتشف في هذا العام مؤامرة كانت تستهدف إلى عزل السلطان عبد الحميد أو اغتياله إذا لزم الأمر، ممّا أدّى إلى القاء القبض على زعمائهم وزجّ بهم في السجون[1].

ففي أواخر حكم السلطان عبدالمجيد بدأت في أوساط المثقفين العثمانيين بوادر التذمر والمعارضة، وقد استمرت هذه المعارضة والنقد والشكوى في صفوف هؤلاء الذين اتّخذوا اسم "جون تورك" أي "تركيا الفتاة" اسما لجمعيتهم السرية في زمن السلطان عبدالعزيز أيضًا، ثم أخذت تطلق صيغة "جون تورك" (أي العثماني الجديد أو عضو جمعية تركيا الفتاة) على كلّ شخص ينتقد الحكومة ويقف موقف المعارض السياسي تجاهها. ولكن الظاهر أنّ نوعًا من التنظيم بدأ ينشأ بين الأفراد البارزين والمعارضين للوضع، إذ بدأوا بعقد الاجتماعات المتتالية في أماكن مختلفة بصورة سرية[2].

عمد القائمون بهذه الحركة، إلى تأسيس جمعية سرية لكي تضع دستور الحركة وبرنامجها ففي حزيران عام 1282هـ/1865م قامت مجموعة صغيرة من العناصر التركية الوطنية ذوي الميول الليبرالية، بعقد اجتماع سري اتفق فيه على تأسيس جمعية سرية

1) د.إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 966 ، ص 170-171.
2) أورخان محمد علي: مرجع سابق، ص 60.

(جمعية شباب العثمانيين). وممّا يستلفت النظر أنّ جمعية تركيا الفتاة أو جمعية شباب العثمانيين قد اتخذت لنفسها برنامجاً على غرار جمعية الكاربوناري الإيطالية ، كما أنّها نمّت بسرعة[1].

وفي 21 أيار 1889م اجتمع طالب ألباني يدعى إبراهيم تيمو ، كان يدرس في المدرسة الطبية العسكرية السلطانية مع بعض أصدقائه من الطلاب طارحًا عليهم فكرة إنشاء جمعية سرية تسعى إلى عزل السلطان عبد الحميد[2]. والتي عرفت فيما بعد بـ"جمعية الإتحاد والترقي".

ويقول w.watson ما يلي:"إنّ أعضاء تركيا الفتاة – الذين كان غرب أوروبا على اتصال دائم بهم – كانوا منقطعين وبعيدين عن الحياة التركية وطراز تفكيرها لكونهم قضوا ردحًا طويلا من الزمن في المنفى، وكانوا متأثرين وبشكل سطحي بالحضارة الغربية وبالنظريات غير المتوازنة للثورة الفرنسية. والثورة التي أنجزوها كانت نتاج عمل مدينة واحدة وهي مدينة "سلاينك" حيث نمت وترعرعت جمعية الاتحاد والترقي فيها، وتحت حماية المحافل الماسونية فـ"جمعية الاتحاد والترقي" هي المنظمة التي بدلت نظام حكم عبد الحميد، فالعقول الحقيقية للحركة كانت عقولاً يهودية أو يهودية – مسلمة (يهود الدونمة)، وقد جاءت مساعدتها المالية من أغنياء "الدونمة[3]"، "ومن يهود"، "سلانيك" ومن الرأسماليين العالميين، أو شبه العالميين في فينا وبودابست وبرلين وربّما في باريس ولندن أيضًا"[4].

---

1) د.إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص 174، أيضًا أنظر: السيد رجب حزار: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة، 1970، ص47.

2) أورخان محمد علي: مرجع سابق ، ص 270.

3) الدونمة : هم جماعة من اليهود الذين تظاهروا بالإسلام ولكنهم بقوا على دينهم يمارسون شعائرهم وطقوسهم سرا . ومعنى كلمة "دونمة" هو "المرتد" وهم اتباع حاخام يهودي ظهر في ازمير أدعى 1648 إنه المسيح المنتظر وانه سيخلص اليهود ويؤسس لهم دولتهم . وعندما أشيع انه سيقوم بحركة تمرد قبضت عليه السلطات العثمانية وسجنته وشكلت لجنة لمناقشته ، فرأى أن أسلم شئ له أن يعلن إسلام ففعل ، وتسمى "محمد عزيز أفندي" ظاهرًا وبقى على يهودية ضمنا. أنظر اورخان محمد علي : سابق ، ص.280.

4) R.W. Seton Watson: The Rise of Nationality in the Balkan, London, 1917, pp: 134-135.

ويقول أورخان محمد علي عن علاقة الاتحاد والترقي بالماسونية: "عمل الماسونيون الذين أصدروا كتاباً لهم في تركيا باسم "الماسونية في تركيا والعالم"على حصر حدودهم ودورهم في هذه المؤامرة – بالإطاحة بالسلطان عبد الحميد – حيث ينقل اورخان محمد علي عن الكتاب النص التالي: "لم يستطع عبد الحميد الثاني السماح للحركة الماسونية بالعمل لأنّها كانت تحمل مبادئ الحرية، فقام بإغلاق محافلها، ومع ذلك فقد استمرت الحركة الماسونية بشكل سري في عملها طيلة السنوات 1876 – 1909م وتأسيس المحفل التركي الكبير المرتبط بالمحفل الايطالي الكبير المسمى بمحفل "ريزورتا" في سنة 1884 من قبل "سافا باشا". وقد انتشرت الماسونية بشكل خاص في سلانيك وحو اليها ، ومع أنّ عبدالحميد حاول أن يحدّ ويشلّ الحركة الماسونية هناك إلاّ أنّه لم يوفّق في مسعاه .... وقد قامت هذه المحافل بدور كبير في تأسيس وتوسيع حركة الاتحاد والترقي"[1].

والمحافل الماسونية كانت أساس حركة تركيا الفتاة، ومن بعدها جمعية الاتحاد والترقي. وقد تحققت كلّ الأنشطة التي قامت بها حركة تركيا الفتاة اعتبارًا من سنة 1878م من قبل الماسون، حيث احتضنت المحافل الماسونية في أوروبا حركة تركيا الفتاة التي هي أساس الاتحاد والترقي ودعمتها[2].

وقد أكّد السلطان عبدالحميد علاقة تركيا الفتاة أو الاتحاد والترقي بالماسونية :"لابدّ يوما أن يفصح عن ماهية الذين سمّوا أنفسهم "الأتراك الشبان" أو "تركيا الفتاة " عن ماسونيتهم. استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أنّ كلّهم تقريباً من الماسون وأنّهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي، وكانوا يتلقّون معونة مادية من هذا المحفل"[3].

---

1) أورخان محمد علي: مرجع سابق، ص 287.

2) عمر يلماز: مرجع سابق، ص 258 – 260. أيضًا محمد مصطفى الهلالي: مرجع سابق، ص 178.

3) د . محمد حرب: مرجع سابق، ص 115.

لا حظ السلطان عبدالحميد أنّ أكثر أنصار الدستور كانوا على صلة بالساسة الأوروبيين ومن الذين يعادون الشرع الإسلامي ، لذا بدأ يلاحقهم وقام باعتقال قسم منهم . حيث انطلقوا في كلّ مكان، ويعملون على نشر أفكارهم ويؤلّفون الجمعيات السرية سواء أكانت مدنية أم عسكرية[1].

وليس أدلّ ولا أبلغ من الوثيقة البريطانية، التي ثبتّت العلاقة الوطيدة والقوية بين الاتحاد والترقي والماسونية، فينقل السفير البريطاني من الآستانة السيد "لوثر" إلى السيد "إدوارد غراي" وزير خارجية بريطانيا، خطاب لطلعت أمام المحفل الماسوني. ويعتبر السفير أنّه من الأمور المثيرة للاهتمام أن طلعت بك (وهو من كبار الإتحاديين) هو السيد العظيم للشرق الأكبر العثماني وأنّ داوود بك وهو أيضًا من كبار الاتحاديين هو سيد المحفل الدستوري[2].

لذلك بدأت الماسونية عن طريق جمعية الاتحاد والترقي تنتشر بسرعة في الممالك العثمانية عقب إعلان المشروطية[3]. نكتفي بهذا القدر بالحديث عن علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالماسونية العالمية.

أما عن علاقة مدحت باشا بجمعية الاتحاد والترقي أو بجمعية تركيا الفتاة أو حتى بالماسونية، فيقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: "كنت أرى أنّ الصدر الأعظم – مدحت باشا - يؤيّد الإنجليز ويتعاون معهم، سواء بدافع من ماسونيته أو بدافع من أسباب أخرى خاصة جدًا فيه"[4].

---

1) د. إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص204.

2) G.P.Gooch , and harlod temperly (edit): british document on the origins of the war (1898 – 1914), vol.IX, Balkan war, part I and II, the league and turkey – London 1934, sir G.lowther to sir Edward grey, the Herapia, September 6, 1910, P 207.

3) عمر فاروق يلماز: مرجع سابق، ص266.

4) د. محمد حرب: مرجع سابق، ص 107.

وينقل محمد مصطفى الهلالي، عن عبدالله التل في كتابه "الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام" ما نصّه:"من أشهر يهود الدونمة قبل مصطفى كمال أتاتورك، مدحت باشا الذي أصبح صدرًا أعظم، اشتهر بالمكر والخداع والدهاء. فوصل إلى أعلى مناصب الدولة ليكون أقوى يهودي يتمكّن من بذر الفتن في الدولة العثمانية، متظاهرًا بالاسلام ومبطنًا يهوديته"[1].

وكان مدحت باشا قد برز كقائد لحركة تركيا الفتاة في تركيا نفسها، ولو أنّه لم يكن له صلة مباشرة بالنشاط الدائر في لندن وباريس. ويعتبر نموذجا للطبقة التركية المثقفة الجديدة التي تولت المناصب الإدراية والحكومية في الدولة العثمانية[2].

4- تحويل جمعية المقاصد إلى شعبة المعارف " إغلاقها":

بعد هذا العرض الذي قدمناه عن حياة مدحت باشا وعلاقته بالسلطان عبد الحميد الثاني، وبجمعية الاتحاد والترقي وأسباب عزله عن الصدارة العظمى وتفكيره الجدّي بإعلان استقلال ولاية سورية، وجعلها ملكاً له ولأولاده[3]، الأمر الذي دفع السلطان إلى عزل مدحت عن ولاية سورية ونقله إلى ولاية أزمير . وتعيين أحمد حمدي باشا خلفًا له.

ربّ من يتساءل ما علاقة ما قدمناه: بإغلاق "جمعية المقاصد في بيروت أو تحويلها إلى شعبة المعارف؟" للإجابة عن هذا السؤال كان لا بدّ من التعرّف على أهمّ مبادئ الاتحاد والترقي والعقلية التي كانوا يفكرون بها ، لفتح المراكز السرية لجمعيتهم ، وخصوصاً فتح المدارس، كما كان لا بدّ أيضًا من معرفة كيف كان يفكرّ مدحت باشا الذي كان قائدا مهمّاً لهذه الجمعية، وكيف أنّه – مدحت – استغل اسم جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت أوسع استغلال، وراح يشكّل مراكز لجمعية الاتحاد والترقي في ولاية

---

1) محمد مصطفى الهلالي: مرجع سابق، ص 62.

2) د. اسماعيل أحمد ياغي : مرجع سابق ، ص.175

3) عبد القادر قباني: الكشاف، مرجع سابق، ص 89، أنظر أيضًا: جورج أنطونيوس: يقظة العرب: ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1966، ص.151، أيضًا انظر زين نور الدين زين: مرجع سابق، ص 65.

سورية تحت اسم الجمعيات الخيرية. وكانت هذه الجمعيات في ظاهرها تقوم بأعمال الخير وفتح المدارس، ولكنها هي في الحقيقة مراكز للاتحاد والترقي، الأمر الذي دفع السلطات العثمانية إلى إغلاق هذه الجمعيات كلّها، بعد عزل مدحت باشا وكان من بين الجمعيات التي أقفلت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، بالرغم من أن مدحت باشا لم يكن له علاقة لا من قريب ولا من بعيد في تشكيلها خلافاً لجميع الروايات السابقة، ولم يألُ جهدا في مساعدتها، الاّ أنّها كانت ضحية من ضحاياه "حيث ذهب الصالح بعهد الطالح".

أولا : سنستعرض ماقاله بعض الباحثين عن أسباب " إغلاق " الجمعية، مع أنّي لا أحبّذ كثيرًا كلمة "إغلاق" و أفضّل كلمة تحويل ، لأنّ جمعية المقاصد في بيروت حولّت إلى " شعبة المعارف "، ولم تغلق، وهذا واضح من أقوال مؤسسي الجمعية في الفجر الصادق ، اذ طلبوا من الأهالي متابعة دعم "شعبة المعارف "، وكأنّهم يقدّمون المساعدات لجمعية المقاصد[1].

والواضح أنّ الجمعية دخلت في سباتٍ عميق ، لأنّنا عندما نسأل عن عمرها، لا نستثني منها عمر شعبة المعارف 26 سنة، والانسان عندما تسأله عن عمره هل يستثني منه مدة النوم التي ينامها طول فترة حياته؟ الجواب: كلا. لذلك فلا يمكن استثناء عمر شعبة المعارف من عمر الجمعية.

ويعزو زين نور الدين زين أسباب إغلاق جمعية المقاصد في بيروت إلى وجود مناشير، معلّقة على جدران بيروت، تدعو إلى الوقوف بوجه التركي غير العربي. وقد علّقت سرّاً بعد منتصف الليل بهدف إثارة الروح الوطنية في نفوس العرب للثورة على الأتراك. ويتّضح دور المقاصد، ويتابع زين نورالدين زين – هذا في الرسالة التي بعث بها " جون ديكسون " ، وكيل القنصل العام البريطاني في بيروت إلى " جورج غوشن " السفير

1) الفجر الصادق: مصدر سابق، ص 2.

البريطاني في الآستانة يوم الأثنين 20 رجب 1297 هـ/28 حزيران 1880م، أخبره:"أن مناشير ثورية ظهرت على جدران مدينة بيروت، وهي تناشد الأهالى أن يثوروا". ويضيف "جون ديكسون" في رسالته:"أنّ رجلاً بعث برسالة إلى الوالي يتّهم جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية على أنّها وراء المناشير الثورية"[1].

ويتابع زين نورالدين زين في الرسالة الثانية التي بعث فيها "جون ديكسون" يوم السبت 25رجب 1298هـ/3 تموز 1880م، يقول:"إنّ هذه المناشير قد تكون علامة تشير إلى أنّ في الأفق بوادر تذمّر، وأنّ المسلم كالمسيحي أخذ يبدي معارضة صارخة ضد الحكم العثماني". وفي يوم الاثنين 15 صفر 1298هـ/ 17 كانون الثاني 1881م، أكّد ديكسون، أنّ مصدر المناشير الثورية هو جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية قائلا:"إنّ الرأي السائد الآن بشأن مصدر هذه المناشير الثورية التي ظهرت أخيرًا في أنحاء عديدة من سوريا (المقصود من ولاية سورية)، هو أنّها صادرة عن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. ومع أنّ هذه الجمعية تأسّست منذ سنتين ونصف برعاية مدحت باشا[2]، وتحت هذا الاسم بالذات، قد أسس مدحت باشا العديد من الجمعيات في ولاية سورية. فإنّ بعض الناس قد أكدّ لي – والكلام لديكسون – أنّ النقمة على الحكم والمطالبة بإصلاح الحال في البلاد، تعود إلى حقبة تسبق ظهور المناشير بزمن طويل ويبدو أنّ بعض هذا المجتمع الناقم، انضم إلى جمعية المقاصد الخيرية عند تأسيسها، وتحت هذا الاسم الحسن الوقع في النفس، تستطيع الجمعية أن تقوم خفية بنشاط لبلوغ أهدافها ومن دون أن تخشى اكتشاف حقيقتها"[3].

أمّا جورج أنطونيوس فإنّ له رواية مغايرة لرواية زين نورالدين زين، إذ إنه يأتي على ذكر المناشير التي أشار إليها هذا الأخير وينسب إلى جمعية بيروت السرية، فما هي

1) زين نورالدين زين: مرجع سابق، ص 62.

2) أثبتنا في وقت لاحق أن مدحت باشا ليس له علاقة بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت.

3) زين نورالدين زين: مرجع سابق، ص 65.

قصة هذه الجمعية التى تحدث عنها جورج أنطونيوس:"يرجع أول جهد منظّم في حركة العرب القومية الى سنة 1875م أي قبل ارتقاء عبد الحميد الثاني العرش بسنة واحدة ، حين ألّف خمسة شبان، في بيروت جمعية سرية، وكانوا جميعاً نصارى" ولكنّهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز اليهم، فاستطاعوا أن يضمّوا إلى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصًا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية، ويمثّلون الصفوة المختارة المستنيرة في البلاد. وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورتها التي عرفتها أوروبا، فاستطاع مؤسّسو الجمعية السرية، عن طريق أحد زملائهم، أن يستميلوا اليهم المحفل الماسوني الذي كان قد أنشئ منذ عهد قريب، ويشركوه في أعمالهم. وكان مركز منظّمتهم في بيروت، وأنشأوا لها فروعا في دمشق وطرابلس وصيدا"[1].

ولّما كانت أهدافها ثورية صريحة فلم يستطيعوا الاستفادة من وسائل النشر والإعلان، وكان كلّ عملهم في البداية مقصورًا على الاجتماعات السرية التي كانوا يتبادلون فيها الآراء ويبحثون الخطط. وبعد أن قضوا ثلاث أو أربع سنوات وهم يتآمرون متهامسين في الخفاء، أدركوا أنّ استمرارهم في الاقتصار على تلقين أنفسهم هذه المبادئ، لن تكون له من جدوى إلاّ زيادة حماستهم هم أنفسهم فقط، فعزموا على توسيع دعوتهم، واختاروا الوسيلة الوحيدة التي كان من الممكن أن تتاح لهم في ظل الحكم العثماني المتيقظ، وهي لصق المنشورات في الشوارع، من غير أن يكون عليها ما يدلّ على مصدرها. فكانوا يقضون الليالي الطويلة وهم يكتبون نسخًا كثيرة منها بخطوط يتعمّدون تغييرها لئلا تعرف، وفي هدأة الليل كان يتسلل أصغر الأعضاء سنًا فيلصقها على جدران المدينة. وفي الصباح كان الناس يحتشدون حول المنشور الملصق. وقبل أن تكون ضجّة المنشور قد هدأت في بيروت كانت ترد الأنباء عن ظهور منشورات أخرى مماثلة في دمشق وطرابلس وصيدا[2]. وكانت هذه المنشورات تتضمن تنديدًا عنيفًا بمساوىء الحكم التركي، ويهيب بالسكان العرب أن يثوروا

1) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 966 ، ص149.
2) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص150.

عليه ويطيحوا به. وسرت الاشاعات أن والي الشام مدحت باشا مطلع على سرّ الجمعية ووجودها، وأنّه – إن لم يكن مؤسسها الحقيقي – فهو على الأقل يسبغ عليها حمايته. ونسب اليه أنه كان يقصد إثارة الاضطراب في بلاد الشام ليفصلها عن حكم السلطان. يؤسس فيها مملكة لنفسه يتوارثها أبناؤه[1].

لكن الغريب في رواية جورج أنطونيوس وزين نور الدين زين أنّ كلّ واحد منهما، نسب المناشير التي وجدت على جدران بيروت إلى جهة مختلفة، فزين نور الدين زين ينسبها إلى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، وأنّ هذه المناشير كانت وراء "إغلاقها" سنة 1882م. أمّا جورج أنطونيوس فينسب هذه المناشير إلى جمعية بيروت السرية. ولكن الأغرب من ذلك أن زين نور الدين زين وجورج أنطونيوس يرجعان مصدر هذه المناشير إلى وزارة الخارجية البريطانية،

وفي التاريخ نفسه. فنرى أنطونيوس يقول:"إنّه لم يجد أيّ مصدر من المصادر المطبوعة التي رجع اليها شيئاً عن أعمال جمعية بيروت السرية، والفضل الأكبر في هذا الحديث الذي ذكرته عنها إنما يعود إلى أحد مؤسسيها الأوائل، وهو الدكتور فارس نمر[2] الذي لا يزال حيًا". (والكلام طبعا لجورج أنطونيوس) وبعد عام يتابع أنطونيوس:"أنّه عثر في مكتب السجلات العامة في لندن، على برقية أرسلها القنصل البريطاني العام في بيروت في 28 حزيران 1880م"، ونصّها كما يلي:"ظهرت في بيروت منشورات تحضّ على الثورة، و يشكّك في أنّ مدحت هو و منشئها. ومع ذلك فالهدوء يسود البلاد. التفصيلات في البريد القادم". وتلت هذه البرقية عدة رسائل رسمية، بعضها من بيروت وبعضها من دمشق، وقد تضمّنت الرسائل حوادث القصة كما وصلت إلى مسامع القناصل البريطانيين في ذلك الحين مع ملاحظاتهم وإرشاداتهم إلى مصدر المنشورات. ولكن أهمّ من ذلك أنّ القنصل العام ببيروت

---

1) المرجع نفسه: ص 151، أيضًا : زين نورالدين زين، مرجع سابق، ص 65.

2) فارس نمر: هو واحد من أهم الرجال البارزين في العالم العربي، ولد في جبل لبنان، وهاجر إلى مصر سنة 1883م، و أقام فيها منذ ذلك الحين، وهو أحد مؤسّسي "المقتطف" وهي مجلّة علمية شهيرة، وأحد مؤسسي "المقطم" وهي صحيفة، وكلتاهما تصدران في القاهرة.

رأى أنّه من الجدير، أن يبعث مع رسائله نصوصًا لثلاثة منشورات مختلفة، باللغة العربية الأصلية التي كتبت بها. وكانت أولى هذه المنشورات قد أرسلت مع رسالة مؤرّخة في 3 تموز 1880م، أمّا المنشور الثاني فقد أُرفق بنفس الرسالة، وكان أكثر حدة من الأول، و الثالث الذي أُلصق على الجدران ليلة 31 كانون الأول 1880م وهو أهم من هذه المناشير، لأنه تضمّن بياناً مدّوناً عن برنامج الجمعية السياسية وأهم النقاط فيه. منح سورية الاستقلال متحدة مع جبل لبنان"[1].

والمدقّق في هاتين الروايتين يجد أنّهما تختلفان عن بعضهما، ولكن أوجه الشبه بينهما أنّهما يحملان التاريخ عينه من قنصل بيروت، فالرواية الأولى ترى أنّ وراء المناشير جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، وكانت من الأسباب الرئيسية وراء "إغلاقها". أمّا الثانية فهي فتقول أنّ وراء هذه المناشير جمعية بيروت السرية، ومدحت باشا. لذلك لا نستطيع أن نؤكد او ننفي أن سبب "إغلاق" الجمعية لأن هذه المناشير، التي تنقضها رواية جورج أنطونيوس، وخصوصًا أنّه، ومن خلال زيارتي لمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت، والتي من المفترض أن تكون جميع وثائق الخارجية البريطانية موجودة فيها، وقد بذلت جهدًا كبيرًا في سبيل الحصول على هذه الوثيقة، لكن دون جدوى. و قام بمساعدتي دكتور في الجامعة الاميركية وعدد من الموظفين، ولساعات طويلة، وخصوصًا أن زين نور الدين زين وجورج أنطونيوس قد وضعا أرقام تلك الوثائق وقد أطلعت على الوثائق الصادرة عن القنصل البريطاني في بيروت عبر "الميكرو فيلم"، إلاّ أنّه لم يحالفني الحظ بالعثور على هذه الوثائق. لذلك أنا لا أستطيع أن اؤكّد أو انفي وجود الوثائق، حتى وإن كانت موجودة ،يُرجّح أنّ هذه المناشير التي وجدت مُعلّقة على جدران بيروت، لم تكن وراء "إغلاق" جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

أمّا نوّاف سلام فيقول عن هذه المناشير، إنّ ثمّة فكرة تتكرّر في التقرير – تقرير القنصل – مفادها أنّ "الجمعية الخيرية الإسلامية"، هي وراء ظهور هذه المناشير "الثورية"

---

1) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص 154.

في عدد من المدن. هذه الفكرة التي لا يجزم في مدى صحتها، لا نعرف كيف عرفت طريقها إلى دوائر القنصليات الأجنبية في بيروت. فمن المعروف أنّ أركان الجمعية الخيرية الإسلامية الّتي تأسست عام 1878م، وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر قباني، انطلقوا من واقع تحسسهم لخطر التعليم الأجنبي، كونه وسيلة من وسائل التغلغل الاستعماري في البلاد، ليؤسسوا مدارس خاصة لأبناء الطائفة، لا سيما بعد أن كان المسلمون قد قاطعو المؤسسات التعليمية التبشيرية[1].

إذاً من الصعب أن نصدّق أنّ من دعا وحمل مهمات التصدي للاستعمار الثقافي، يمكن أن يكون وراء دعوة انفصالية لن يستفد منها في نهاية المطاف إلاّ الدول الاستعمارية الساعية إلى تقسيم الدولة العثمانية. فهل يكون من ذكر اسم "الجمعية الخيرية الإسلامية" وتحميلها مسؤولية صدور المناشير، محاولة ما لإبعاد الأنظار عن الفاعلين الحقيقيين، وإيجاد "مظلة" إسلامية للتحرك المعادي للأتراك[2]؟

وما ينفي أيّ علاقة للجمعية الخيرية الإسلامية بهذه المناشير شهادة "فارس نمر"، وهو من كبار أعضاء جمعية بيروت السرية الذين اتصلوا ببعض وجهاء المسلمين (لا يسمى أحداً منهم) في إطار المحافل الماسونية، غير أنّ هؤلاء لم يوافقوا على الأهداف الانفصالية عن الدولة العثمانية[3]، بل أكثر من ذلك، لم يستمر اللقاء المشترك طويلاً بينهم. و تجدر الإشارة إلى أنّ المناشير قد أثارت إحتجاج بعض العائلات الإسلامية السنيّة البيروتية. ويذكر القنصل الفرنسي العام في سورية، أنّ عائلة بيهم البيروتية أرسلت إلى الوالي العثماني رسالة موقّعة من وجهائها "تدين ما جاء في المناشير من أفكار هدّامة، وتدعو إلى ملاحقة صارمة لهذه الألاعيب المجرمة[4].

1) نواف سلام: خيارات للبنان، بيروت، دار النهار، 2004، ص 166.

2) وجيه كوثراني: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان، مرجع سابق، ص 139.

3) زين نور الدين زين: مرجع سابق، ص 61.

4) وجيه كوثراني: مرجع سابق، ص 138.

وفي رأي وجيه كوثراني، أنّ تقرير القنصل البريطاني لا يعكس بصدق الواقع السياسي السائد آنذاك في سورية، واتجاهاته المختلفة. إنّه ينقل مجمل الأخبار والشائعات التي وصلت إلى هذه القناصل عن طريق المجندين المحليين. لذلك فورود خبر مسؤولية "الجمعية الخيرية الإسلامية" عن صدور المناشير، إمّا "كمظلة" إسلامية للتحرك المسيحي المعادي للعثمانيين، وإمّا لأنّ الأمر التبس على المخبرين والقناصل. وعلى كلّ حال فشهادة فارس نمر بصدد ظهور المناشير، تزيل كلّ التباس في هذا الشأن[1].

ومن الاسباب التي دعت إلى "إغلاق" الجمعية كما يروي سليم علي سلام في مذكراته :"أخذ بعض المفسدين يدّسون في الجمعية بأنها **وإن تشكّلت تحت اسم خيري، إلاّ انّها جمعية سياسية تعادي الحكومة، وصدف أنّ أحد اعضائها السيد سعيد طرباه ضبط له مركب كان يهرب بارودا** ، وهذا مايؤيّد حجة المفسدين، فأصدر الوالى أمره **بحلّ الجمعية وإلحاقها بالمعارف وسمّاها "شعبة المعارف الأهلية**"[2]. في الواقع لو كان مدحت باشا وراء تأسيس الجمعية الخيرية في بيروت، لثبتت رواية سليم علي سلام، بأنّها كانت جمعية سياسية تشكّلت تحت اسم خيري، إلاّ أنّها جمعية خيرية، وهذا ما يظهر لاحقا بأنّ الجمعيات التي أسسها مدحت باشا هي جمعيات سياسية، تشكّلت لمناوءة الحكومة العثمانية.

أمّا رواية الشيخ طه الولي فترى أنّ من الأسباب التي دعت إلى "إغلاق" الجمعية، هو ناظر الأوقاف الجديد الذي عيّنته الدولة العثمانية نعيم أفندي حيث يقول الشيخ طه:"انطلقت جمعية المقاصد، الذي قيّض لها في مدحت باشا والي سورية خير مؤازرة في مسيرتها التعليمية، إلاّ أنّ رياح إستانبول جاءت بما لا تشتهي سفن هذه الجمعية، فالسلطان عبد الحميد الثاني أصدر أرادته السنية بعزله من ولاية سورية، ونقله إلى ولاية أزمير، ثمّ إلى الطائف حيث توفي هناك، وبموت مدحت باشا فقدت جمعية المقاصد

1) المرجع نفسه: ص 142.

2) حسان الحلاق: مذكرات سليم علي سلام: مرجع سابق، ص 119.

الخيرية الإسلامية مناصرها الرئيسي، وبدأت **بالتراجع حتّى وصلت إلى حدّ صدور الأمر بحلها وإلحاقها بالدولة تحت اسم "شعبة المعارف" بدلاً من اسمها الذي وضع لها عند تأسيسها لأول مرة**[1]. واضح من رواية الشيخ طه الولي أنّ الجمعية لم تُغلق بل استبدل اسمها. ومّما ساعد على التحول الجذري في وضع الجمعية، يتابع الشيخ طه الولي الحديث:"أنّ الدولة عيّنت شخصا اسمه نعيم أفندي باسم ناظر الأوقاف، وهو لقب عمال الأوقاف في الولايات. وكان يمتّ بصلة القربى إلى شيخ الإسلام، فأخذ يناوىء الجمعية ويستغلّ منصبه للتصرف الكيفي بأوقافها والأوقاف الأخرى التي كانت تحت نظارته، مستهدفاً القضاء على هذا المشروع الإسلامي النافع، لولا أنّ الله حال بينه وبين غايته عن طريق أحمد حمدي باشا الذي تعيّن واليًا في دمشق محل مدحت باشا . **وكان هذا الوالي مطّلعاً على نشاط الجمعية المشكور في خدمتها للمسلمين، فرأى، قطعاً لدابر الوشايات، أن يلغي اسمها التأسيسي وتسميتها "شعبة المعارف" وإبقاء رئاستها للقاضي جمال الدين**، وإسناد نيابة الرياسة إلى واحد من أبناء البلد مع ابقاء أعضائها في الشعبة الجديدة"[2].

وفي الحقيقة لم نر في المصادر الأساسية، أيّ واحد منها يقرّ ويعترف "بإغلاق" الجمعية، إنّما جميعها تقول "بتحويل" الجمعية إلى "شعبة المعارف" أو هو استبدال الاسم، مّما يعني أنّ الجمعية لم تغلق، وإنّما حُولّت أو استبدل الاسم مع ابقاء الأعضاء أنفسهم أعضاء للشعبة مع استمرار أعمال الجمعية. وها هو "الفجر الصادق" وهو اهم مصدر لتأريخ الجمعية يقول ماحرفيته:"**حوّلت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت إلى "شعبة مجلس المعارف" على أنّ هذا التحويل لا يغيّر من إتمام عمل الجمعية، وحيث أن العمل في خدمة المعارف واسعاف الفقراء لم يتغيّر، فضموا من**

1) الشيخ طه الولي: مرجع سابق، ص 238.

2) المرجع نفسه: ص 238.

الذين عودوا جمعيتنا بمساعدتهم المالية والأدبية ان يتابعوا على ذلك نحو شعبة المومى اليها، ولا يغيّروا عوائدهم بإسعاف الفقيروبثّ العلوم"[1].

أمّا جريدة "ثمرات الفنون" فقد أوردت الخبر على الشكل التالي:"**صدر أمر حضرة والي الولاية الأفخم أن يشكّل في بيروت شعبة لمجلس المعارف تقوم مقام الجمعية الخيرية الإسلامية**، وفوّض، بحسب النظام رياستها الأولى، إلى حضرة العالم الفاضل النزيه صاحب الفضيلة عبد الله جمال الدين أفندي نائب بيروت، وانتخب أبّهته إلى رياستها الثانية محي الدين أفندي حمادة وإلى أعضائها كلّ من:"عبد القادر الدنا، الشيخ سعيد الجندي، عبد القادر قباني، وأصحاب الرفعة: محمد بيهم، مصباح محرم، محمود رمضان، وصاحب المكرمة رشيد الفاخوري، الشيخ محمد طبارة، الحاج محمد المغربل"[2]، حتى أن جريدة "ثمرات الفنون" التي واكبت عملية تشكيل الجمعية، وكانت من أكثر مّمن دعا إلى تشكيل جمعية إسلامية تقوم على خدمة المسلمين، لم تقل بإقفال الجمعية، بل رأت أنّها تحوّلت إلى مجلس شعبة المعارف. ولم تذكر ثمرات الفنون السبب الحقيقي لهذا التحويل، بل اكتفت بصدور أمر حضرة الوالي، بتشكيل مجلس المعارف الذي يقوم مقام جمعية المقاصد.

وأوردت جريدة لسان الحال الخبر كما يلي :" عشية أمس أقام مجلس المعارف المحدث في مدينتنا برئاسة صاحب حضرة الفضيلة والفضل جمال الدين أفندي نائب بيروت ، وتلي منه الأمر المنفذ ، متضمّناً الثناء على الجمعية الخيرية لما نهضت به في الماضي، **وموجبًا على مجلس المعارف الجديد أن ينهض بما تتطلب وظيفته في الحاضر والمستقبل ويكون قائماً مقام الجمعية المشار اليها**"[3].

---

1) الفجر الصادق: مرجع سابق، ص 403.

2) ثمرات الفنون: العدد 404، 16 محرم 1300 هـ/15 تشرين الثاني 1882م.

3) لسان الحال: العدد 524، 2 محرم 1300 هـ/18 و30 كانون الثاني 1882م.

ونلاحظ أنّ اكثر المصادر والمراجع يعتمد تسمية "تحويل" أو "تقوم مقام" أو "يستبدل اسم الجمعية "ب" ، تسمية "إغلاق" الجمعية من قبل السلطات العثمانية . إنّما استبدلت الاسم باسم آخر ، وهذا يدلّ أنّ شعبة المعارف ربما " أقول ربما" كانت امتداداً لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية مع تغيير الاسم ، على الأقلّ حتى سنة 1884 أو ربّما حتى سنة 1908م.

وهذا واضح من البيانات التي صدرت عن الجمعية بعد استبدال الاسم إلى "جمعية المقاصد" سنة م1908 وأكثر من ذلك فإنّ القييمين على شعبة المعارف هم أنفسهم كانوا الهيئة الإدارية للجمعية ربما بزيادة ، أو نقصان في عدد الاشخاص على الهيئة . لذلك لا نستطيع فصل تاريخ جمعية المقاصد في بيروت عن تاريخ شعبة المعارف. وشعبة المعارف تممت ما كانت تنوي فعله جمعية المقاصد ، فلذلك كانت وكأنّها امتدادًا لجمعية المقاصد. وممّا يؤكّد ما ذهبنا إليه أنّ شعبة المعارف "قامت مقام الجمعية" أو كما ورد في بعض المصادر "حولت إلى شعبة المعارف"، محاضر جلسات الهيئة الإدارية وقد ورد في إحدى جلساتها "أنّ نشأة المقاصد الثانية كانت بعد 1918م"[1]. وقد جاء في الجلسة المنعقدة بتاريخ 25شوال 1350هـ/3 إذار 1932م. ".... وبعد فإنّ جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية تتقدّم ببيانها السنوي لعامها الخامس والخمسين في نشأتها الأولى والثانية عشرة من نشأتها الثانية"[2]. فإذا ما قلنا إنّ النشأة الأولى كانت سنة 1878م، والثانية سنة 1918م، فلماذا يرى بعض الباحثين ممن كتبوا عن جمعية المقاصد أنّه كان للجمعية ثلاث نشآت، فإذا كانت محاضر جلسات الهيئة الإدارية لجمعية المقاصد لم تعترف أن الجمعية أغلقت سنة 1882م، فلمإذا نريد نحن أن نصرّ أنّها أُلغيت أو أُقفلت 26سنة. لذلك فهي دخلت في "سبات عميق"، وأُغلقت مرة واحدة عقب الحرب العالمية الأولى، عندما طُلب منها

---

1) جلسة الهيئة الإدارية: الثلاثاء 10 ربيع الثاني 1347هـ/25 أيلول 1928م.

2) جلسة الهيئة الإدارية: الخميس 25 شوال 1350هـ/3 إذار 1932م.

تسليم جميع الممتلكات إلى المجلس العمومي، بينما في سنة 1882 عندما حولت، لم يُطلب منها تسليم أيّ من الموجودات.

وربما تكون المناشير التي وجدت معلّقة على جدران بيروت، أو العثور على كمية من البارود على أحد مراكب أحد أعضاء سعيد طرباه، من الأسباب التي أدّت إلى "إغلاق" الجمعية أو تحويلها أو استبدالها باسم آخر، لكنّ السبب الرئيسي والحقيقي وراء هذا التحويل هو سبب سياسي بحت، وذلك يعود إلى جملة من الأمور :

إنّ مدحت باشا كان فعلاً يفكّر في الاستقلال بولاية سورية[1]، وذلك من خلال علاقته بالاتحاد والترقي، وفتح المدارس في ولاية سورية وتشكيل الجمعيات الخيرية التي ساهم فيها خير دليل على ذلك. فهذه الجمعيات وإن تكن قد شكّلت تحت اسم خيري، الاّ أنّ ظاهرها كان أعمال الخير، وباطنها سياسيًا يقوم على مناوءة الحكومة. أمّا جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، فقد تبيّن أنّها تشكلت قبل استلام مدحت باشا لولاية سورية، فكان مدحت يعمد إلى تشكيل هذه الجمعيات الخيرية، ويطلب من جمعية المقاصد ببيروت أن تضمّ او ترعا:".... وقد تشرّفت الجمعية بتلاوة التحريرات العليا الصادرة من جانب الولاية خطابا لرياسة الجمعية ، المتضمن أنّ دولته قد أصدر أمره إلى متصرفية البلقاء بتشكيل شعبة لهذه الجمعية (أي المقاصد)، لأجل تنظيم المكاتب التي صار إنشاؤها في نابلس وجنين....."[2]. أمّا لماذا أراد مدحت باشا جمعية المقاصد في بيروت ستارًا لنشاطاته السياسية، فهذا مردّه إلى أن جمعية المقاصد في بيروت، قد حازت على ثقة الحكومة العثمانية، فأراد أن يطلق على جميع الجمعيات الخيرية التي قام بتشكيلها في ولاية سورية اسم"جمعية المقاصد الخيرية".

---

1) جورج أنطونيوس: مرجع سابق ، ص151، أيضًا زين نور الدين زين، مرجع سابق، ص65.

2) جلسة الهيئة الادارية: جلسة الأربعاء 15 رجب 1297هـ.

وتتخلّص خطّة مدحت باشا في إنشاء الجمعيات الخيرية في ولاية سورية، وذلك تنفيذًا للوصية التي أوصى بها إلى جمعية الاتحاد والترقي. وسنورد القسم الأكبر من هذه الوصية، حتّى نتمكّن من معرفة مدحت باشا وتأسيس الجمعيات واهتمامه بإنشاء المدارس، وقد أتينا فيما سبق على توضيح علاقة مدحت بجمعية الاتحاد والترقي، وأهداف هذه الجمعية بتشكيل الجمعيات الخيرية، وفتح المدارس في كلّ الولايات تحقيقاً لأهدافها، بفتح مكاتب لها[1]. ومن أهمّ ما جاء في وصية مدحت للاتحاد والترقي:

1) "علّموا الأمة، رقّوا العامة، إنّ الجهل سبب كلّ علة. ولا أعني التعليم المدرسي كالصرف والنحو والحساب ولا الطب والهندسة والقضاء ، وإنّما تربية الشبان وتدريبهم على الحرية الشخصية واستغلال الفكر روح الأمة، فإذا ارتقت وتثقّفت، نشأ أبناؤها على مثالها، فالأمة التي نساؤها مثقّفات راقيات ينشأ أبناؤها أهلاً للحرية، ولو لم يتعلموا في مدارس التربية وهذه لا تثبت إلا إذا غرست في الصغر. فأولى وصاياي ترقية الشعب وتدريبه على روح الحرية".

2) ألّفوا الجمعيات السرية وأدخلوا الجند فيها. الجند هم الأمة وبأسيافهم يحمى الدستور وتستقر الحرية. إن لم يكن الجند معكم فسعيكم في سبيل الحرية يذهب عبثًا، بالجند حاربنا هذا الطاغية (عبد الحميد)".

3) "وهذه وصية خاصة أحرضكم على العمل بها، فقد كلّفني حياتي وحياة كثيرين أمثالي من الأحرار. إنّ الحرّ الصادق سريع التصديق كثير الوثوق، وقد يجرّه وثوقه إلى الخطر لأنّ الناس حوله على غير ذلك، ولاسيما عبد الحميد، إذا وصلت وصيتي إليكم وهو حي (أي عبد الحميد) فأوصيكم أن لا تثقوا بأقواله، ولو أقسم فإنه كاذب، احذروا الوثوق به فإنّ الوثوق جرّني إلى الموت، لا تصدّقوه ولو أقسم وظهرت علامات الصدق في وجهه فإنّ ذلك الوجه لا مثيل له من حيث التلّون".

---

1) عمر فاروق يلماز: مرجع سابق ، ص.265.

4) "بقيت وصية ربّما تعجبون منها فإنّ الحرية تقتضي العدل والرفق وحجب الدماء، ولكنّها لا تُنال إلاّ بسفك الدماء، فأفتكوا بالأفراد الذين يقفون في سبيل أغراضكم، لأن رجلاً واحدًا شريرًا قد يكون وجوده سببًا في خراب أمة أو ضياع حقوقها، وإذا كانت الجندية معكم فليس أهون عليكم من ذلك. كلّ من تأكدتم سعيه ضد الحرية والدستور، فأقتلوه وأنا المسؤول عن ذنبكم بقتله".

5) "وإذا أتيح لكم الفوز بالدستور فأحذروا أن تبقوا هذا الطاغية (عبد الحميد) على كرسي السلطنة، وإن ظهر لكم أنّه تاب ورجع فإنّه يظهر غير ما يضمر"[1].

وقد تزامن بدء تأسيس المحافل الماسونية مع البدء في إنشاء المدارس التي فتحت لنفس الغرض (ألا وهو هدم الجامعة الإسلامية) في المدن الكبرى ، وقد تنافست فرنسا ، وإيطاليا ، وإنجلترا التي ظهرت مرة أخرى على الساحة بعد حرب القرم 1854م – 1856م في سياسة الشرق من أجل فتح المحافل الماسونية في الدولة العثمانية ، وكان كلّ منهم يجذب اليه العناصر غير التركية من أجل توسيع نفوذه . وتغذيتها بأفكار الثورة[2].

وبالفعل فقد بدأت المحافل الماسونية بفتح مراكز لها في ولاية سورية ، حيث يذكر جورج أنطونيوس أنّ مؤسسي الجمعية الثورية السرية في بيروت، وأن كان مدحت باشا. استطاعوا أن يستميلوا اليهم المحفل الماسوني الذي كان قد أنشئ منذ عهد قريب ، ويشركوه في أعمالهم، وكان مركز منظمتهم في بيروت ، وأنشأوا لها فروعاً في دمشق وطرابلس وصيدا.[3]

ويقول د. اسماعيل ياغي أنّ نامق كمال وزملاءه من متنوري الأتراك، كانوا وراء الحركة المطالبة بالاصلاح الدستوري في عهد السلطان عبد العزيز (1864 – 1876م)،

1) د.موفق بني المرجة: مرجع سابق ، ص 408 – 409.

2) عمر فاروق يلماز: مرجع سابق، ص149.

3) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص 149.

وأوجد هؤلاء نظامًا تعليميًا علمانيًا يتألّف من المدارس الإبتدائية والثانوية، وهي مدارس كانت مفتوحة لكلّ التلاميذ على اختلاف دياناتهم[1].

يتّضح مّما تقدّم أنّ جمعية الاتحاد والترقي كانت وراء تشكيل الجمعيات الخيرية في ولاية سورية ، وبدعم مباشر من مدحت باشا، وحتى نقطع الشك باليقين ، فهذه الوثائق العثمانية تثبت ذلك:"إنّ جمعية المقاصد الخيرية المشكّلة بدعم وحماية الفرع المركزي لجمعية الاتحاد والترقي في الشام".وقد اقترحت البرقية في نهايتها:".... منح أوسمة مجيدية من الدرجة الرابعة لأحد عشر من أعضاء جمعية المقاصد الخيرية المذكورة "[2]. وقد تفرّغ أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وتركوا مشاغلهم للتفرغ لخدمة جمعية المقاصد :"... إنّ أعضاء جمعية الاتحاد والترقي شعبة الشام المركزية.....تركوا كلّ مشاغلهم وحصروا كلّ اهتماماتهم في جمعية المقاصد الخيرية"[3].

ربّما استطيع القول وإستناداً إلى ما تقدم ، ما ورد في الوثيقة العثمانية من أن الجمعيات الخيرية التي تشكلت في ولاية سورية في عهد مدحت باشا، أنّ كانت على علاقة بجمعية الاتحاد والترقي، ماعدا جمعية المقاصد في بيروت، والتي أثبتنا في ما سبق أنّ لا علاقة لمدحت باشا بتشكيلها، فكان يتّخذ جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت ستارا لتحقيق مشاريعه التي هي في الأساس مشاريع الاتحاد والترقي، والذي كان هو أحد أبرز قادتها، وذلك عن طريق فتح جمعيات خيرية ومدارس ، وهذا واضح من خلال الوصية التي بعث بها مدحت باشا إلى الاتحاد والترقي.

بعد هذا العرض السريع، أقدمت السلطات العثمانية على إغلاق جمعية بيروت السرية 1882م وأحرقت جميع وثائقها[4]. ثمّ لجأ السلطان عبدالحميد الثاني إلى الرقابة

---

1) د.اسماعيل أحمد ياغي : مرجع سابق ، ص172

2) B.O.A: DH.KMS: 46-2/9.

3) B.O.A: DH.KMS: 47/73.

4) مصطفى شبارو : مرجع سابق ، ص55

والبوليس والجواسيس والنفي لإسكات المعارضة، فصادر الصحف وأخضع المدارس التبشيرية للرقابة، وحرّم على المسلمين الالتحاق بها، كما أخضع المدارس العثمانية للرقابة وجعل المدارس الأهلية تحت الإدارة العثمانية[1].

فإذا ما أدركنا جميع هذه الاعتبارات، فهمنا لماذا أقدمت السلطات العثمانية على عزل مدحت باشا من ولاية سورية ،وبالتالي إلى إغلاق جميع الجمعيات الخيرية التي أشرف على تشكيلها، وكانت جمعية المقاصد في بيروت واحدة من هذه الجمعيات ، حيث "ذهب الصالح بعهد الطالح".

وربما كان هناك أسباب أخرى لتحويل جمعية المقاصد إلى شعبة المعارف، فقد جاء في إحدى الوثائق أنّ الجمعية قد تحولّت إلى "جمعية طاغية":" فتأسست في مدينة بيروت في هذا الوقت جمعية هدفها الظاهر هو إصلاح وتطوير المعارف، وهي أيضًا جمعية خيرية نامية. ولكن بعد تأسيسها وتشكّلها بمدة، يبدو أنّ الجمعية تحولّت إلى جمعية طاغية حيث أن بعض أعضائها الموجودين في مجلسها قد عرضوا لنا (للسلطات العثمانية) وأخبرونا عن حصول بعض الشغب والتجاوزات والفساد في هذه الجمعية، وقد أورد بعضاً منها إلى الطرف الآصفاني (الصدارة العظمى)"[2].

وهكذا طويت صفحة ناصعة ومجيدة من تاريخ جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، حيث أُدخلت في غيبوبة دامت 26سنة ، وأعطيت اسمًا غير الاسم التي تأسست عليه ، فجمعية المقاصد في بيروت لم تغلق وتصادر أملاكها أسوة بباقي الجمعيات الأخرى ، إنّما حوّلت إلى اسم آخر " شعبة مجلس المعارف،" وهذا ما سنسلط الضوء عليه.

---

1) أحمد عبدالرحيم مصطفى: في اصول التاريخ العثماني ، القاهرة ط2 ، 1993 ، ص254 - 255

2) B.O.A: Y.PRK.BŞK: 48/116.

5- شعبة المعارف:

نجد أنّ اكثر الباحثين الذين كتبوا عن جمعية المقاصد في بيروت، كانوا يصلون إلى فترة "إغلاق" الجمعية 1300هـ/1882م أو تحويلها إلى شعبة المعارف، ويتوقّفون عن الكتابة، ويتجاوزون فترة 26سنة ، ليعودوا ويكتبوا مجدّدًا بعد إعادة التسمية التي سمّيت بها عند افتتاحها أي جمعية المقاصد. وكأنّ شعبة المعارف لا تعنيهم أو ربّما لعدم وجود مصادر أو مراجع لهذه الفترة، فشعبة المعارف تابعت الأعمال التي كان على الجمعية القيام بها، لذلك لا نستطيع إهمال فترة تحول الجمعية إلى شعبة المعارف. صحيح أنّنا لا نستطيع اعتبار شعبة المعارف أنّها امتداد لجمعية المقاصد على الأقلّ بعد 1884م، لكن المدقّق في قرار "الإقفال" وإعادة افتتاحها 1908م، يجد أن روح جمعية المقاصد موجودة في الشعبة. صحيح أنّ- الشعبة – لم تقم بأعمال تذكر، إلاّ أنّنا لا نستطيع إسقاط هذه الفترة المهمة من تاريخها وارتباطها بالجمعية. سنورد بعض ما تناقلته الصحف والمصادر والمراجع يوم إقفال الجمعية. حتّى يتبيّن لنا مدى العلاقة الوثيقة والوطيدة بين الجمعية والشعبة ، ونترك الحكم للقارئ.

قبل نقل ما ورد في الصحف المحلية وبعض المصادر والمراجع عن "الاغلاق" – نرى أنّه ليس إغلاقًا بل تحولاً من اسم إلى آخر – لابدّ من أخذ العلم أنّ الإقفال قد نال من كلّ الجمعيات الخيرية أو الشعب التي أسّسها مدحت باشا وإلى سورية:"ولا يفوتنا أن عددًا من هذه الجمعيات التي أُنشئت في العهد الحميدي، حلّت سنة 1881م- 1882م ، إذ اتّهمت السلطات العثمانية أعضاءها، بإصدار المناشير المنتقدة للحكومة، وأحلت محلها " مجالس المعارف""[1].

وبعد أن أصدرت السلطات العثمانية أمرها إلى الولاة بضرورة تشكيل " شعبة لمجلس المعارف" في الولايات، تمّ حلّ جمعية المقاصد. فقد أوردت جريدة ثمرات الفنون الخبر كالآتي:" صدر أمر حضرة والي الولاية الأفخم أن يشكّل **في بيروت شعبة لمجلس**

1) إكمال الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ص430.

المعارف يقوم مقام الجمعية الخيرية الإسلامية"[1] والواضح من هذا أنّ الحكومة المحلية لم تتخذ قرارًا بإقفال الجمعية، بل جلّ مافي الأمر، أنّها حولتها إلى مجلس لـ "شعبة المعارف"، مع الإبقاء على أكثر أعضاء جمعية المقاصد[2].

أمّا جريدة لسان الحال فقد أوردت خبر"إغلاق" كما يلي:"عشية أمس التأم مجلس المعارف المحدث في مدينتنا برئاسة حضرة صاحب الفضيلة والفضل جمال الدين أفندي نائب بيروت، وتلي منه الأمر المنفذ، متضمّنًا الثناء على الجمعية الخيرية لما نهضت به في الماضي وموجبًا على مجلس المعارف الجديد أن ينهض بما تتطلب وظيفته الحاضر والمستقبل ، **ويكون قائمًا مقام الجمعية المشار إليها"**[3].

وأورد الفجر الصادق الخبر التالي :"**حولت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت إلى "شعبة مجلس المعارف"** على أنّ هذا التحويل لا يغيّر من إتمام عمل الجمعية، وحيث أن العمل في خدمة المعارف وإسعاف الفقراء لم يتغير، **فنرجو من الذين عودوا جمعيتنا بمساعدتهم المالية والأدبية أن يداوموا على ذلك نحو الشعبة المومى اليها، ولا يغيروا عوائدهم بإسعاف الفقير وبث العلوم** "[4]. إذا كان أهمّ مصدر عن تاريخ جمعية المقاصد لم يقل بإغلاق الجمعية، بل استخدم تعبير "تحويل"، لماذا يصر بعض الباحثين على استخدام تعبير"إغلاق"؟؟؟

أما الشيخ عبدالقادر قبّاني فيقول في الكشاف:"... ولعلم حمدي باشا بسعي الجمعية المشكور وخدمتها للمعارف، **رأى قطعًا لدابر الوشايات ان يستبدل اسم الجمعية باسم "شعبة المعارف"**[5].

1) ثمرات الفنون: العدد 404، 16 محرم 1300هـ/15 تشرين الثاني 1882م.

2) ثمرات الفنون: العدد 405، 23 محرم 1300هـ/ 22 تشرين الثاني 1882م.

3) لسان الحال: العدد 524، 2 محرم 1300هـ/18 و30 كانون الثاني 1882م.

4) الفجر الصادق: أعمال السنة الرابعة، مرجع سابق، ص88.

5) عبد القادر قباني: الكشّاف، مرجع سابق، ص88.

وهكذا نرى أنّ السلطات العثمانية لم تعمد إلى إقفال أو إلغاء "جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت" بل عمدت إلى تحويل اسمها، بعكس مافعلته مع الجمعيات الأخرى او مع الشعب التي ساهم بتشكيلها مدحت باشا والي سورية . فقد ذكرت الوثائق العثمانية عند إقفال شعبة صيدا مايلي:"... وبما أنّ إدارة هذه الجمعيات – صيدا – تعود إلى الدور السابق، ولذلك كان هناك الاقتراح الذي يقضي بتغيير وتبديل الجمعية واسمها وقلبها جمعية معنوية تابعة إلى لجنة محلية للمعارف، وهذا من أجل تحويل وارداتها ونفقاتها لكي تصبح تحت سيطرة شرعية وحرة"[1]. وقد جاء في وثيقة أخرى:" في صيدا فإنّ لجنة محلية للمعارف قد تمّ إنشاؤها لتكون بديلاً عن جمعية المقاصد الخيرية"[2] .

وتتابع أخبار عملية إغلاق جمعية المقاصد في صيدا بالوثائق العثمانية :"في تاريخ 13 تموز 1332هـ تحت الرقم 115، ومن جهة الجواب على الأذن فإنّ "لجنة معارف صيدا" قد رأت أنّه من المناسب ان يتمّ تغيير اسم جمعية المقاصد، ووفقاً لتصور اللجنة، فإنّ التدقيق في الأحوال والأمور المماثلة يعتبر اقتضاء الإلغاء، ويلزم أيضًا تبليغ الولاية بذلك إشعارًا مرسلاً لطرفها بذلك بأشد ماهو مستطاع يجب إظهار المجازاة بأقوال وسيلة محكمة يقتضي أيضًا إصدار فرمان من الإدارة الشريفة يتضمّن الإجراءات المتخذة في السياق المذكور"[3].

أمّا جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت فقد ورد في الوثائق العثمانية خبر تحويلها إلى شعبة المعارف كما يلي:"إنّ هذه الجمعية –مقاصد بيروت – هي جمعية قامت في الأساس من أجل تأسيس وإدارة المدارس الخصوصية وهي أيضًا جمعية خيرية ،..... فإنّ لجنة مجلس المعارف المذكور، ومنذ بداية تأسيسه كان له شغل مع جمعية المقاصد ..... وعلى الرغم من ذلك، فقد إستمرت ادارة الجمعية المذكورة وحدها فقط في

1) B.O.A: MF.MKT: 1138/64.

2) Ibid.

3) Ibid.

استعمال الاسم (القديم) في رسائلها وتحريراتها ، وهكذا صار لجمعية المقاصد الخيرية اسمان مستخدمان يعبّران عن عنوان واحد"[1]. ألا يكفي ما تقدّم من أدلّة على أنّ جمعية المقاصد في بيروت لم تغلق ولم تقفل؟ إنّما حولت وبقيت مراسلاتها مع السلطات العثمانية تحت اسم جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

وفي وثيقة أخرى تظهر أنّ جمعية المقاصد في بيروت لم تلغ، بل كانت توأمًا لمجلس المعارف:"لقد تشكّلت الجمعية المسماة جمعية المقاصد الخيرية وتنظمت كجمعية محلية تقوم باستيفاء وجمع واردات وإعانات محلية من أجل عملها المشكور في تكثير عدد المدارس الابتدائية وتحقيق مقصد الإصلاح، وبالمقابل أيضًا تشكّلت لجنة المعارف التي تمّ تنظيمها من أجل ان تقوم من طرفها بنفس الأعمال متّخذة لنفسها اسمًا هو "لجنة المعارف المحلية" حيث تم توسيع المعاملات التابعة لها بإطّراد، وذلك في سبيل أن تصبح الرقم الأول في المعادلة ومن نواح عديدة حتى يتمّ استبدال اسم جمعية المقاصد الخيرية باسم لجنة المعارف، وأنّ هذا يجب أن يكون أمرًا لازماً، وأنّ معاملات الجمعية ومعاملات لجنة المعارف يجب أن تكون مربوطة بإدارة المعارف"[2].

لذلك وبناء على ما تقدّم لا يمكن فصل تاريخ جمعية المقاصد الخيرية في بيروت عن تاريخ شعبة المعارف، حيث طالعتنا جريدة "ثمرات الفنون" في أحد أعدادها بما يلي:"بناء على ما بلغ أبّهة الوالي الأفخم من وجود اختلاف بين أعضاء شعبة المعارف، صدر أمره الكريم أن تكون في حكم الملغاة – أي أعضاء الشعبة – أن يصير تشكيلها بقالب آخر مع تحديد وظائفها، فبعد أن جرى انتخاب الأعضاء للشعبة وجرى تصديق أبّهته، وصدرت التذاكر من سعادة متصرف بيروت بتعيين الأفندية الآتية أسماؤهم أعضاء لشعبة معارف بيروت، وهم المفتي عبد الباسط أفندي الفاخوري، أحمد عزت العابد، محيي الدين بيهم، الأمير مصطفى ارسلان، عبد القادر الدنا، عمر الغزاوي، عبد القادر قباني، حسن بيهم،

1) B.O.A: MF.MKT: 1138/64.

2) B.O.A: MF.MKT: 1138/64.

رفعلتو محرم بك، مصطفى بك مدير المكتب الرشدي العسكري، والوجهاء: الحاج ابراهيم الطيارة، محمود درويش، محمود الخوجة، محمود رمضان، بديع اليافي، عثمان بيهم، أحمد دريان، الشيخ طه النصولي، محمد أبو سليم مغربل"[1]. فالمدقّق في أسماء أعضاء الشعبة يجد أنّهم تقريبًا نفس أعضاء جمعية المقاصد مع تغيير بعض الأسماء ، لذلك فإنّ شعبة المعارف وجمعية المقاصد الخيرية في بيروت وجهان لعملة واحدة.

6- أعمال شعبة المعارف:

طيلة فترة 26 سنة، أي الفترة التي حلّت شعبة المعارف مكان جمعية المقاصد الخيرية، قامت الشعبة ببعض الأعمال، وهي أعمال قليلة قياسًا على الفترة الطويلة، وأهمّها: افتتاح المدرسة السلطانية 1300هـ / 1883م ، وهو حلم راود المؤسسين الأوائل لجمعية المقاصد، كما قامت بافتتاح بعض المدارس الابتدائية، واقتصر عملها في كثير من الأحيان على إدارة الأوقاف الإسلامية، وفي ما يعود لشعبة المعارف سنعتمد على مصدر واحد ألا وهو جريدة ثمرات الفنون، لأنّها المصدر الوحيد الذي زوّدنا ببعض المعلومات، حتى أنّ السجل الوحيد لمحاضر جلسات والمحفوظ لدى جمعية المقاصد، لا يتحدث إلا عن إدارتها للأوقاف.

وكما قلنا إنّ أعمال شعبة المعارف اقتصرت على افتتاح المدرسة السلطانية، و بعض المدارس الابتدائية طيلة 26سنة، لكنّ عملها الأساسي كان يتمحور حول إدارة الأوقاف في بيروت، التي كانت في عهدة جمعية المقاصد قبل تحويلها إلى شعبة المعارف:"إنّ شعبة بيروت ترتبط بها أملاك وعقارات وأوقاف مندرسة[2] ويوجد لها أصول وأنظمة موضوعة من أجل إدارتها واستغلالها، خاصة عن طريق إجراء المزادات لأجل استئجارها من قبل طالبي الإيجار، ولكن قام فضيلة المفتي[3]، وتحت رئاسته بتشكيل "شعبة المعارف"

1) ثمرات الفنون: العدد 489 ، 28 رمضان 1301هـ / 9 تموز 1884م.

2) الأوقاف المندرسة : هي الاوقاف المعطلة والخربة.

3) المفتي هو: عبد الباسط الفاخوري.

من أجل الأملاك والأوقاف المذكورة ولغرض تحديد أنصبتها واستغلالاتها. وما حدث هو أنّه عند تأجيرها قد تمّ ذلك إلى أشخاص ليس لهم أدنى علاقة بالحقوق العائدة إلى المعارف ، وهذا حصل في نفس الوقت الذي تعاني فيه مدارس بيروت الإسلامية (بسبب نقص المداخيل) من الحرمان من الترقي والانتظام ...... ولذلك بعث مجلس إدارة الولاية حوالة مرسلة من قبله بشكل مذكّرة تتضمّن: أنّ استعمال حضرة المفتي لنفوذه وغيرته في توقيف هذا الموضوع هو أمر مخالف للنظام، وأنّ قراره الأحادي الجانب، بربط هذه الأوقاف بشخصه، هو قرار ناتج عن انفعالات الباعث لها هو خوفه من احتمال إسناد هذه الأمور المهمة إلى المعارف، وقد شكّل المفتي لجنة، والتي سوف يتمّ إلحاق واردات شعبة المعارف، وكافة معاملات إدارة المعارف بهذه اللجنة، مّما سوف يتسبب في حال حصوله إلى إنهاء حقوق هذه الجهات (خاصة مديرية المعارف). وهذا ما أدى إلى تشبت الإدارة (المعارف) بعدم الخضوع لهذا الإجراء الذي سوف يؤدّي في حال تطبيقه إلى نتائج مشكوك فيها، وعلى العكس من الغاية المرجوّة منها"[1].

يظهر من هذه الوثيقة أنّ الصراع كان قائمًا على أشدّه بين مفتي بيروت وشعبة معارف بيروت من يتولى إدارة الأوقاف الإسلامية في بيروت بعد تحويل جمعية المقاصد إلى شعبة المعارف، والتي كانت هي من تتولى أمر إدارة الأوقاف.

أمّا في ما يتعلّق بالأوقاف التي كانت في عهدة جمعية المقاصد في بيروت، فهي مازالت موضع بحث بين المفتي وشعبة المعارف من حيث إدارتها :" إنّ شعبة معارف بيروت ترتبط بها أملاك وعقارات مندرسة، ويوجد نظام وأصول موضوعة من أجل إدارتها حيث لم يستقم الأمر عن طريق الإيجار وحده فقط ، فشعبة المعارف، بما يتعلّق بالأوقاف والعقارات المذكورة، تضيف اليها بدلات استغلال مفروضة على الأشخاص الذين يستأجرون هذه الأملاك والأرض منها :"يوجد دار سكن في "سوق إياس" يضمّ أيضًا باب دكّان صائغ يبلغ إيجاره 850 قرشًا، وقد طالبت الشعبة بزيادة هذه الأجرة، ولكن المستأجر

1) B.O.A: MF.MKT: 558/3.

قد طالب بإنقاصها. أما في ما يتعلّق بواردات المدارس الإسلامية المحلية من جهة أملاكها وعقاراتها (المقصود مدارس جمعية المقاصد) التي هي حاليًا موضوع البحث من حيث كونها أوقاف مندرسة، يجب أن تكون إدارتها إدارة حسنة، ويجب أيضًا تبيان السبب في النقص الحاصل في وارداتها"[1].

وبالاضافة إلى عمل شعبة المعارف في إدارة الأوقاف والمدارس ، فقد سارت على نهج جمعية المقاصد الخيرية :" فقد شرعت بختان 40 ولدًا من التلامذة الفقراء على نفقة الشعبة"[2].

وبعد مرور أكثر من خمس سنوات على تشكيل آخر "مجلس معارف" بيروت، صدر أمر تشكيل المجلس الجديد سنة 1887م :" ورد الأمر بتشكيل شعب المعارف من رئيس وعضوين، وعليه حلّت شعبة المعارف في بيروت وتعين للرئاسة الحاج محيي الدين بيهم وللعضوية : إبراهيم الأحدب ، والشيخ سعيد الجندي معاون المدعي العمومي ، وعهد إلى الشعبة انتخاب أمين صندوق وكاتب بمرتب معلوم"[3]. يلاحظ في التشكيل الجديد لشعبة المعارف أنّه قلص العدد من 24 عضوًا إلى ثلاثة أعضاء، وترك للأعضاء الجدد تعيين كاتب وأمين صندوق للشعبة. ثم أضاف عضوًا جديدًا إلى مجلس المعارف هو الشيخ طه النصولي"[4].

بعدما خفض الوالي عدد أعضاء مجلس "شعبة المعارف" إلى أربعة كما مرّ معنا ، فقد ورد في جريدة "ثمرات الفنون" موضوع تشكيل مجلس جديد في الشعبة :"بلغنا تشكيل مجلس معارف بيروت مختلفاً من المسلمين والمسيحيين"[5].

---

1) B.O.A: MF.MKT: 558/3.

2) ثمرات الفنون: العدد 631، 23 شعبان 1304هـ/4 أيار 1887م.

3) ثمرات الفنون: العدد 624، 4 جمادى الثانية 1304هـ/6 إذار 1887م.

4) ثمرات الفنون: العدد 639، 20 شوال 1304هـ/29 حزيران 1887م.

5) ثمرات الفنون العدد 734، 20 رمضان 1306هـ/8 أيار 1889م.

أمّا أعضاء مجلس معارف بيروت فهم: الشيخ ابراهيم الأحدب، حسن بيهم، الشيخ أحمد عباس، عبدالله بيضون، الدكتور أديب قدورة من المسلمين، يوسف عرمان، خليل سركيس، ابراهيم اليازجي سليم الجلخ من المسيحيين وبيجوا الموسوي"[1]. ولم تذكر الجريدة ديانته لكن يبدو أنّه يهودي. بعد أن كان مجلس المعارف بيروت يقتصر على 24 عضوا ثم 4 أعضاء، نرى أن الوالي يشكّل الآن من 10 أعضاء مختلط 7 مسلمين ومسيحيين وربما يهودي واحد.

وفي سنة 1893م عيّن لعضوية مجلس المعارف في بيروت كلّ من فضيلتي مفتي أفندي وسعاد تلو سعدالدين باشا قباني من أعضاء مجلس إدارة الولاية عزتلو يوسف أفندي عرمان باش كاتب لمجلس البلدي وفتح بك الصلح من أعضاء محكمة البداية ومحمد أفندي لبابيدي مأمور الإجراء"[2]. ولم تذكر الجريدة هل حلّ المجلس السابق، وهؤلاء هم أعضاء جدد أم أضيفت هذه الأسماء إلى الأعضاء السابقين لمجلس المعارف.

ثم أعيد تشكيل مجلس المعارف في بيروت سنة 1895م، وكان سبب تشكيله من جديد عدم مداومة الأعضاء على حضور الجلسات:"لمّا كان أعضاء مجلس المعارف غير مداومين على الحضور إلى جلساته، أوجب الحال تجديد تشكيله، فاستنسب مجلس إدارة الولاية تأليفه من كلّ من: الشيخ عبد الباسط أفندي الفاخوري مفتي بيروت، وعبد القادر الدنا رئيس محكمة التجارة، عبد القادر قباني من أعضاء محكة الاستئناف، ومكرمتلو الشيخ أحمد أفندي عباس من المدرسين، ومكر متلو الشيخ رشيد أفندي الفاخوري محرّر المقالات، ورفعتلو محمد أفندي اللبابيدي مأمور الإجراء. ومن المسيحين عزتلو إسكندر أفندي الحداد، الياس أفندي كليهما من أعضاء محكمة الاستئناف ، ورفعتلوا نجيب أفندي البستاني من أعضاء محكمة البداية ، ومن اليهود سليم أفندي زاكي كوهين"[3]

---

1) ثمرات الفنون: العدد 735، 27 رمضان 1306هـ/15 أيار1889م.

2) ثمرات الفنون: العدد 951، 13 ربيع الآخر1311هـ/10 تشرين الأول 1893م.

3) ثمرات الفنون: العدد 1035، 15 محرم 1313هـ/26 حزيران 1895م.

ولم نعد نعرف أيّ شئ عن أعضاء شعبة المعارف حتى سنة 1906م بحسب ما ورد في أحد محاضر جلسات الشعبة عن انتخاب اثني عشر عضوًا علاوة على الأعضاء السابقين:"بناء على استعفاء الريس سعادتلو عبد القادر أفندي الدنا من رياسة الشعبة، فقد تقرّر أن يكون الرئيس الأول سماحة نائب أفندي، والرئيس الثاني صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حوت، كذلك تقرر انتخاب اثني عشر عضوا، علاوة على أعضاء الشعبة، وإبلاغهم إلى اربعة وعشرين عضوًا وهم الشيخ محمد أفندي بربير، الشيخ عبد الباسط الأنسي، الشيخ مصطفى أفندي غلاييني، الشيخ أحمد أفندي طيارة، الشيخ توفيق أفندي خالد، الشيخ حسن أفندي مدور، الشيخ أفندي نصولي، الشيخ أحمد أفندي عباس، وعبد الباسط أفندي فتح الله، عمر أفندي نجا، عبد المجيد أفندي غندور، حسن أفندي طيارة"[1].

وبعد هذه الأعداد لم نعد نرى أيّ ذكر لتشكيل مجلس معارف بيروت ، بل اقتصر عمل هذا المجلس على نشر الإعلانات لتأجير الأملاك الوقفية العائدة له.

وقد حاول بعض الحسّاد والمغرضين أن يبعدوا عن نيابة بيروت، وعن رئاسة شعبة المعارف، عبد الله جمال الدين، حيث تقدّموا بعريضة إلى مشيخة الإسلام:"بلغنا أنّ البعض ممّن لا أخلاق لهم كتبوا عريضة تلغرافية إلى باب المشيخة العليا يطلبون فيها تبديل العالم الفاضل والشهم الماجد السيد عبدالله جمال الدين أفندي نائب بيروت ورئيس شعبة المعارف. ومّما هو محل استغراب، اتخاذ أولئك المغفلين صفة عموم مسلمي أهالي بيروت، بيد أنّهم أفراد قليلون ولا يسوّغ قبول مثل هكذا إمضاء مجهول، ولمّا بلغ وجهاء الأهالي وأعيانهم ونبلاءهم، هذا الأمر تقدّموا بعرض واقعة الحال إلى الولاية الجليلة مع إبداء فريد الشكر والثناء من اقدام فضيلة المشار اليه وغيرته ومحافظته على النظام .

1) جلسة (شعبة المعارف): 12 شوال 1324هـ.

كما نلفت أنظار الحكومة إلى التحقيق عن واضعه لأنّه من قبيل التزوير بل هو عين التزوير"[1].

وبعد المطالبة الحثيثة من أهالي بيروت بإبقاء نائب بيروت ورئيس شعبة المعارف السيد عبدالله جمال الدين ، توجه النائب المذكور إلى الآستانة[2]. وعلم أن السلطات العثمانية لم تأخذ بتلك الشكاوى، وأنّه سيصل إلى بيروت عمّا قريب[3].

7- المدرسة السلطانية:

ذكرنا سابقاً أنّ مجلس شعبة المعارف قرّر افتتاح مدرسة داخلية: "ويسرّنا الآن أنّه بهمّة مولانا الخليفة السلطان عبدالحميد في تعميم العلوم والمعارف. وعلى الخصوص سعيه، حفظه الله، في إخراج قرار شعبة المعارف من القول إلى الفعل، واجتهاده في جعل المدرسة المنوى عنها في غاية الانتظام والإفادة، بإدخال المسرة على الأمة الاسلامية ليكون كما لغيرها من باقي الطوائف. وقد تسهّل بعناية أبّهته افتتاح المدرسة المذكورة في شهر نيسان الرومي[4] سنة 1299هـ/ 1883م . وتحدّد مكانها في المكتب السلطاني وأخذنا باستحضار اللوازم وإعداد المقتضي وإنشاء مايلزم، ولا غرو أن نرسم بحروف الشكر والدعاء هذه الكلمات :" عصر عبدالحميد السعيد مصدر الخيرات والبركات "[5].

وكانت "ثمرات الفنون" من كبار الداعين لإنشاء هذا المكتب، وقد جاء في أحد الأعداد:

أطلبْ ولا تضجرْ من مطلبٍ *** فآفَةَ الطالب أنْ يضجرا**
أما ترى الحبلَ بتكرارهِ *** في الصّخرةِ الصمَّاءِ قد أثّرا.**

---

1) ثمرات الفنون: العدد 444، 8 ذي القعدة 1300 هـ/29 آب 1883م.
2) ثمرات الفنون: العدد 446، 22 ذي القعدة 1300 هـ / 12 أيلول 1883م.
3) ثمرات الفنون: العدد 448، 6 ذي الحجة 1300هـ / 26 أيلول 1883م.
4) السنة الرومية تساوي سنتين هجريتين.
5) ثمرات الفنون: العدد 417، 18 ربيع الثاني 1300هـ / 14 شباط 1883م.

لهذا جدَّت "الثمرات" (جريدة ثمرات الفنون) في الطلب حتى جنت ثمار ما طلبته، وأصرّت على غرسه، وقامت به خطيبة في كثير من أعدادها: "واستنفرت أهل الحمية العزيزية والغيرة الوطنية في إنشاء مدرسة داخلية يجني بها الطالب ثمار العلوم والفنون واللغات، بحيث يصبح أبناء الطائفة الإسلامية متساويين لغيرهم من الطوائف . فنحمد الله تعالى على أنّ غَرْس الأمل أثمر، حيث أسعدت آمالنا، وتحقّقت أمانيننا عواطف الدولة العليا، وفاضت مراهم مولانا السلطان بتأليف مجلس معارف في كلّ ولاية وشعبة لذلك المجلس في كلّ لواء، وكانت جمعية المقاصد الخيرية التي انبثقت عنها شعبة المعارف في لواء بيروت منذ تأسست، قد شمّرت عن ساعد الجد وسعت على قدم الحزم، ومدت يد العزم موصولاً بساعد الاجتهاد وعضد الغيرة في سبيل التقدم والنجاح نحو أربع سنوات، فأنشأت عدة مدارس ابتدائية للبنين والبنات بمساعدة أهل الخير . فقيَّض الله تعالى لها من مدّ يد العناية والإسعاف وهو صاحب الأبّهة أحمد حمدي باشا ، فتقرّر إنشاؤها في محل المكتب السلطاني، فأخذت شعبة المعارف وفي مقدّمتها العالم العلامة السيد عبدالله جمال الدين أفندي نائب بيروت، رئيس الشعبة الأولى ، في إعداد اللوازم والأدوات . وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة الماضي السادس من جمادى الثانية سنة ثلاثمئة والف هجري الموافق عشرة نيسان 1883م . جرى افتتاح المدرسة في المكتب المذكور"[1].

وقد حضر حفل الإفتتاح والي سورية آنذاك أحمد حمدي باشا ومتصرّف بيروت ، والموظفون الرسميون والقادة العسكريين والعلماء ، ووجهاء المدينة . وتخلّل الحفل إلقاء خطب باللغات العربية والتركية والفرنسية ، بالإضافة إلى عزف الموسيقى العسكرية وممّا قيل فيها:

1) المصدر نفسه: العدد 424، 7 جمادى الثانية 1300هـ / 4 نيسان 1883م .

أنارَ العلمُ في الأقطارِ بدرَهُ ***** وأطْلَعَ في سماءِ السّعد زهْرَةَ لِمنْ
وأدنى غرسَه غرسًا شهيًا ***** يجني بروض الجِدّ زَهرة [1]

حاز مكتب بيروت السلطاني على أهمية خاصة بالنظر إلى كونه إحدى المدرستين السلطانيتين اللتين أقيمتا خارج حدود عاصمة السلطنة حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فيما اقيمت الثانية في مركز ولاية كريت حيث عرفت باسم " مكتب كبير"[2].

وقامت السلطات العثمانية بتقديم يد العون والمساعدة إلى هذه المدرسة بمبلغ وقدره ستة آلاف قرش عن طريق أحد أعضاء شعبة المعارف، وأحد أعضاء جمعية المقاصد محمد أفندي المغربل ، وهو الذي قام بتقديم طلب إلى السلطات العثمانية من أجل المساعدة . وقد أثنت السلطات العثمانية على شعبة المعارف وأعمالها[3].

وقد بلغ عدد التلاميذ في المدرسة للسنة الأولى لافتتاحها في بيروت :"55 تلميذًا ولم تزل في ازدياد لما شوهد بها من الانتظام وحسن الترتيب ، ويوجد بين التلاميذ جملة من أولاد الفقراء تبرّع بقسطهم السنوي أهل الخير والحمية"[4].

وقد أوردت جريدة ثمرات الفنون في أعدادها 426 و 427 أسماء الأشخاص المتبرّعين الذين تبرعوا للتلاميذ بالمدرسة السلطانية[5].

وكانت المدرسة السلطانية وإدارتها على علاقة ممتازة مع الوالي حمدي باشا :"زار أبّهة الوالي أحمد حمدي باشا المدرسة السلطانية وتناول الطعام مع تلامذتها، و كان

1) ثمرات الفنون: العدد 417، 18 ربيع الثاني 1300هـ / 14 شباط 1883م.

2) سوسن آغا قصاب وخالد عمر تدمري: بيروت والسلطان 200 صورة من محفوظات عبد الحميد الثاني (1876-1909)، بالتعاون مع بلدية بيروت، منشورات لبنان، ص 63.

3) B.O.A: MF.MKT: 115/83.

4) ثمرات الفنون: العدد 425، 16 جمادى الثانية 1300 هـ/11 نيسان 1883م.

5) راجع الأعداد: 426، 23 جمادى الثاني 1300هـ/18 نيسان 1883م. و427، 30 جمادى الثاني 1300هـ/25 نيسان 1883م.

يتحدث معهم، وقد ألقى خطبة عظيمة ، وأدى صلاة المغرب معهم في المسجد المحاذي للمدرسة"[1].

ولإعلام أولياء الأمور بافتتاح العام الدراسي كانت المدرسة السلطانية تعمد إلى نشر الإعلانات في الصحف المحلية :"حيث أنّ الفرصة السنوية للمدرسة السلطانية تنتهي في نصف أيلول الرومي المقبل فتفتح المدرسة أبوابها للطالبين وتبتدئ الدروس المقررة "[2].

وإزاء تزايد عدد تلاميذ المدرسة، حيث بلغ عدد تلامذتها 142 تلميذًا، فقد تدارك الوالي الموضوع، وقام بإنشاء أماكن جديدة لاستيعاب التلاميذ الجدد[3].

وقد وضعت المدرسة السلطانية نظامًا خاصًا بها، وممّا جاء فيه :

1- "المدرسة المذكورة مفتوحة الأبواب لتعليم الأطفال وتربيتهم من أيّ طائفة كانوا من الطوائف التابعة للسلطنة، مع الأذن لكلّ ذي دين أن يؤدّي وظائف دينه على حسب معتقده من عقائد وفرائض، ويلزم المسيحيين يوم الأحد أن يذهبوا لآداء عباداتهم".
2- "دروس المدرسة سيتبع فيها النظام الخصوصي الذي علم لها سابق".
3- "التلامذة الذين ينامون في المدرسة يقدّم لهم الطعام ثلاث مرات في اليوم حسبما كان في السنتين السابقة".
4- " ينقسم تلامذة المدرسة إلى ثلاثة أقسام : داخلي ونصف داخلي وخارجي . فالداخلي هو الذي ينام في المدرسة ويتناول الطعام ثلاث مرات في كلّ يوم، فهذا يدفع 15 ليرة عثمانية عن السنة، وذلك ماعدا أثمان الكتب والقرطاسية وأجرة غسيل الثياب وفرشه ، ونصف داخلي هو الذي يتعلّم ويأكل في اليوم مرّة واحدة

---

1) ثمرات الفنون : العدد 438 ، 15 رمضان 1300 هـ / 11 تموز 1883م.
2) ثمرات الفنون : العدد 443 ، 1 ذي القعدة 1300 هـ / 23 آب 1883م.
3) ثمرات الفنون : العدد 450 ، 27 ذي الحجة 1300 هـ / 17 تشرين الأول 1883م.

فقط ولا ينام في المدرسة فهذا يدفع 8 ليرات عثمانية في السنة ماعدا الكتب ، والخارجي هو الذي يتعلّم فقط فهذا يدفع 4 ليرات عثمانية".

5- " إذا دخل المدرسة أخوان أو ثلاثة في آن واحد يسقط لكلّ واحد ليرة من أجرته، إن كانوا داخلين ، ونصف ليرة إن كانوا نصف داخلين ، وربع ليرة إن كانوا خارجين".

6- "الأجرة المذكورة تدفع قسطين الأوّل عند ابتداء الدخول والثاني بعد خمسة أشهر"[1].

وبالرغم من الأقساط التي كانت موضوعة على المدرسة السلطانية ، فقد كان الأهالي يتبرّعون لها:"تبرع آل بيهم بمبلغ مائة ريال مجيدية ويوسف سرسق بعشر ليرات فرنساوية ، وعبدالله الغزاوي بمائة ريال مجيدي ، ومحمود أفندي الخوجة بخمس ليرات فرنساوية إعانة للمدرسة السلطانية ، وقد تبرّع إياس بخمسين ليرة عثمانية"[2].

ولحسن سير المدارس تمّ تعين الشيخ عبدالباسط الفاخوري مفتشّاً على المكاتب في بيروت ، وصدر أمر الوالي بتعيين خلقي الغول أغاسي مديرًا للمدرسة السلطانية"[3].

وفي الوقت الذي أخذت فيه المدرسة تنطلق نحو ترقّي العلوم، وأخذت تنافس المدارس الكبرى :"بلغنا أن رفعتلو خلقي أفندي استعفى من مديرية المدرسة السلطانية في بيروت ، وقد فتحت المدرسة أبوابها تحت نظارة سعادة نصوحي بك أفندي متصرف بيروت"[4]، لكنّ حضرة الوالي وحضرة المشير المعسكر السلطاني الخامس قد أثنيا على خلقي أفندي عدم الاستعفاء. وأن المدرسة السلطانية هي المدرسة العالمية الوحيدة

---

1) ثمرات الفنون : العدد 686 ، 9 شوال 1305 هـ / 6 حزيران 1888م.

2) المرجع نفسه.

3) ثمرات الفنون : العدد 499 ، 16 ذي الحجة 1301هـ / 6 تشرين أول 1884م.

4) ثمرات الفنون : العدد 598 ، 29 ذي الحجة 1303هـ / 15 أيلول 1886م.

الإسلامية في سورية بل في جميع الولايات العربية"[1] وأمام إصرار خلقي أفندي على تقديم استقالته فقد تقرّر تعيين كمال أفندي شريف مديرًا للمدرسة"[2].

وفي الوقت الذي كانت المدرسة السلطانية تشهد تطورًا ملحوظًا، وخصوصًا أنّها المدرسة الوحيدة في الولايات العربية ، قرّرت فجأة نظارة المعارف جعلها مكتبًا إعداديًا"[3].

وفي أواخر سنة 1913م إتّخذت الدولة العثمانية قرارًا بتأسيس مدرسة سلطانية ثانية في بيروت، تكون اللغة العربية لغة التدريس فيها. فطبقًّا للمراسلات الجارية بين وزارة المعارف وولاية بيروت، فإنّها حملت اسم "بيروت عربي سلطاني مكتبي" أي "المدرسة السلطانية العربية في بيروت" ورصدت الدولة التخصصات المالية اللازمة لتأسيسها. واتخذت وزارة المعارف كل الإجراءات اللازمة لافتتاحها. وعلى الرغم من جدّية الدولة العثمانية في فتح هذه المدرسة، إلاّ أنّ دخولها في الحرب العالمية الأولى قلب مشروع تأسيس المدرسة رأسًا على عقب[4].

ومن الأعمال التي كان يقوم بها مجلس معارف بيروت، الإشراف على الأوقاف فمن أجل تأجير بعض العقارات الوقفية كان المجلس يعمد إلى نشر الإعلانات في الصحف المحلية :" تقرّر إجراء المزايدة العلنية على مستغلات ومسقفات[5] الأوقاف اللازم إجازتها المتخذة بمقابلة تسديد مصاريف المكاتب الابتدائية في إدارة معارف بيروت ، فعلى الطالبين أن يراجعوا إدارة معارف بيروت"[6].

1) ثمرات الفنون : العدد 599 ، 6 محرم 1304هـ / 22 أيلول 1886م.

2) ثمرات الفنون : العدد 641 ، 5 ذي القعدة 1304هـ / 13 تموز 1887م.

3) ثمرات الفنون : العدد 691 ، 14 ذي القعدة 1305 هـ / 11 تموز 1888م.

4) فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية، تقديم خالد أرن، منظمة التعاون الإسلامي، أرسيكا، إستنبول، 2003م، ص 358.

5) المسقفات: إيرادات الأوقاف.

6) ثمرات الفنون : العدد 746 ، 22 ذي الحجة 1306هـ/7 أيار1889م.

بعد هذه الأعداد لم نجد شيئًا يذكر عن أعمال شعبة المعارف في بيروت سوى نشر الإعلانات في الصحف للقيام بتأجير الأملاك التابعة لها.

8- فتح المدارس الإبتدائية:

تحدّثنا عن عمل مجلس معارف بيروت إن كان لناحية إدارة الأملاك الوقفية او إدارة المدرسة السلطانية، وقد تعمدت وضع كلّ مايتعلق بالمدرسة السلطانية حتى تبيّن للقارئ تاريخ هذه المدرسة العريقة، والتي كانت جمعية المقاصد السباقة إلى التفكير بإنشائها في السنوات الأولى لنشأتها، وقد تحقق الحلم على يد شعبة مجلس المعارف 1300هـ / 1883م ، وقد تمكنت جمعية المقاصد من استعادة هذا الصرح التربوي بعد صراع طويل مع الإنتداب الفرنسي 1926 م، حيث أصبح اسمها كلية البنات. وقد تتبعنا عملية تشكيل مجلس معارف ببيروت حتى 1895م، بحسب ماورد في جريدة ثمرات الفنون، واللافت أنّ مجلس معارف بيروت بدأ يضم غير المسلمين بدءا من سنة 1889م. وسنتطرق إلى منجزات هذا المجلس لناحية المدارس الإبتدائية.

ولم يتوقف مجلس معارف بيروت عن افتتاح المدارس أو المكاتب الابتدائية، بل بذل قصارى جهده لإنشاء هذه المدارس في كلّ أنحاء مدينة بيروت:"سررنا أنّ شعبة مجلس معارف بيروت قررت فتح مدرستين ابتدائيتين واحدة للذكور والثانية للبنات في محلة رأس النبع "[1]، المتتبع لمسيرة جمعية المقاصد الخيرية في بيروت قبل تحويلها إلى مجلس معارف بيروت، كانت قد عزمت على إنشاء هاتين المدرستين، وكأنّ شعبة المعارف تكمل مسيرة جمعية المقاصد وتحقق ماكان يصبو إليه المؤسسون الأوائل للجمعية.

وبالفعل فقد تمّ فتح المدرستين المذكورتين في محلة رأس النبع :"يوم السبت الماضي جرى إحتفال فتح مدرستين من المدارس الابتدائية، إحداهما للذكور والثانية

1) ثمرات الفنون : العدد 411 ، 6 ربيع الأول 1300 هـ / 3 كانون الثاني 1883م.

للبنات في محلة رأس النبع ، بحضور دولتلو أحمد حمدي باشا وحضرة دولتلو فوزي باشا مشير المعسكر السلطاني والعلماء والوجوه"[1].

وكانت شعبة المعارف كعادتها تجري الامتحانات للتلاميذ في جميع مدارسها في حضور العلماء والوجهاء وبعض رجال الدولة والأهالي :"جرى فحص مدرسة الإناث الأولى لشعبة المعارف في بيروت ، كما جرى فحص مدرسة الذكور الأولى للشعبة المذكورة بحضور العلماء والوجهاء وكثير من الأهالي"[2] وأيضًا جرى فحص مدرسة البنات الثانية والثالثة ومدرسة الذكور الثالثة لشعبة المعارف في بيروت [3].

وفي خطاب القاه الشيخ سعيد الجندي (معاون المدعي العمومي) أثناء إجراء امتحان لتلاميذ الابتدائية الأولى لشعبة المعارف، وكأنّه يؤكد أن شعبة المعارف هي امتداد لجمعية المقاصد، أنّها أسست ست مدارس قبل أن تتحوّل إلى شعبة المعارف، فقد قال ما حرفيته وحسب جريدة ثمرات الفنون:"تألّفت جمعية المقاصد الخيرية في غرة شعبان 1295هـ وكان رأسمالها 18 أو 20 ريالاً مجيديًا وبثمرة الإخلاص والاتكال على الله أخذت تنمو وتتقدم بمساعدة الحكومة السنية وإرشاد السيد جمال الدين ، حتى تيسر لها فتح ثلاث مدارس ابتدائية للذكور وثلاث للإناث [4]. هذا تأكيد من الشيخ سعيد الجندي والذي كان من مؤسسي جمعية المقاصد وأحد أعضاء شعبة المعارف ، على أنّ الجمعية قبل تحولها إلى مجلس المعارف قد أنشأت ست مدارس وليس أربع.

---

1) ثمرات الفنون : العدد 419 ، 3 جمادى الأولى 1300 هـ / 28 شباط 1883م.

2) ثمرات الفنون : العدد 433 ، 13 شعبان 1300 هـ / 6 حزيران 1883م.

3) ثمرات الفنون : العدد 435 ، 27 شعبان 1300 هـ / 20 حزيران 1883م.

4) ثمرات الفنون : العدد 479 ، 24 رجب 1301هـ / 7 أيار 1884م.

وتنفيذا لأمر السلطات العثمانية أخذت شعبة المعارف في بيروت بإنشاء مكاتب ابتدائية في بيروت ، وطلب من الشعبة أن تفتح مكتبًا يضمّ من كلّ الطوائف ، وقد تعهدت نظارة المعارف بصرف 3500 ليرة عثمانية لكلّ مكتب"[1].

وكان ذروة أعمال شعبة مجلس معارف بيروت أنها قررت فتح دار للمعلمين ، وقد تعهد بعض الأفاضل القيام بمهمة التعليم في هذه الدار[2].

وقد عانت شعبة مجلس المعارف ضائقة ماليه حيث ذكرت ثمرات الفنون :" حصل عمليات تأخير في دفع رواتب المعلّمين في المكاتب الإسلامية التابعة لشعبة المعارف ببيروت لأكثر من ستة أشهر، فقام الوالي نصوحي أفندي بك بصرف جميع رواتب المعلمين".[3]

9- قضية عزل عبد القادرقبّاني عن مديرية معارف بيروت :

لا بد للباحث الذي يتحدث عن جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، من أن يعرّج على قضية مهمّة وهي عزل عبدالقادر قباني عن مديرية معارف ولاية بيروت، كونه أحد اهم مؤسسي جمعية المقاصد وأوّل رئيس لها. ففي سنة 1902م،عُيّن عبدالقادر قباني مديرًا لمعارف بيروت بالنظر إلى خدماته الجليلة في نشر العلوم والمعارف، وجاء الخبر في جريدة الإقبال :" سنحت العواطف السلطانية بتعيين حضرة سليل المجد الكاتب التحرير صاحب الغيرة الملية والحمية الوطنية قباني زادت سعادتلو عبدالقادرأفندي مديرًا لمعارف ولايتنا الجليلة ، فكان لهذا التعيين رنّة سرور عند الجميع لما له من المكانة العلمية السامية "[4]. وبعد أن بقي القباني في مديرية المعارف مايزيد على الست سنوات ، ترك الوظيفة في آب سنة 1908م ، بناء على أمرٍ من وزارة المعارف في الحكومة الاتحادية [5]. وقد أورد القباني

5) ثمرات الفنون : العدد 506 ، 6 صفر1302 هـ / 11 تشرين الثاني 1886م.

6) ثمرات الفنون : العدد 752 ، 12 صفر1307 هـ / 25 أيلول 1889م.

7) ثمرات الفنون : العدد 1003 ، 7 جمادى الأولى 1312 هـ / 24 تشرين الثاني 1894م.

1) جريدة الاقبال: 16 محرم 1320 هـ/24 نيسان 1902م.

2) عمرعبد السلام تدمري: موسوعة علماء المسلمين في لبنان: المجلد الثالث، ج5 ، ص114.

خبر عزله عن مديرية المعارف في جريدة ثمرات الفنون كالآتي :"تبلّغ صاحب هذه الجريدة من مقام الولاية نص تلغراف من نظارة المعارف الجليلة بعزله من مديرية المعارف في الولاية، وأنّه من المقتضى تعيين وكيل لرؤية الأشغال، ولمّا كان هذا العزل بهذه الصورة مخالفا لأحكام القانون الأساسي وللعدالة، التمس تلغرافيًا من مقام الصدارة العظمى ومن نظارة المعارف بيان السبب للمدافعة عن الحقوق دفعًا للمغدورية"[1].

سنعرض ما أوردته جريدة ثمرات الفنون والوثائق العثمانية من دون الدخول في تحليله . فبعد عزله عن مديرية المعارف ، كتب القباني مقالاً في جريدة ثمرات الفنون مدافعًا عن نفسه بعنوان :"الحق أحق أن يقال" وقد عزت جريدة إقدام ، كما روت ثمرات الفنون ، أسباب عزله إلى علاقته بعزت باشا[2]، لذلك دافع القباني عن نفسه في جريدة ثمرات الفنون ومّما جاء في المقال:".... وهاك أقوله اثباتا" للحقيقة وإزهاقا للباطل، فالعاجز لا يعترف أنّي كنت من المنسوبين إلى عزت باشا وإنّما كان لي معه التقارب التام يوم كان في سورية وخصوصًا يوم كان مفتشّاً للعدلية يوم ناديت بمشروع السكة الحديدية إلى الحجاز.... ويوم وقفت أمام المرحوم حمدي باشا أدافع عن المرحوم الحاج محمود أفندي المجذوب وحسين أفندي الجوهري وجبور آغا نمور وكلّهم من وجوه صيدا من تلك التهمة التي افتراها عليهم إحسان بك قائمقام صيدا يومئذ[3]....... وأنْي لم ادع أنّي مأذون من مكتب عال، بيد أن هذه المكاتب لم يكن لها أثر في الولايات إلاّ بعد أن قامت "ثمرات الفنون" تندب حالة التعليم والتربية في الولايات ...... ومع ذلك عزل هذا العاجز من مديرية المعارف في 20 نيسان 1318هـ فما هو القصور الذي ارتكبه"[4].

---

1) ثمرات الفنون: العدد 1676، 20 رجب 1326هـ/4 آب 1908م.

2) أحمد عزت باشا (1864 – 1927م) حمل رتبة المشير وأكمل دراساته العسكرية العالية في المانيا، خدم في لبنان ورقي إلى رتبة فريق عام 1908 ، وأصبح قائدا للجيش العثماني في اليمن . عين وزيرا للحربية بعد مقتل محمود شوكت ، وبتوجه من طلّعت باشا أصبح صدرًا أعظم.

3) اشارة إلى استغلال نفوذهما لاستثمار أراضي في ساحل صيدا من اجل دعم شعبة مقاصد صيدا، راجع:
B.O.A: DH.i.Dn: 315/93.

4) ثمرات الفنون : العدد 1678 ، 20 شعبان 1326هـ / 18 آب 1908م.

و أرسل القباني أكثر من رسالة إلى جانب الصدارة العظمى ونظارة المعارف ليتبين أسباب عزله:"..... على أن لي أسوة بالذين أصيبوا في سبيل الحرية فذهبوا ضحية العجلة بموجب العدالة والقانون الأساسي الذي ابتهجت القلوب به أن تتبدل المغدورية بالمسرورية، وها أنا العاجز يترقّب نتيجة معروضاته التلغرافية لجانب الصدارة العظمى ونظارة المعارف العمومية، ولا يتأخّر عن كلّ ما يلزم لدفع أسباب الغدر بعد أن تولّى الوظائف التي عهدت اليه مدة 31 سنة ، ولم يبق بدون وظيفة بكل هذه المدة غير تسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما"[1].

وقد استجابت السلطات العثمانية لمراسلات القباني، وشكلّت لجنة التحقيق في أسباب عزله ، وربّما كانت كما تروي الوثائق العثمانية، وشايات ضدّه، حيث أساء – حسب الوثائق – إستخدام وظيفته كمدير للأوقاف وإستغلالها لتحقيق مآرب شخصية، وسنقوم بعرض ماجاء في الوثائق العثمانية من دون التعليق عليها، إذ ترك هذا الأمر للقارئ ليحكم فيها.

أولاً سنعرض التقارير التي أرسلت بحق القبّاني وأدّت إلى عزله، ثمّ الاسترحامات التي قدّمها، يشرح فيها الظلم اللاحق به جراء هذه التقارير وهذا العزل، وأخيرا التقرير المخابراتي الذي ينصف القباني.

إنّ التقارير التي اتّهمت القباني بسوء استخدام منصبه جاء فيها:"إنّ مدير معارف ولاية بيروت الجليلة سعادة عبد القادر قباني أفندي قد قام باستخدام كلّ مافي وسعه من نفوذ وقوى من أجل اغتصاب مال أماكن موقوفة، هي أماكن مسجلة ومحكومة بمستندات شرعية، وقد استعمل الجبر والشدة من قبل مفتش شرطة الولاية، الذي قام بنفسه ومن طرفه بتوقيع وثائق تثبت القيام بذلك، وترجع عائدتها على المذكور – أي الفائدة تعود على عبدالقادر قباني – ولكن وبالرغم من استعمال المدير المذكور مداخلاته

---

1) ثمرات الفنون : العدد 1677 ، 27 رجب 1326هـ / 11 آب 1908م.

ونفوذه في سبيل إيقاف القضية ومنعها من أن تأخذ مجراها......... فإنّه لم يستطع بسبب ورثة مفتي بيروت الأسبق، وهم الأشخاص الذين يرتزقون من الوقف المذكور من طرفهم ، بتقديم إفادة في صورة عرض حال عليه تواقيعهم وهو مرسل لفّاً من قبلنا إلى الولاية من أجل غرض إجراء التحقيقات اللازمة"[1].

وفي تقرير آخر يظهر أيضًا تعدي القباني على أموال الوقف كما تقول الوثيقة العثمانية:"إنّ مدير معارف ولاية بيروت الجليلة سعادة عبدالقادر قباني أفندي، وبما حاز حضرته من نفوذ وقوة ساقته إلى استخدامها من التعدي على ماهو أماكن وقفية ضمن بيروت، وهذه الأماكن مسجلة ومحكومة بواسطة مستندات شرعية وسوية، معه مفتش الشرطة. استعمل مداخلاته ونفوذه وحيثياته في غصب وضبط الأوقاف المشار إليها. لذلك قامت الولاية (ولاية بيروت) أوضحت فيها مداخلات المومى اليه وإساءة استخدامه لنفوذه"[2].

وأثناء التحقيق في التقارير الواردة إلى ولاية بيروت من وزارة المعارف جاء فيها :" جوابًا على التحريرات العلية لوزارتكم الواردة الينا بتاريخ 31 كانون الأول 1322هـ تحت الرقم 16 نفيد بأنّ كلاًّ من مدير معارف بيروت سعادة عبدالقادر أفندي وحضرة أخيه الحاج علوان أفندي من طرفهما، قد ضبطا بسبب ما ادعي عليهما أنّه بشكل مفصّل قبض مسقّفات موقوفة موقّع عليها بإمضاء الحاج علوان بتاريخ 11 ذي القعدة 1323هـ"[3].

وتؤكّد هذه التهمة وثيقة أخرى:"لقد تمّ الاستيلاء على مسقّفات موقوفة مثبتة بوثائق ومستندات شرعية، وذلك من قبل مدير معارف ولاية بيروت صاحب السعادة عبد القادر قباني وأخيه الحاج علوان ولمصلحتهما الشخصية، وقد تم الأخذ بعين الاعتبار وجود للوظيفة ونفوذ لها عند إبلاغ الولاية المذكورة، يحمل توقيع مفتي بيروت الأسبق

1) B.O.A: MF.MKT: 973/18.

2) B.O.A: MF.MKT: 973/18.

3) B.O.A: MF.MKT: 558/3.

ورفاقه متضمّن الاستعلام . والكيفية (حول الموضوع) فقد تمّ تنظيم تحريرات (موجهة) إلى ملجأ النظارة العليا ، ففي الجواب الوارد في هذه التحريرات المنظمة فإنّه أرسلت دعوة أولى إلى المدعي عليه رشيد الإشرافي أفندي، وذلك بناء على عرض حال بخصوص المسقّفات الموقوفة يحمل توقيع الحاج علوان بتاريخ 11 ذي القعدة 1323هـ، ولمّا لم تتم المتابعة من جانبه (الإشرافي) فإنّه يصار إلى (طلب) إفادة من قبل محكمة الشرع الشريف في هذا الباب"[1].

ويفهم من هذه الوثيقة أنّ تعيين القباني لم يكن كما هو معروف اليوم بالتسلسل الإداري ، أي أنّ مجلس الولاية لم يسم القباني مديرًا لمعارف الولاية ، بل جاءت تسميته من الآستانة مباشرة :" تحريرات جوابية (موجهة) إلى النظارة العلية بتاريخ 30 مارت 1327هـ (رومي) ذات الرقم 165، يفهم من (مذكرة) مجلس تنسيق الولاية (الصادرة) بتاريخ 30 نيسان 1318(رومي) أنّها لم تقرّر على الإطلاق تعيين عبد القادر قباني في مديرية معارف الولاية، فيصار (إذا) إلى عزل المذكور من المديرية، وذلك استنادًا إلى (قرار) المقام العالي لملجأ النظارة الوارد في الرسالة التلغرافية (الصادرة) بتاريخ 28 تموز 1321 (رومي)"[2]. لذلك كان هذا الخلاف الحاد بينه وبين مجلس الولاية، وربما اتّهم بكلّ التهم نتيجة هذه الخلافات. وما التقارير التي رفعت بحقه إلى نظارة المعارف إلاّ خير دليل على هذا الخلاف.

فكّرت الوزارة نتيجة المراسلات المتكررة من قبل عبد القادر قباني بتخصيص معاش تقاعدي له:"فقدتمّ عزل عبد القادر قباني من وظيفته وإبعاده عن مأموريته، حيث لم يكن يجوز اتّخاذ مثل هذا القرار من دون تخصيص معاش له، وعلى الرغم من ذلك فهو اليوم محروم من معاشه بأشد طريق ممكنة، من أجل ذلك كلّه تمّ البحث في تخصيص

1) B.O.A: MF.MKT: 973/18.

2) B.O.A: MF.MKT: 1320/25.

معاش لمدير معارف بيروت السابق، وذلك من بعد مراجعاته المتكررة وتقديمه الالتماس تلو الآخر"[1].

وقد أرسل القباني طلبات استرحام يلتمسُ من السلطات العثمانية إنصافه ، وسنعرض تقريرين فقط منها:"مع إعلان القانون الأساسي كان مجلس المعارف الكبير الذي يترأسه (نائل بك) ورئيس كتابه(جمال بك) ومن أعضائه(راقم بك)، حيث كان تعيين عبدكم (بالنسبة لهؤلاء) سببًا وهدفاً لإحراز الانتقام منه من قبلهم، ولذلك تمّ الاتفاق على العزل، وقد ظهر ذلك من خلال إرسالهم لائحة الأمر(أمر العزل) على شكل برقية: مستند إنهاء وقرار صادر من دون سبب مقنع.... وعلى الرغم من طلب عبدكم للعدالة والإنصاف وتقديمه الاسترحامات، على الرغم من ذلك كان الظلم المسبق قد تحول وصار الآن عنادًا واصرارًا على فعل ما تمّ فعله. إنّ عبدكم لا يتعاطى السرقة وهو أيضًا أبعد مايكون عن لعب القمار، فإنّه قد نأى بنفسه عن كلّ مايماثل ذلك من الموبقات بالمطلق أبدًا . وهو على العكس من ذلك كله قد تفرّغ لخدمة حكومتنا السنية، وقام بهذه الخدمة على أفضل وجه، لذلك فهو لم يكن يتوقع أبدًا أن تكون مكافآته على ذلك هو العزل؟؟؟ وهو اليوم تحت المحاكمة بسبب سعاية[2] سيئة قد حلّت عليه، وأدّت إلى استمرار الظرف السيئ معه لمقدار كبير ووقت طويل بلغ تسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما، اضطر بسببه إلى أن يبيع ميراثاً عقاريًا كان قد ورثه عن أهله، وأجبر على بيعه من أجل أن يبقى صادقاً في خدمة وطنه وحكومته . إنّ عبدكم هو صاحب حق رفيع فقد قام بتأسيس مدرسة عالية[3] - مدرسة إعدادية من دون أن يأخذ أي مال من الدولة – وقد يقول معترض عليه : لماذا فعل ذلك ومن أجل أي شئ؟ وجوابنا عليه يكون: أنّه من زماننا هذا كانت المدارس العالية قليلة ونحن بحاجة ماسة اليها للتطور والتقدم. كما أنه قام بتنظيم المدارس الابتدائية[4]. وعددها

1) B.O.A: MF.MKT: 1320/25.

2) سعاية: أي فسدية.

3) مدرسة عالية إشارة إلى المدرسة السلطانية.

4) إشارة إلى المدارس التي أسستها جمعية المقاصد.

سبع على الرغم من أنّ لوائح وزارة المعارف قد وقفت عاجزة عن فعل ذلك . ومن أجل كلّ ذلك التجأ العاجز (عبدالقادر قباني) إلى الذات الفخيمة لجوءًا حسنًا هو (لجوء) من أجل إجراء العدالة في سبيل تبيان الغدر"[1].

وفي استرحام آخر إلى جانب الصدارة العظمى من جانب عبدالقادر قباني يقول فيه:"إنّ تمثال العدالة المتجسّد في فخامتكم يتجلى في مبدأ الاحتراز في التعديات والدقة في النظر بالشكايات والوقوف وجهًا لوجه أمام طغيان الظلم والحقد، حيث لا ترضى فخامتكم بالظلم والتلاعب مع الحق. ولذلك جئت اليكم عارضًا شكايتي وشارحًا تظلمي من الذي لحق بي وهو ليس بقليل: متأمّلاً تأسيس مكان لي خارج نطاق الحيف ومحو الظلم والجور عني ورفع سيف عدالتكم من أجل إنصافي، ذلك لأنّ ماحدث يتناقض مع الذي تمّ إعلانه من جهة القانون الأساسي، خاصة عندما قامت وزارة المعارف بإرسال تلك البرقية إلى الولاية القاضية بعزلي من مديرية المعارف. لقد قمت بمأموريتي هذه وكنت على رأس عملي لمدة ست سنوات وثلاثة أشهر، تمّ عزلي من منصبي بسبب مضبطة كاذبة، ومن دون بيان السبب في هذا العزل من قبل أركان الوزارة. وقد كان إجراء العدالة وإحقاق الحق يقتضي على الأقل تخصيص معاش لعبدكم المعزول، وهذا لم يحصل رغم تكرار تقديمي الاسترحام إلى جنابكم. فإذا كان ذلك (العزل) يستند إلى أية أسباب صحيحة فإنّ عبدكم هو مستحق للعزل بل هو مستعد للمجازاة وأقصى العقوبات وأيضًا وجهًا لوجه. إنّ اجراء العدالة الصحيحة يقضي بالبحث والتحري عن الحقيقة والدأب على إجرائها. وباسمه العظيم الشريف أقسم أنّني أطلب العدالة استرحامًا من ذاتكم الفخيمة. ولقد قمت بعملي في النظارة التي أوكلتموها إليّ (ولي الفخر في ذلك). ولذلك أرجو بإلحاح إحقاق حقي وإنصافي في الحيف والظلم الذي وقع على رأسي ومجازاة ظالمي، والحقيقة أنّ ما تسبّب لي بالعزل والطرد هو وقوفي إلى جانب العدالة، فقد كان عبدكم عضواً في مجلس إدارة

1) B.O.A: MF.MKT: 1320/25

الولاية، ثم تولّى رئاسة محكمة الاستئناف ورئاسة بلدية بيروت ومديراً لمعارف الولاية، كما أنّه أشرف على تحرير ونشر جريدة ثمرات الفنون"[1].

وفي تقرير مرفوع من لجنة تحقيق أو ربّما يكون مخابراتيًا مرفوعًا من أحد الأشخاص، الذي ربّما يكون قد كلّف بإجراء تحقيق عن عبدالقادر قباني في التهم المنسوبة اليه ، جاء فيه:"........ فإنّ بعض مؤسسي "جمعية الفنون" وحرصًا منهم على روحية (الائتلاف) قاموا سوية في السابق بتأسيس مشروع سوف يكون في البداية لبيروت بمفردها، غير أنّ تأثيره سوف يصل إلى كلّ البلدات الإسلامية، وهو مشروع أقيم من أجل دعم ومساندة وخدمة وترقية المعارف على الوجه الأحسن، ومن أجل ذلك كان تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية .... وقد واجه رئيس الجمعية منذ بداية الغدر، وساقوا ضده الظلم والعزل......... لذلك فإنّه لم يطلب لنفسه غير العدالة فقط وسوى تأمين إجراءات الإنصاف لقضيته، ولذلك فهو قد قام بتقديم الاسترحام من أجل كشف وتوضيح مقدار الغدر الذي تعرض له بسبب تلك الشكاية (الفسدية) الكاذبة.... فالأهلية واللباقة صبغتان وثيقتا الصلة بماهية هذا المرء وصداقته واقتداره وأخلاقه الحميدة"[2].

لا أريد أن أضيف شيئًا على هذه الوثيقة، أو أن أقوم بتحليل المعلومات، فهي تظهر جليًا براءة عبدالقادر قباني من كلّ التهم المنسوبة اليه.

إعادة الروح إلى جمعية المقاصد:

بقيت جمعية المقاصد طيلة 26 سنة تحمل اسم "شعبة مجلس المعارف"، حتى كان عام 1908م سنة إعلان الدستور للمرة الثانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ونتيجة تدخل أهالي بيروت لدى الوالي العثماني خليل باشا في سنة 1907، "أراد هذا الوالي أن يعطي للجمعية نوعًا من عنايته فشكّل لها هيئة منفردة نوعًا ما عن إدارة "شعبة المعارف"، وعيّن عبد القادر الدنا رئيسًا لها، وكنت من جملة أعضاء هذه الهيئة، فتسلمت

1) B.O.A: MF.MKT: 1159/32.

2) B.O.A: Şnic / nec: 1320/25.

إدارة إجازات الأملاك، وكانت يومئذ نحو 67 ألف قرشًا، وكان يصرف منها نحو 37 ألف قرشا إعانات والباقي للمدارس"[1]. وقد تشكّلت الهيئة من اثني عشر عضوًا هم: أحمد مختار بيهم، بدر دمشقية، رشيد الفاخوري، سليم سلام، عمر الداعوق، محمد الكستي، محمد اللبابيدي، محمد خير القصار، محيى الدين الخياط، مصطفى الأسير ونجيب عيتاني[2].

وقد أعيد النشاط إلى جمعية المقاصد في جلسة عقدتها "شعبة المعارف" سنة 1908م، جاء فيها: "ليلة الأحد الواقع 6 رمضان 1326هـ فتحت الجلسة برئاسة فضيلة نائب الشرع الشريف عمر أفندي خلوصي ونائب الرئيس الشيخ عبد الرحمن أفندي الحوت والأعضاء الموقعة أسماؤهم أدناه تقرّر ما يلي:

1- تحويل اسم "شعبة المعارف" إلى جمعية المقاصد الخيرية.
2- تأليف نظام للجمعية بمعرفة لجنة مؤلّفة من فضيلة الشيخ أحمد أفندي عباس والشيخ طه أفندي النصولي والشيخ محيى الدين أفندي خياط والشيخ مصطفى أفندي الغلاييني وبدر أفندي دمشقيه.
3- تعيين عمر أفندي الداعوق أمينًا للصندوق وعمر أفندي نجا محاسبًا .
4- حفر ختم جديد باسم جمعية المقاصد الخيرية في بيروت وكسر الختم القديم بمعرفة الجمعية.
5- جعل مدرسة الإناث الأولى في البسطة مركزًا لاجتماع الجمعية على أن يكون الاجتماع مرة في الاسبوع وهي ليلة الثلاثاء.
6- نقل صندوق الجمعية ودفاترها وكلّ مايتعلق بها إلى مركز الاجتماع المذكور..
7- أن ينظّم المفتّش الشيخ محي الدين الخياط بالاشتراك مع بدر أفندي دمشقية وحسن أفندي طبارة والشيخ يوسف أفندي علايا والشيخ رشيد أفندي

---

1) مذكرات سليم علي سلام : مرجع سابق ، ص119.

2) الدكتور عصام محمد شبارو: جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت (1295 – 1421هـ/1878 – 2000م)، دار مصباح الفكر، بيروت ، ط1 ، 2000 ، ص61

فاخوري، جدولاً مفصّلاً يبيّن فيه حالة المدارس الحاضرة منْ ذكور وإناث، وبيان درجة كل منها وأسماء معلميها وما يلزمها من الترقية والتحسين مع بيان بعدد تلامذتها، ومايلزم المدارس من الترميم والإصلاح.

8- تعيين الشيخ أحمد أفندي طبارة والشيخ عبدالحميد أفندي الفاخوري وعبدالحميد أفندي غندور وحسن أفندي طبارة لمخابرة يعقوب روق فيما تراكم عليه من أجور مخازن الشعبة، وبالاشتراك مع عمر أفندي نجا وعمر أفندي الداعوق.

9- أن يقوم الكاتب بتقديم ميزانية في الوارد والصادر[1].

وفي سنة 1326هـ/1908م صدر قرار مجلس إدارة ولاية بيروت الذي يجدّد الاعتراف بجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، كما تمّ إعادة نقل الأملاك من "شعبة المعارف إلى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية". حيث جاء في إحدى الوثائق :"... حيث حلّت (شعبة المعارف) محل (جمعية المقاصد الخيرية) بعد منعها (التحفظ عليها)، ثم جاء إعلان المشروطية لكي يعيد الحال إلى وضعه الأصلي (أي برفع التحفظ عن جمعية المقاصد) ويتحفّظ على بعض الأطراف الأخرى"[2].

وبعد إعادة الروح إلى جمعية المقاصد الخيرية طالب مجلس إدارتها بإعادة أملاك الجمعية إليها:"... وبعد أن توفي راعي الجمعية المذكور، فإنّ الجمعية قد عانت من نقص ودعم وزارة المعارف ... ولذلك جئنا طالبين من معاليكم إعادة الأمور إلى نصابها بخصوص الجمعية كما كانت عليه الحال في السابق"[3].

وأعيد تنظيم الجمعية من جديد، وكانت برئاسة الشيخ عبد الرحمن الحوت، وإنتخبت ثلاث لجان للعمل من أجل إعادة إحياء دور الجمعية، فضمت اللجنة الأولى ستة

---

1) محاضر جلسات شعبة المعارف: جلسة 9 رمضان 1326هـ.

2) B.O.A: DH.UMUM: 69/2.

3) B.O.A: DH.UMUM: 69/2.

أعضاء هم: أحمد مختار بيهم، حسن طبارة، الشيخ عبد الرحمن الحوت، عمر الداعوق، الشيخ محمد الكسني، الشيخ محي الدين الخياط، وضمت اللجنة الثانية ستة أعضاء هم: الشيخ أحمد عباس الأزهري بدر دمشقية، الشيخ رشيد الفاخوري، سليم علي سلام، الشيخ عبد الباسط الأنسي، وعبد الحميد غندور. أمّا اللجنة الثالثة فضمت أربعة أعضاء هم: الشيخ أحمد حسن طبارة، الشيخ حسن المدور، عمر نجا، الشيخ مصطفى غلايني. وهي ترجو ممّن أفاء الله عليهم من أولي الثروة، أن يعاضدوها في سبيل إحياء النفوس بالعلم والتهذيب الذي هو في اعتقادها أفضل من كلّ سبيل كما ترجو من كل من له قدرة على الإنفاق أن يعينها على مشروعها، كلّ على حسبه، والله لا يضيع مثقال حبة من خردل. وقد عقدت النية على نشر أسماء المتبرّعين على صفحات الجرائد"[1].

وعلى الرغم من إعادة الروح إلى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، إلا أنّه ظهرت بعض الخلافات، في الآراء بين أعضائها، مّما أدّى إلى توقف الجمعية قسرًا قرابة الستة أشهر إلى أن أعيد تشكيلها من جديد كما ورد في جريدة الإقبال:"أنشئت جمعية المقاصد الخيرية في سنة 1296هـ[2] فكانت من أفضل الجمعيات الإسلامية نشاطًا وعملاً، ثم طرأت عليها ظروف أوقفت سيرها بل جعلتها تسير القهقري إلى أن انتهى الأمر بتحويلها إلى "شعبة معارف" وظلّت لذلك إلى زمن الانقلاب الأخير فانقلبت معه ظهرًا على عقب، وأعادت اسمها الأول قسرًا "جمعية المقاصد الخيرية" وألّفت من أربعة وعشرين عضوًا، بناء على اختلاف طرأ بين أعضائها، ويرجع أكثره إلى اختلاف المشارب، فلم تتمكّن الجمعية من عمل شيء، فاستقرّ رأي مجلس الإدارة هذا الاسبوع على انتخاب هيئة أعضاء جديدة للجمعية متفقي المشارب، على أن يكون الناظر عليها فضيلة المفتي والرئيس فضيلة النقيب مصطفى نجا، فتقرّر انتخاب الأعضاء الآتية أسماؤهم: الشيخ طه النصولي، عبد الباسط الأنسي، محي الدين الخياط، توفيق خالد، عبد القادر قباني، سليم بواب، كامل علي سلام، بدر

1) جريدة الاقبال : العدد 269 : 24 رمضان 1326هـ / الموافق 19 تشرين الأول 1908.

2) خطأ وقعت به جريدة الاقبال.

دمشقية، عمر نجا، عمر الداعوق، محمد الفاخوري، عثمان رمضان، جميل بيهم، راشد طبارة، عبدا لحميد الغندور، والآمال معقودة بأن تنال المدارس على يد هؤلاء الأعضاء الغيورين على ترقي شأن المعارف والنجاح الحقيقي، فقد آن الأوان للعمل الجدّي، وإنّنا ندعو الله بتوفيقاتهم"[1].

وفي خضم انتشار الأحزاب والجمعيات السياسية بعد الانقلاب، واشتراك عدد من أعضاء جمعية المقاصد في هذه الجمعيات مّما أضعف عملها. ونلاحظ أنّ هذه الأحزاب والجمعيات والهيئات، رغم أنّها قامت للتعبير عن الشعور الوطني والطموح السياسي التحرري، فقد غرقت في أتون الاختلافات النظرية والعملية، ومع أنّ هذه الاختلافات لو جرى تقييمها الآن لبدت أنّها إختلافات ثانوية وجزئية، إلا إنها كانت بالنسبة لأبناء البلاد في ذلك الوقت اختلافات جوهرية وحقيقية قامت المحالفات والمصادمات السياسية والشخصية أيضًا على أساسها. ولم تسلم جمعية المقاصد في بيروت من هذا الجو السياسي المعبّأ والمشحون بالعواطف المتأجّجة المتباينة، بل كان قسم كبير من رجالاتها جزءًا من هذا الصراع السياسي الوطني أمثال: سليم علي سلام، عبد الغني العريس، عبد القادر قباني، أحمد مختار بيهم، محي الدين الخياط، حسن الأسير، محمد الفاخوري، الشيخ أحمد حسن طبارة، الشيخ مصطفى الغلاييني، وغيرهم، كما يلاحظ أنّ بعض أعضاء جمعية المقاصد انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي، بينما انضمّ البعض الآخر إلى جمعية الاتحاد العثماني"[2].

وظلت جمعية المقاصد في وضع متأرجح نتيجة الصراعات السياسية والحزبية التي كانت قائمة، ولم تعرف الجمعية تطوّرًا ملحوظاً الاّ في رئاسة سليم علي سلام (1327–1331هـ / 1909–913م)، اذ جاء تعيينه رئيسًا لجمعية المقاصد نتيجة تدخل والي بيروت ناظم باشا في سنة 1327هـ/1909م، وقد تشكل مجلس إداراتها من اثني عشر عضوًا هم:

1) جريدة الأقبال: العدد 293، 28 ربيع الأول 1327هـ / الموافق 19 نيسان 1909م.

2) جهينة حسن الأيوبي : جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت : الجامعة الأميركية في بيروت ، 1966م ، ص89.

بدر دمشقية، محمد جميل بيهم، سليم الطيارة، عارف دياب، عبد الباسط الأنسي، عبد القادر جارودي، الشيخ عبد القادر قباني، عمر الداعوق، محمد فاخوري الشيخ محي الدين الخياط[1].

وقد جاء تعيين سليم علي سلام بعد فترة من شغور منصب "رئيس" بحسب ما أوردت جريدة الإقبال:"مضت على هذه الجمعية مدّة مديدة، من الزمن وهي تدار على أيدي أعضائها وناظرها، ولا رئيس يدير شؤونها، واليوم قد اهتم أعضاؤها الكرام بهذا الأمر، وعلموا أنّ الجمعية تحتاج إلى رئيس دستوري ينفّذ قرارات الأعضاء، وحسب قوانين الجمعيات، فذهبوا في صحوة اليوم إلى والي الولاية وعرضوا عليه ضرورة تعيين الرئيس وربّما يعين الرئيس قريبًا"[2].

وبعد فترة جاء في الجريدة نفسها:"رفع ستة أعضاء من هذه الجمعية عريضة إلى والي الولاية يطلبون تعيين رئيسًا، ولدى قراءتها في مجلس الإدارة تقرّر تعيين حضرة الوطني النبيل سليم أفندي علي سلام أحد أعضاء مجلس الإدارة والمنتظر الآن بمعاضدة هؤلاء الأعضاء رئيسهم الجديد"[3].

ومع رئاسة سليم علي سلام، بدأت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في استعادة نشاطها، فعملت على تطوير التعليم في مدارسها. ولم تمضِ سنة (1328هـ / 1910م) حتى كانت للجمعية أربع مدارس نهارية تضم 560 تلميذا وتلميذة، الأولى في السمطية فوق المخازن، والثانية في رأس بيروت، والثالثة في سوق البازركان والرابعة في محلة رأس النبع[4].

---

1) مذكرات سليم علي سلام : مرجع سابق ، ص 120 – 121.

2) جريدة الاقبال : العدد 325 ، 24 ذي القعدة 1327 هـ / الموافق 6 كانون الأول 1909م.

3) جريدة الإقبال: العدد 326 ، 1 ذي الحجة 1327 هـ / الموافق 13 كانون الأول 1909م.

4) عبد الباسط الأنسي: تقويم جريدة الاقبال (1327هـ/1910م)، ص 1.

وفي تلك الفترة بدأت تظهر الإعلانات على صفحات الصحف المحلية، وخاصة جريدة الإقبال طالبة منها المعلمين لمدارسها، ففي ربيع الثاني من عام 1328هـ إعلان يطلب أربع معلمين للصفوف الإبتدائية في مدارسها وذلك براتب من 200 إلى 400 قرش شهريًا[1].

وهكذا عادت مدارس المقاصد الخيرية الإسلامية محطّ أنظار البيروتين الذين تهافتوا على إلحاق أولادهم بها ، كما أقبلوا بكل طيبة خاطر على معاضدة الجمعية ماديًا. فلم تحل سنة (1330هـ/1912) حتى بلغت واردات الجمعية 1000 قرش، ولم تقتصر التبرعات على المسلمين بل تعدتها إلى بعض المسيحيين[2].

وبسبب زواج بدر دمشقيه وهو أحد أعضاء للجمعية، من جوليا طعمة[3] فاستعفى سليم علي سلام من رئاسة الجمعية فتولى الرئاسة عمر الداعوق وذلك قبل الحرب العالمية الأولى مباشرة (1331–1332هـ/1913 – 1914)[4] لم تشهد جمعية المقاصد في رئاسة عمر الداعوق الأولى أي أعمال تذكر، وذلك عائد إلى أنّ السلطات العثمانية أقدمت أثناء إندلاع الحرب العالمية الأولى أو قبلها بقليل إلى إغلاق الجمعية. فلم يتيسر لعمر الداعوق وأعضاء الجمعية القيام بأي أعمال تذكر.

10- إغلاق جمعية المقاصد (1332 – 1336هـ / 1914 – 1918م):

كادت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، أن تشهد تطورًا كبيرًا، لولا إندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1332هـ/1914م، وإصدار الحكومة العثمانية قرارًا تمّ بموجبه ضمّ الجمعية إلى المجلس العمومي، وبذلك تحولّت جميع أملاك جمعية المقاصد والمقابر التابعة لها إلى الدولة العثمانية طيلة فترة الحرب[5].

---

1) جريدة الإقبال: العدد 344 ، 15 ربيع الثاني 1328هـ / المو افق 25 نيسان 1910م

2) مذكرات سليم علي سلام: مرجع سابق ، ص123

3) جوليا طعمة: هي مسيحية ولدت في المختارة في الشوف وتخرجت من المدرسة الأميركية ، قبل أن يعهد اليها الادارة والتدريس في مدرسة البنات في الطابق السفلي لبيت العريس التابعة لجمعية المقاصد.

4) مذكرات سليم علي سلام: مرجع سابق ، ص 124

5) مذكرات سليم علي سلام: مرجع سابق، ص 124.

أمّا متى وكيف تمّ حل الجمعية بالضبط فأمر غير واضح تمامًا، وكل ما نعلمه وحسب جهينة الأيوبي، بما تنقله شفهيا عن بعض – رجالات المقاصد محمد جميل بيهم الذي يؤكّد:"أن إقفال جميع مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، لم يتم من السلطات العثمانية بل بسبب ظروف الحرب والضائقة المالية التي مرت بها البلاد"[1].

وفي رواية سردها المختار تنير، وكان معلمًا في مدارسها يقول:"أقفل المكتب السلطاني بصورة مؤقّتة بعد طرد الذين قاموا بحركات معادية للدولة وذلك حوالي 1913م. بعد هذه الحوادث جاء كمدير معارف هاشم بك وهو تركي اتحادي من الدرجة الأولى ومن أعز أصدقائه الشيخ محمد ياسين ومحي الدين الخياط والأستاذ محمد الباقر صاحب جريدة "البلاغ" والشيخ حسن الحبال صاحب جريدة "أبابيل". أمّا أعضاء المقاصد فكانوا من حزب الائتلاف والإصلاح منهم أبو علي سلام (سليم علي سلام)، حسن القاضي، عمر الداعوق، محمد الفاخوري، نجيب عرداتي وعيتاني وغيرهم. وبما أنّ مدير – يتابع مختار تنير الكلام – مدرسة الذكور الثالثة الشيخ محمد ياسين كان من حزب الاتحاد والترقي، أعتقد بأنّه سعى مع مدير المعارف لولاية بيروت بأن تلغى جميع المدارس الخاصة الأهلية وتلحق بوزارة المعارف العثمانية، وهكذا كان"[2].

أمّا بيان الجمعية الذي أصدرته بعد الحرب العالمية الأولى فقد جاء فيه ما يدلّ على أنّه كان للحكومة العثمانية يد في إلغاء الجمعية وإغلاق مدارسها:"بما أنّ الحكومة العثمانية كانت وضعت يدها على أملاك ومدارس وسائر متعلقات جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت وسلّمتها إلى قلم المحاسبة الخصوصية"[3].

وهكذا أغلقت جمعية المقاصد في بيروت تمامًا، فهي لم تُحلّ كما حصل معها سابقًا أو تحوّل إلى شعبة معارف, بل ألغيت كليًا، وحتى أنّ جميع ممتلكات الجمعية ضُمت

1) جهينة الأيوبي: مرجع سابق ، ص 94.

2) المرجع نفسه: ص 94.

3) محاضر جلسات الهيئة الادارية : جلسة 18 صفر 1327هـ / الموافق 22 تشرين الثاني 1918م.

إلى المجلس العمومي، ولكن ربّما يعود سبب إلغاء الجمعية إلى انتساب بعض أعضائها إلى جمعيات تناصب العداء للسلطنة العثمانية، وخصوصًا أنّ البلاد كانت مشحونة بالعداء للسلطنة، في الوقت الذي كانت السلطة تتحضّر لدخول الحرب العالمية الأولى.

الخاتمة

شغل التعليم الخاص وما يزال حيّزاً كبيرًا في لبنان, فقد بدأ منذ أواسط القرن التاسع عشر, إبان الحكم العثماني, مستفيداً في الدرجة الأولى من نظام الامتيازات في السلطنة, وهو النظام الذي منحت بموجبه الطوائف غير الإسلامية حرية واسعة في إنشاء مدارسها, ثم في الدرجة الثانية من صك الإنتداب الذي أكدت المادتان الثامنة والعاشرة منه مبدأ حرية التعليم, وقد تأثر الدستور اللبناني الذي وضع في ظل الإنتداب الفرنسي بهذا الإرث, فنصت المادة العاشرة منه على حرية التعليم.

تأخر الحكم العثماني الذي كانت المناطق اللبنانية خاضعة له, بإنشاء المدارس الحكومية. فقبل صدور الخط الهمايوني في 18شباط 1865م كان التعليم في الإمبراطورية العثمانية متروكاً للمبادرات الأهلية والأجنبية.

ويبدو أن اهتمام الدولة العثمانية بإنشاء المدارس الحكومية لم يبدأ إلا مع حركة الإصلاحات التي سادت خلال القرن التاسع عشر, فقد أكّد الخط الهمايوني المذكور: "أنّ الإصلاح يجب ان يعم مرافق الدولة جميعها وأنّ إنشاء مدارس صالحة في أرجاء الإمبراطورية كفيل بالقضاء على الجهل المسيطر على الشعب عامة" كما اكد "الحرية المطلقة للطوائف غير الإسلامية في ترميم المستشفيات والمدارس والمعابد والمرافق..." مّما يعني أنّ الدولة عالجت قضية المدارس الخاصة, في بادئ الأمر, كمسألة تخصّ الجماعات الطائفية لا كقضية تهمّ أبناء البلاد جميعاً".

وعندما بدأت الدولة العثمانية بتنظيم التعليم كانت محكومة ببعض العوامل أبرزها: نظام الملّة - نظام الامتيازات - هيئة العلماء ورجال الدين المسلمين.

فنظام الملة هو ذلك النظام الذي أعطى رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين, الحقّ في أن تكون لهم مؤسساتهم الخاصة تحت سلطة رؤسائهم الروحيين. وقد عمد هؤلاء إلى تأسيس نظام للتربية خاص بهم. وكان من نتيجة ذلك أنّهم لم يهتموا للمؤسسات التربويّة التي أنشأتها الدولة, وقد رأت الدولة العثمانية أنّ شؤون التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب, فخوّلت جميع الطوائف حق تأسيس المدارس وإدارتها.

وأمّا نظام الامتيازات فهو الذي أتاح للدول الأجنبية, بناء مؤسسات تربوية خاصة بها, ونشر الإرساليات التبشيرية في جميع أجزاء الإمبراطورية العثمانية، وذلك إلى جانب ما ضمّنه لها من امتيازات اقتصادية وسياسية.

أمّا هيئة العلماء ورجال الدين المسلمون، فقد كان لهم أكبر الأثر في الإبقاء على التربية العثمانية في إطارها التقليدي أي قائمة في المساجد والكتاتيب.

ولم تكن المناطق اللبنانية بمنأى عن تأثير هذه العوامل, بل لقد تأثرت بها إلى حدٍّ بعيد. يضاف إلى ذلك الوضع الخاص الذي كان يتمتّع به جبل لبنان خلال عهد المتصرفية, والذي وفّر لسكانه قسطاً من الحرية, لم يحظ به أبناء الولايات العثمانية, وكان لاتصال المسيحيين بالغرب أثر في انتشار التعليم الذي كانت توفّره البعثات التبشيرية منذ بداية القرن السابع عشر.

وكان لنظام الملة الذي سبقت الإشارة إليه, وهو نظام اجتماعي صرف الدولة عن الإهتمام بشؤون التعليم، وأفسح المجال للطوائف للاهتمام بشؤونها وتربية أبنائها وتثقيفهم, فراحت كلّ طائفة من الطوائف التي يتشكل منها المجتمع اللبناني، ولا سيما المسيحية منها, تنشئ مدارسها. وقد كان لهذا أثر سيئ, إذ جعل للتربية اللبنانية طابعاً "مذهبياً" برزت فيه الفوارق الدينية التي لا تزال آثارها حتى اليوم.

وكان لمجيء الإرساليات التبشيرية المسيحية, وتنافسها على اجتذاب اللبنانيين إلى المدارس التي أنشأتها لخدمة أغراضها, أثر في إذكاء الخلاف الطائفي بين المسلمين والمسيحيين, وقد نبّه إلى ذلك عبد القادر قباني عبر جريدة ثمرات الفنون إذ قال: "... إنّ أوروبا لم تتجشم هذه المشاق وتعرف تلك المعارف رحمة بالشرق ولا رأفة بأهل الشام, وإنّما رغبت في أن تجعل لمشروعها السياسي حزباً لها يتغذّى بمحبتها صغيراً, فإذا كبر انتشر في البلاد وكان عوناً لها على مساعيها".

وقد بدأ المسلمون يحسّون بتقصير المدارس الرشدية العثمانية ويتهمونها بأنّها غير مؤهّلة, وغير صحية, وبأنّها بدائية بمستواها, في الوقت نفسه لم يكن المسلمون راضين عن مدارس الإرساليات, وإن كانوا معجبين بها, وذلك "لإلحاحها على التبشير وتعليم الدين المسيحي حتى للطلاب المسلمين ولشكّهم بإخلاصها في رسالتها". ولم تكن المدارس المسيحية الوطنية في نظرهم بالبديل الصالح, لأنّها كانت طائفية تَقْصِّر تعليمها على أبناء طائفتها.

ولذلك أخذ المسلمون يؤلّفون الجمعيات الخيرية, وبإلحاح مستمرّ من الشيخ عبد القادر قباني عبر جريدة "ثمرات الفنون", لتخدم المقاصد الإسلامية ومنها التربوية. وقد عزّزت هذه الجمعيات النظام الطائفي، إذ أضافت إليه جهازاً "جديداً" من المدارس على غرار المدارس الطائفية المسيحية.

وبدأت تتشكل المدارس الإسلامية التي كانت في بدايتها، كما يصفها "الفجر الصادق" على النحو التالي: "أمّا الطائفة الإسلامية فإنّها كانت غافلة عن ذلك خمس عشرة سنة، مقتصرة من المدارس على بعض زوايا مهجورة مملوءة بالعفونة والرطوبة, ممّا يضرّ بصحة الأولاد, ومن المعلمين المشايخ العميان الذين لا ننكر فضلهم لأنّهم قاموا بواجباتهم على قدر إستطاعتهم, ومن الأطباء على أناس من الحلاّقين والحجامين. وبقيت محرومة من الفوائد التامة بالمدارس الملقبة بالعمومية، لأنّ مبادئ تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي من وجوه معلومة, كيف يشترط في بعضها على التلاميذ الخضوع لدين المدرسة".

وبقيت الأمور على ماهي عليه حتّى كان تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت في 31 تموز 1878م, غرة شعبان 1295 هـ، وأخذت على عاتقها نشر التعليم بين صفوف المسلمين, عن طريق فتح العديد من المدارس الابتدائية, وكان لوالي سوريا الفضل الكبير في نهضة الجمعية من خلال تأمين العديد من الأوقاف لها لضمان استمراريتها, لكنّ الإشكالية الأولى التي عالجتُها في هذا البحث: هل فعلاً كان لمدحت باشا علاقة بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت؟ وقد إستطعت إثبات أنّه لا علاقة له بتأسيس الجمعية, كما أنّ تاريخ تعيين مدحت باشا واليًا على سوريا كان بعد تأسيس

جمعية المقاصد, علمًا أنّ عمد إلى تأسيس العديد من الجمعيات الخيرية في ولاية سوريا، وطلب من جمعية المقاصد في بيروت رعاية هذه الجمعيات.

والإشكالية الثانية التي تعرّضتُ لها، أسباب استعفاء عبد القادر قباني من رئاسة جمعية المقاصد بعد عدة أشهر على تولي منصب الرئاسة. فمن خلال الوثائق العثمانية تبيّن أنّ قباني لم يستعف من منصب رئاسة الجمعية إنّما عزل من منصبه, بسبب عدم موافقته على تعيين أستاذ غير كفوء لتعليم القرآن الكريم في إحدى مدارس بيروت, حيث تبيّن أيضًا أنّ جمعية المقاصد كانت مسؤولة عن تعليم القرآن الكريم لجميع مدارس بيروت.

رأى أنّ بعض الباحثين، ممّن كتبوا عن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت, أن الجمعيات الخيرية التي تشكلت في ولاية سوريا في عهد الوالي مدحت باشا, لا علاقة لها بجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت, لذلك أردت أيضًا تبيان هذه العلاقة, فهل هذه الجمعيات هي تابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت أم لا؟؟.

أولاً: استعرضت خبر تأسيس جمعية المقاصد, كما ورد في بعض المراجع وعلاقة الجمعيات بها. حيث روى أكثر من مصدر ومرجع أنّه تزامناً مع تأسيس جمعية المقاصد الإسلامية في بيروت تأسست جمعيات أخرى في دمشق, طرابلس, اللاذقية وعكار ونابلس

وجنين وصيدا, وقد أكّد بعض هذه المراجع والمصادر أنّ هذه الجمعيات كانت تابعة لجمعية المقاصد في بيروت.

ثانياً، ومن خلال محاضر جلسات جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت استطعت إثبات بما لا يدع مجالاً للشك، أنّ هذه الجمعيات كانت تابعة لجمعية المقاصد في بيروت, أو على الأقلّ كانت جمعية المقاصد كالأم الحاضنة لجميعها,فأيّ مشكلة كانت تعترض هذه الجمعيات كانت تلجأ إلى جمعية المقاصد في بيروت لحلّها، إن كان على الصعيد المحلي مع الأهالي أو مع السلطة المحلية، فمدحت باشا والي سوريا كان يعمد إلى تأسيس هذه الجمعيات، ويطلب من جمعية المقاصد في بيروت أن ترعاها وقد ورد في أحد محاضر جلسات الجمعية: "قد تشرّفت هذه الهيئة -هيئة جمعية المقاصد- بتلاوة التحريرات العلية الصادرة من جانب ملجأ الولاية خطاباً لرئاسة الجمعية المؤرّخة 15 رجب 1295 هـ، المتضمن أنّ دولته قد أصدر أمره إلى متصرفية البلقاء بتشكيل شعبة لهذه الجمعية بها لأجل تنظيم المكاتب التي صار إنشاؤها في نابلس وجنين، وصار أمر فخامته بحسن رؤية وتمشية الوظائف المحمولة للجمعية سبيل تأسيس وإصلاح هذه المكاتب".

وأهمّ إشكالية في هذا البحث هي أسباب "إغلاق" جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية وتحويلها إلى "شعبة المعارف", فمن أجل معرفة الدواعي الحقيقية لأسباب الإغلاق, كان لا بدّ من دراسة علاقة مدحت باشا بالسلطان عبد الحميد الثاني, وعلاقة الأوّل بجمعية الاتحاد والترقي, وأهم أهداف هذه الجمعية.

وفي هذا المجال قمت أوّلاً بدراسة العلاقة التي تربط مدحت باشا بالسلطان عبد الحميد الثاني, وخصوصاً ما كان يتفوّه به مدحت باشا أثناء حفلات السكر والعربدة، حين قال قولته المشهورة "لقد حكم حتى الآن آل عثمان, ما المانع أن يحكم من الآن وصاعداً آل مدحت".

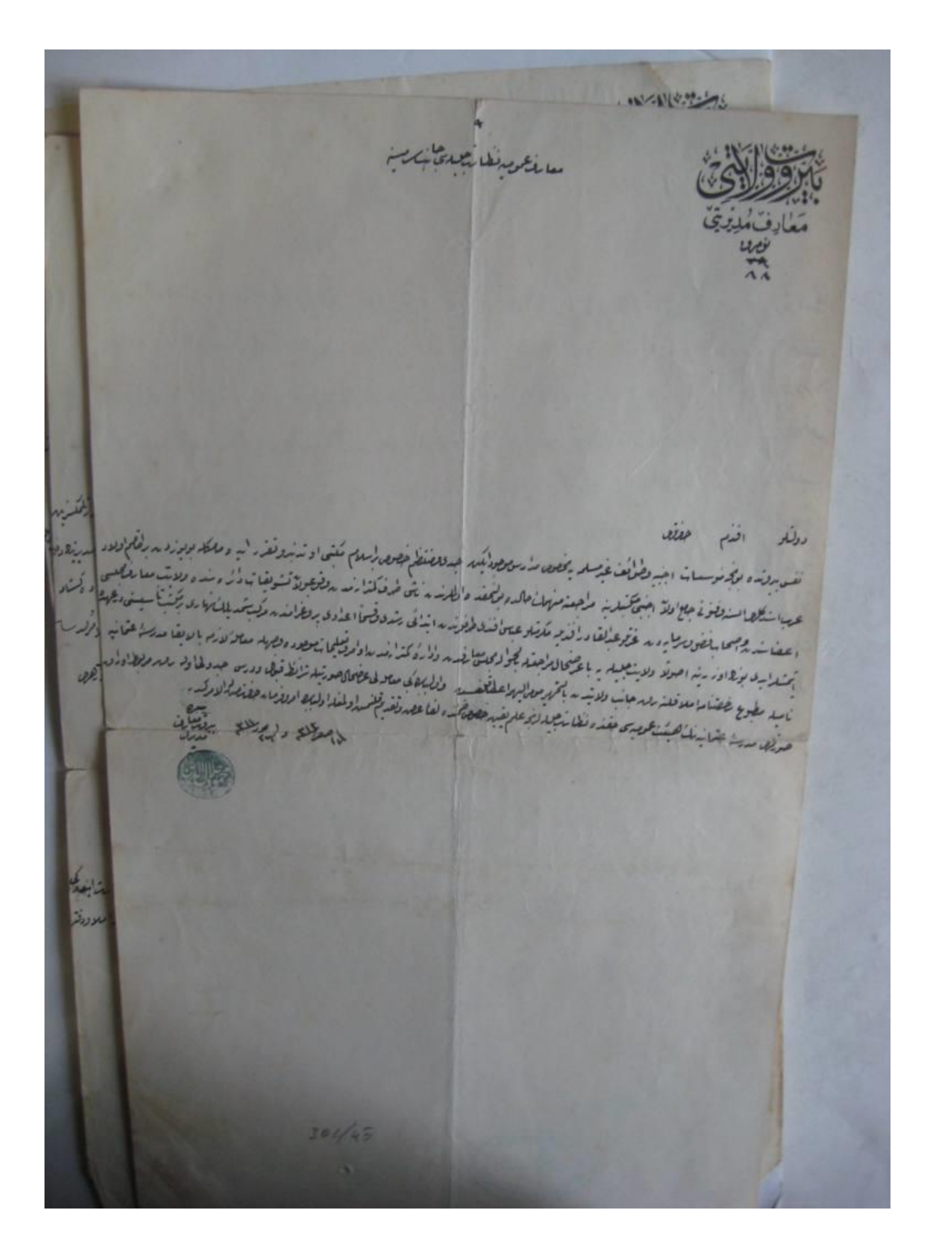
وثانياً(...) علاقة مدحت باشا بالاتحاد والترقي, فكان من أكبر قادتها، وعمل على تأسيس العديد من الفروع لهذه الجمعية أثناء ولايته على سوريا تحت اسم ومسمى الجمعيات الخيرية، ووصيته إلى الاتحاد والترّقي بضرورة تأسيس المدارس في جميع ولايات الدولة العثمانية، لأهداف سياسية تحت مسمّى خيري.

فلهذه الأسباب مجتمعة، أقدمت الدولة العثمانية على "إغلاق" جميع جمعيات المقاصد في ولاية سوريا. فبالإضافة إلى الأسباب التي ذكرناها سابقاً، هناك أهمّ سبب لإغلاق الجمعية، وهو علاقة جمعيات المقاصد الخيرية بجمعية الاتحاد والترقي, ولا يخفى على أحد أنّ السلطان عبد الحميد الثاني أقدم على إغلاق جمعيات المقاصد في ولاية سوريا بسبب هذه العلاقة, لكن أثبتنا من خلال البحث، أنّ مدحت باشا ليس له علاقة بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت, إنّما كانت ضحية من ضحايا مدحت باشا, حيث "ذهب الصالح بعهد الطالح" بالرّغم من كلّ المساعدات التي قدّمها مدحت باشا إلى الجمعية المقاصد في بيروت.

واستطعت من خلال هذا البحث إثبات أنّ جمعية المقاصد لم تُغلق، إنّما حوّلت إلى شعبة المعارف, بعكس الجمعيات الأخرى, فشعبة المعارف هي امتداد لجمعية المقاصد على الأقلّ حتّى سنة 1884م, فقد قامت بما كانت تنوى القيام به جمعية المقاصد. حتّى أنّ كثيرًا من الباحثين ممّن كتبوا عن جمعية المقاصد في بيروت، تجاهلوا الكتابة عن شعبة المعارف, لكنّني آثرت في أن لا أتجاهلها للعلاقة الوثيقة والوطيدة والمتلاحمة بين جمعية المقاصد الخيرية في بيروت وشعبة المعارف.

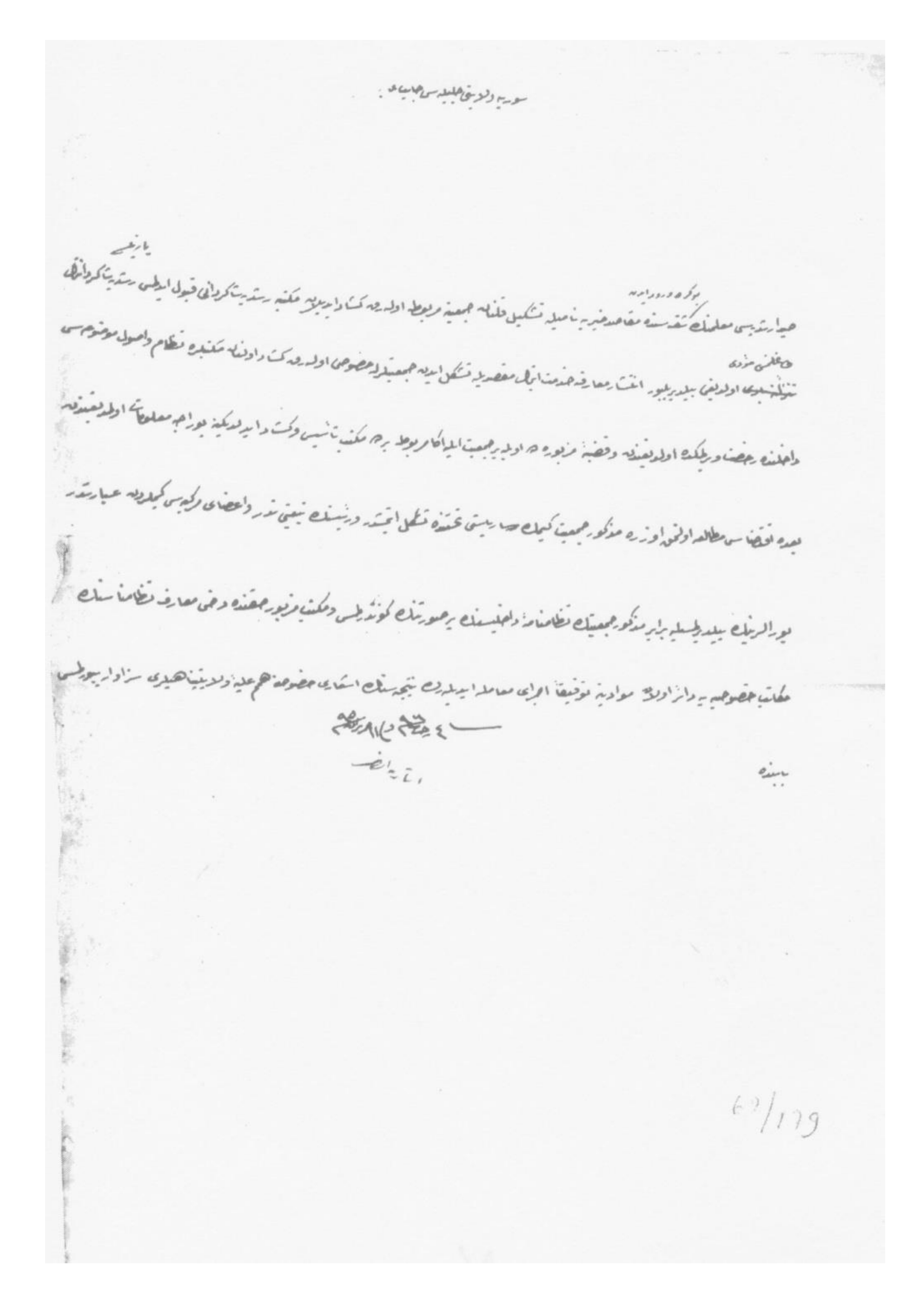
والإشكالية الأخيرة التي تعرّضت لها، هي الأسباب الحقيقية لعزل عبد القادر قباني من مديرية معارف بيروت, فقد أوردت ما كتبته الوثائق العثمانية من دون التطرق لمضمونها, حتّى جاءت إحدى الوثائق، وأنصفت القبّاني من جميع التهم التي أُلصقت به.

الملاحق


بيروت ولايتى
معارف مديريتى

دولتلو افندم حضرتلري

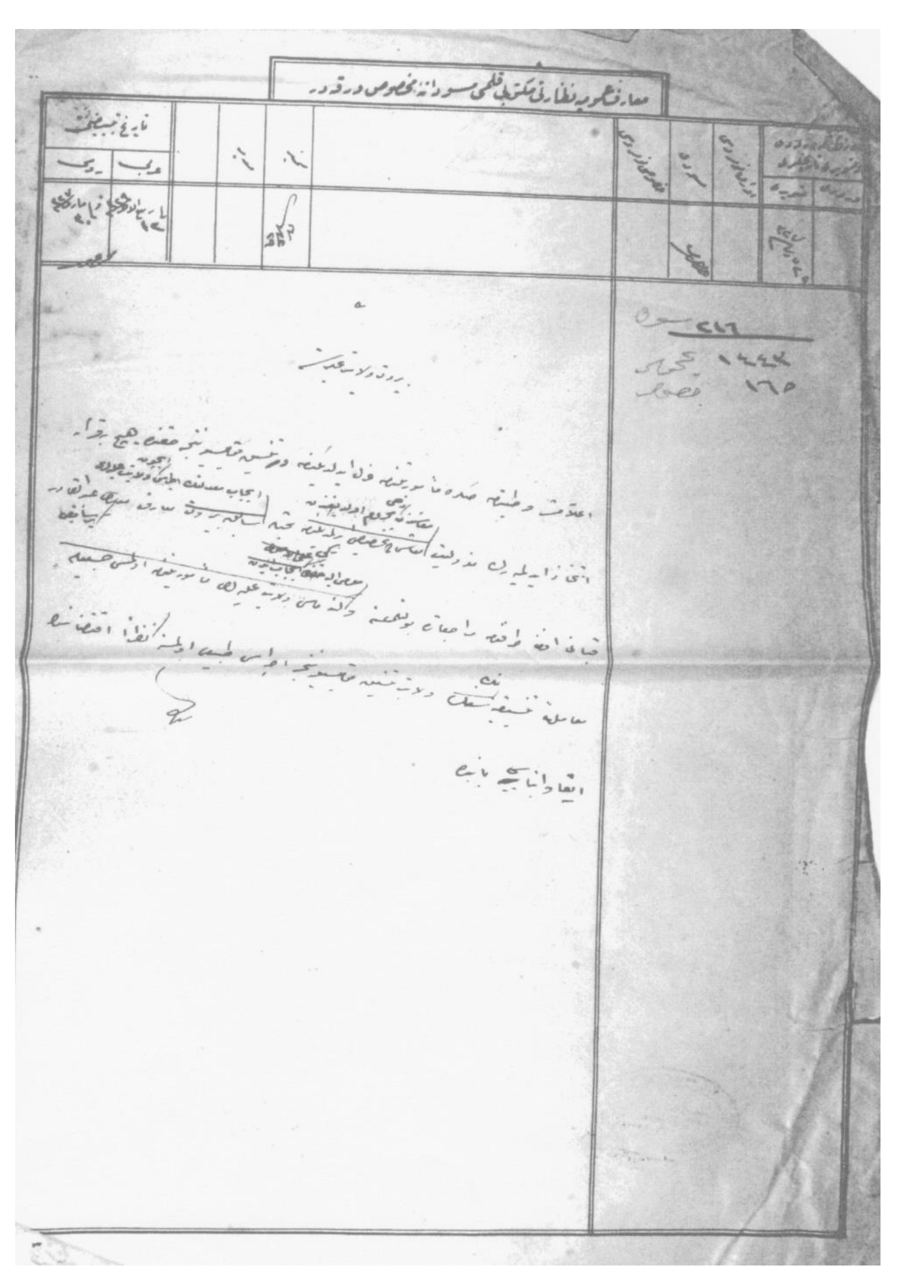
وثيقة من عبد القادر قبّاني وسليم الزهري إلى السلطات العثمانية بضرورة فتح مدراس للمسلمين في بيروت.



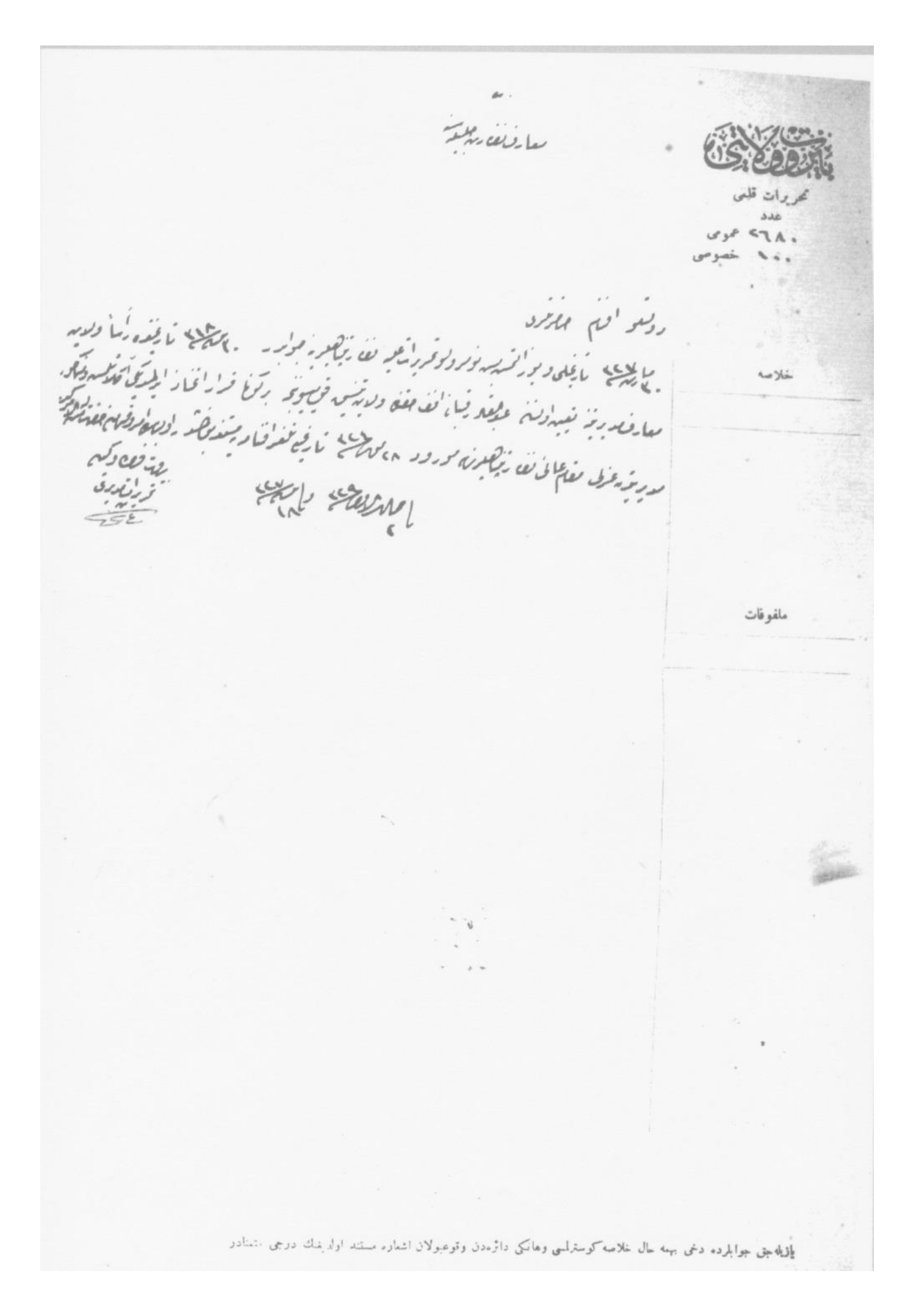
وثيقة عثمانية تظهر جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا، بإنشائها مدارس ابتدائية ورشدية.

[illegible]

وثيقة عثمانية: كتاب استرحام من قبل عبد القادرقباني إلى الدولة العلية يطلب فيها إنصافه، وعدم عزله من مديرية معارف بيروت، ويظهر في التقرير تبرئة عبد القادرقباني من التهم المنسوبة إليه.


معارف عمومیه نظارتی مکتوبی قلمی مسوداته مخصوص ورقه در

وثيقة عثمانية مُرسلة من مفتّش تنسيق ولاية بيروت يُعلم الدولة العثمانية بوصول كتاب عزل عبد القادر قبّاني مدير معارف بيروت من منصبه، ويطالب السيد عبد القادر قبّاني بتعويض عن الخدمات التي خدمها في منصبه.



بيروت ولايتي

تحريرات قلمى

عدد

٢٦٨٠ عمومى

١٠٠ خصوصى

خلاصه

ملفوفات

يازيله‌جق جوابلرده دخى بهمه حال خلاصه‌كوسترلمسى وهانكى دائره‌دن وقوعبولان اشعاره مستند اولديغنك درجى ٠تمنادر

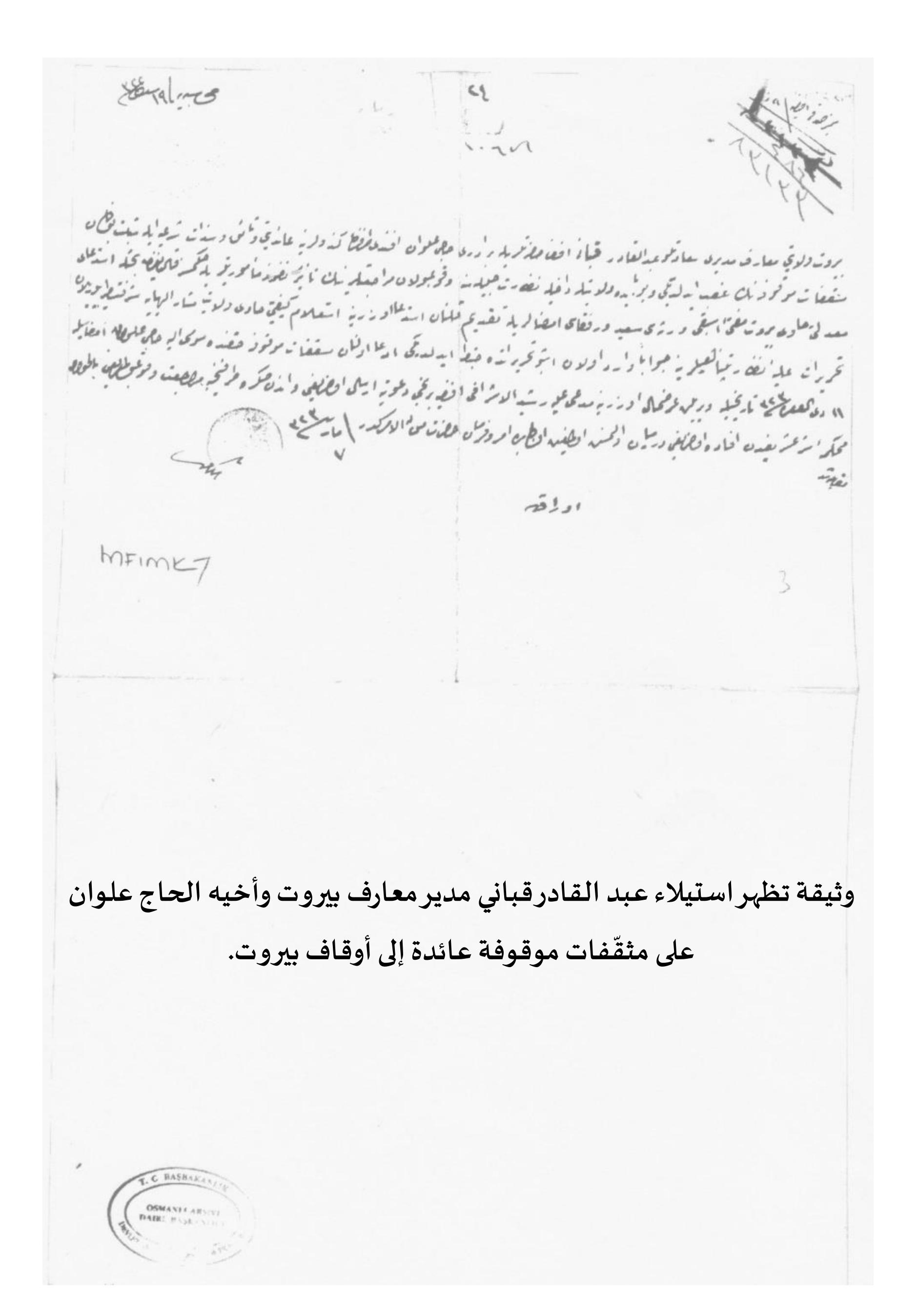
تحرير جواب موجّه إلى النظارة العلية، حيث يفهم من مذكّرة مجلس تنسيق الولاية أنّها لم تقرر على الإطلاق تعيين عبد القادر قبّاني في مديرية معارف بيروت

وثيقة تظهر تنظيم واستيفاء واردات الأوقاف والإعانات المحلية الواردة إلى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، واستخدام هذه الأموال في زيادة عدد المدارس الابتدائية. وتظهر أيضاً تشكيل مجلس معارف محلي واعتراض رئيس الجمعية على هذا المجلس (...) الرئيس أنّ عملية ربط الجمعية بمجلس المعارف هي عملية غير صحيحة وغير ضرورية، وحيث أن عمل الجمعية يقتصر على تأسيس المدارس الإبتدائية من أجل تربية النشأ.

بيروت ولايتى
مكتوبى قلمى
عدد
٥٩٤

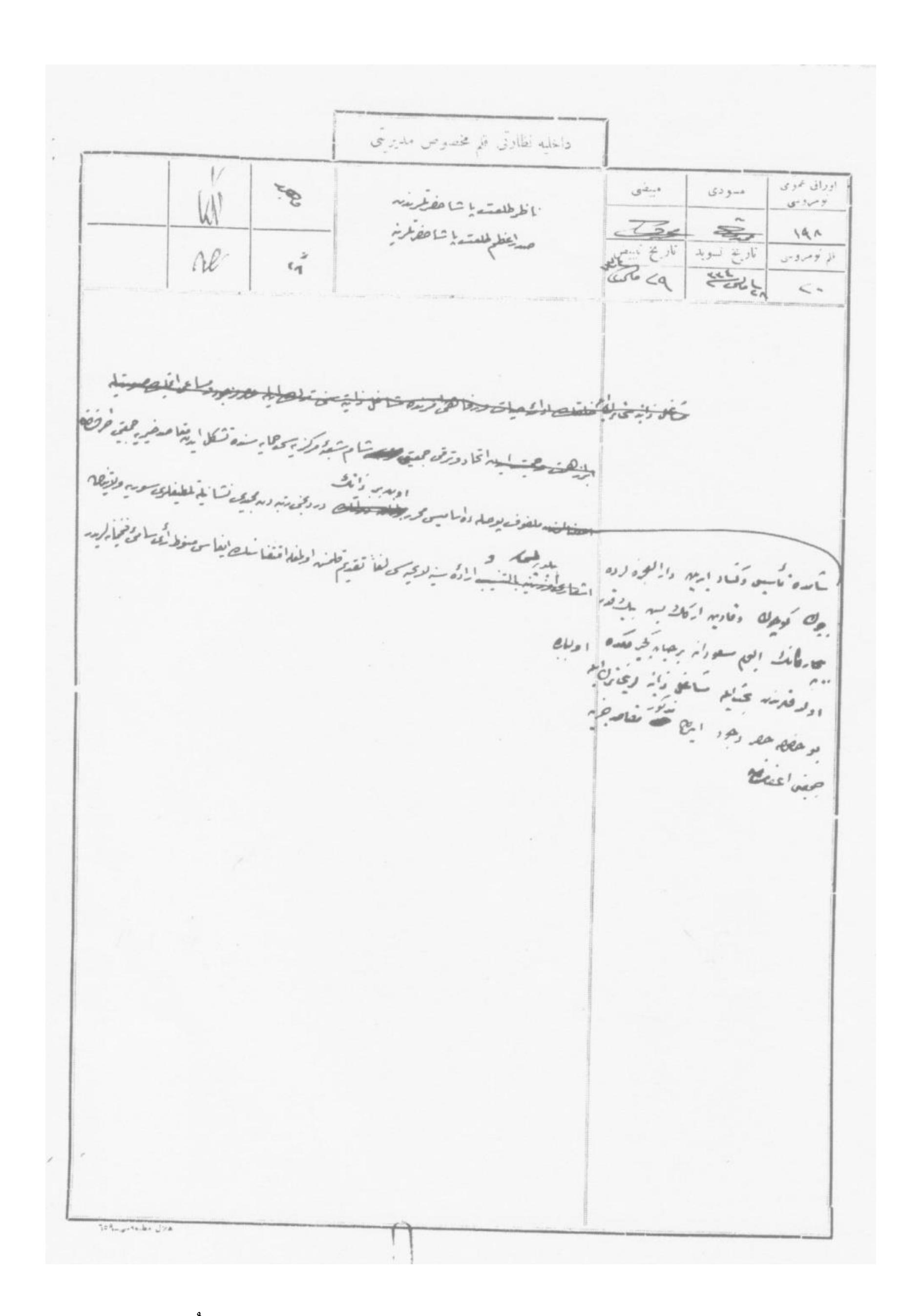
تقرير من السلطات المحلية في بيروت يفيد أنّ مدير معارف بيروت عبد القادر قباني وأخاه، قاما بتوقيع إيصالات تابعة للوقف الخاص بالمعارف، وأنّ هذه الأموال لم تذهب إلى الجهات المختصة.

973/18



وثيقة تظهر استيلاء عبد القادر قباني مدير معارف بيروت وأخيه الحاج علوان على مثقّفات موقوفة عائدة إلى أوقاف بيروت.

تظهر هذه الوثيقة أنّ جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت قامت بإنشاء مدرستين للإناث، وخصّصت الدولة العثمانية مساعدة مالية لهم.


داخلیه نظارتی قلم مخصوص مدیریتی

اوراق عمومیه نومروسی	مسودی	مبیضی
١٩٨		
قلم نومروسی	تاریخ تسوید	تاریخ تبییض

تظهر هذه الوثيقة بما لا يرقى إلى الشكّ أنّ جمعيات المقاصد التي أُسسّت في عهد مدحت باشا والي سورية، قامت بإنشائها ودعمها جمعية الإتحاد والترقي.

كتاب موّجه إلى وزارة الداخلية يقترح عليها إعطاء مؤسسّي وأعضاء جمعية المقاصد الخيرية في الشام، وساماً مجيدياً من الدرجة الحادية عشرة. وقد و افقت الوزارة المعنية على إعطاء أعضاء الجمعية الأوسمة.



سوريه ولايتي

مكتوبي قلمي

تظهر هذه الوثيقة علاقة جمعيات المقاصد التي أسَّسها مدحت باشا – مع العلم أن مدحت باشا لم تكن له علاقة بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية في بيروت – بجمعية الاتحاد والترقي.

قائمة المصادروالمراجع

أولاً: الوثائق العثمانية:

I- Başbakanlik Osmanli Arşivi.

1- B.O.A: DH.VMVM: 69/2.
2- B.O.A: ŞDnic, nec:1320/25.
3- B.O.A: MF, MKT:1138/6.
4- B.O.A: MF, MKT: 71/3.
5- B.O.A: MF, MKT: 76/5.
6- B.O.A: MF, MKT: 68/100.
7- B.O.A: MF, MKT: 76/15.
8- B.O.A: MF, MKT: 1138/64.
9- B.O.A: MF, MKT: 74/118.
10- B.O.A: DH-ID: 12/84.
11- B.O.A: DH-ID: 12/84.
12- B.O.A: DH-ID: 12/84.
13- B.O.A: DH.KMS: 46/9-3.
14- B.O.A: DH.KMS: 47/73-6.
15- B.O.A: Y.PRK.BŞK: 48/116-1.
16- B.O.A: MF. MKT: 558/3-2.
17- B.O.A: MF, MKT: 115/83.
18- B.O.A: DH.I.DN: 315/93.
19- B.O.A: MF, MKT: 973/18- 3.
20- B.O.A: MF, MKT: 973/18- 4.
21- B.O.A: MF, MKT: 558/3-2.
22- B.O.A: MF, MKT: 973/18(3-4).
23- B.O.A: Şnic/nec: 1320/25(5-5).
24- B.O.A: MF, MKT: 1159/32(4-5).

ثانيًا: محاضر اجتماعات جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

ثالثًا: محاضر اجتماعات شعبة المعارف.

رابعًا: جريدة ثمرات الفنون.

خامسًا: جريدة الإقبال.

سادسًا: جريدة لسان الحال.

سابعًا: تقويم جريدة الإقبال (1327هـ / 1910م)، لصاحبها عبد الباسط الأنسي.

ثامنًا: الفجر الصادق: البيان السنوي لجمعية المقاصد 1297هـ.

تاسعًا: المراجع العربية:

1) أوزتونا، يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، إستانبول، 1990م.

2) أنطونيوس، جورج: يقظة العرب: ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1966م.

3) الأيوبي، جهينة حسن: جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، الجامعة الأمريكية في بيروت، حزيران 1966م.

4) إبراهيم، علي محمد: الحياة الاجتماعية والفكرية في الدولة العثمانية 1808-1908م، نقلاً عن محمد زكي بقالين، أحداث مع شيوخ الكتاتيب، إستانبول، 1972م.

5) أوغلي، إكمال الدين إحسان: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعيداوي، إستانبول، حزيران 1999م.

6) الأبيض، أنيس: الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس منذ الربع الأخير في القرن التاسع عشر حتى بداية الانتداب الفرنسي، رسالة أعدّت لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، الجامعة اللبنانية 1980م.

7) بيات، فاضل: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية، تقديم خالد أرن، منظمة التعاون الإسلامي، إستانبول، 2013م.

8) بيات، أ.د. فاضل مهدي: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

9) بيهم، محمد جميل: فلسفة التاريخ العثماني، شركة فرج الله للمطبوعات، بيروت، لبنان.

10) تدمري، عمر عبد السلام: موسوعة علماء المسلمين في لبنان، المجلّد الثالث، الجزء الخامس.

11) الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية، معهد الدراسات العربية العالمية، 1957م.

12) حتاتة، يوسف كمال بك: مدحت باشا (حياته، مذكراته، محاكمته)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

13) حتي، فيليب: تاريخ لبنان، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1972م.
14) حلاق، حسان: مذكرات سليم علي سلام (1868 – 1938م)، الدار الجامعية، 1981م.
15) حلاق، حسان: دراسات في المجتمع اللبناني، دراسات سياسية إجتماعية – إقتصادية – تربوية – ديمغرافية، دار النهضة، بيروت، لبنان.
16) حرب، محمد: مذكرات السلطان عبد الحميد، دار القلم دمشق، ط4، 1998م.
17) حراز، السيد رجب: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة، 1970م.
18) سراج الدين، أحمد: الحركة التربوية وتطورها في لبنان خلال القرن التاسع عشر، مجلة الأبحاث، السنة الرابعة، الجزء الثالث، أيلول 1951م، العدد 321.
19) رستم، أسد: لبنان في عهد المتصرفية، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ط2، 1987م.
20) زين، زين نور الدين: نشوء القومية العربية، دار النهار، بيروت، ط3، 1979م.
21) زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.
22) زيادة، نقولا: أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، القاهرة، جامعة الدول العربية، 1972م.
23) شبارو، د. عصام محمد: جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت (1295-1421هـ / 1878-2000م)، دار مصباح الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2000م.
24) الصلابي، علي محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقط، دار البيارق، بيروت، ط1، 1999م.
25) ضاهر، مسعود: تاريخ لبنان الإجتماعي (1914-1926م)، بيروت، 1974م.
26) عوض، عبد العزيز محمد: الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1846-1914م، دار المعارف، مصر.
27) علي، أورخان محمد: السلطان عبد الحميد الثاني: حياته وأحداث عهده، دار الأنبار، 1987م.
28) الغصيني، رؤوف: الدولة والتعليم الخاص في لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1964م.
29) قلعجي، قدري: مدحت باشا: أبو الدستور وخالع السلاطين، دار العلم للملايين، ط3، 1958م.
30) قباني، عبد القادر: الكشاف، المجلّد الأول، مطبعة وزنكرغراف طبارة، بيروت، العدد 2، السنة الأولى، 1345هـ/1922م).
31) قصّاب، سوسن آغا، وخالد عمر تدمري: بيروت والسلطان، 200 صورة من محفوظات عبد الحميد الثاني (1876-1909م)، بالتعاون مع بلدية بيروت، منشورات تراب لبنان.
32) قبيسي، حسان: الدولة والتعليم في لبنان، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، عدّة باحثين، رئيس التحرير منير بشور، ط1، 1999م.
33) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، 1860-1920م، بيروت، معهد الإنماء العربي 1978م.
34) مدحت، علي حيدر: مدحت باشا – مرآت حيرت – ترجمة سوسن آغا قصاب، مجلد 1، هلال مطبعة سي، إستانبول، 1325هـ

35) المناصفي، إيمان محي الدين: الشيخ عبد القادر القباني وجريدة ثمرات الفنون، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2008م.
36) مصطفى، أحمد عبد الرحيم: في أصول التاريخ العثماني، القاهرة، ط2، 1993م.
37) المرجة، د.موفق بني: صحوة الرجل المريض والسلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار البيارق، بيروت، ط8، 1996م.
38) الهلالي، محمد مصطفى: السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004م.
39) الولي، الشيخ طه: بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993م.
40) يلماز، عمر فاروق: السلطان عبد الحميد خان الثاني بالوثائق، ترجمة طارق عبد الجليل السيد، دار نشر عثمانلي، إستانبول.
41) ياغي، د. إسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1966م.
42) سلام نواف: خيارات للبنان، بيروت، دار النهار، 2004.

عاشرًا: المراجع الأجنبية:

1- Gooch, G.P, and Harlod Temperly (edit): British Documents, on the origins of the war (1898-1914), Vol IX, the Balk on wars, Part I and II, the league and Turkey, London, 1934.
2- Hourani, A: Syria and Lebanon, London, Oxford Univ press, 1954.
3- Lewis, Bernard: The emergency of modern Turkey, London, Oxford Univ press, 1961.
4- Sabah, Nemer: L'evolution Culturelle au liban, Lyon, Im, Janaby, 1950.
5- Watson, R.W. Seton: The Rise of Nationality in the Balkan, London, 1917.

الفهرس

الإهداء 2

المقدمة.. 2

الفصل الأول

التعليم قبل نشأة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية 8

1- لمحة عامة عن الوضع السياسي: 9

2- التعليم في الدولة العثمانية: 10

3- التعليم في بيروت في القرن التاسع عشر:................................ 19

4- بداية نشأة المدارس والتعليم:.. 20

5- بدء المدارس الحكومية: 22

6- بيروت في بداية مسيرتها مع التعليم العصري: 26

7- المدارس الأجنبية (الإرسالية): 28

8- المدارس الأهلية المسيحية: 32

9- بداية إنشاء المدارس الأهلية الإسلامية:.................................. 35

10- جمعية الفنون:.. 40

الفصل الثاني

تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية 42

1- أسباب التأسيس: 43

2- تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية:................................ 45

3- علاقة جمعية المقاصد بجمعية الفنون: 52

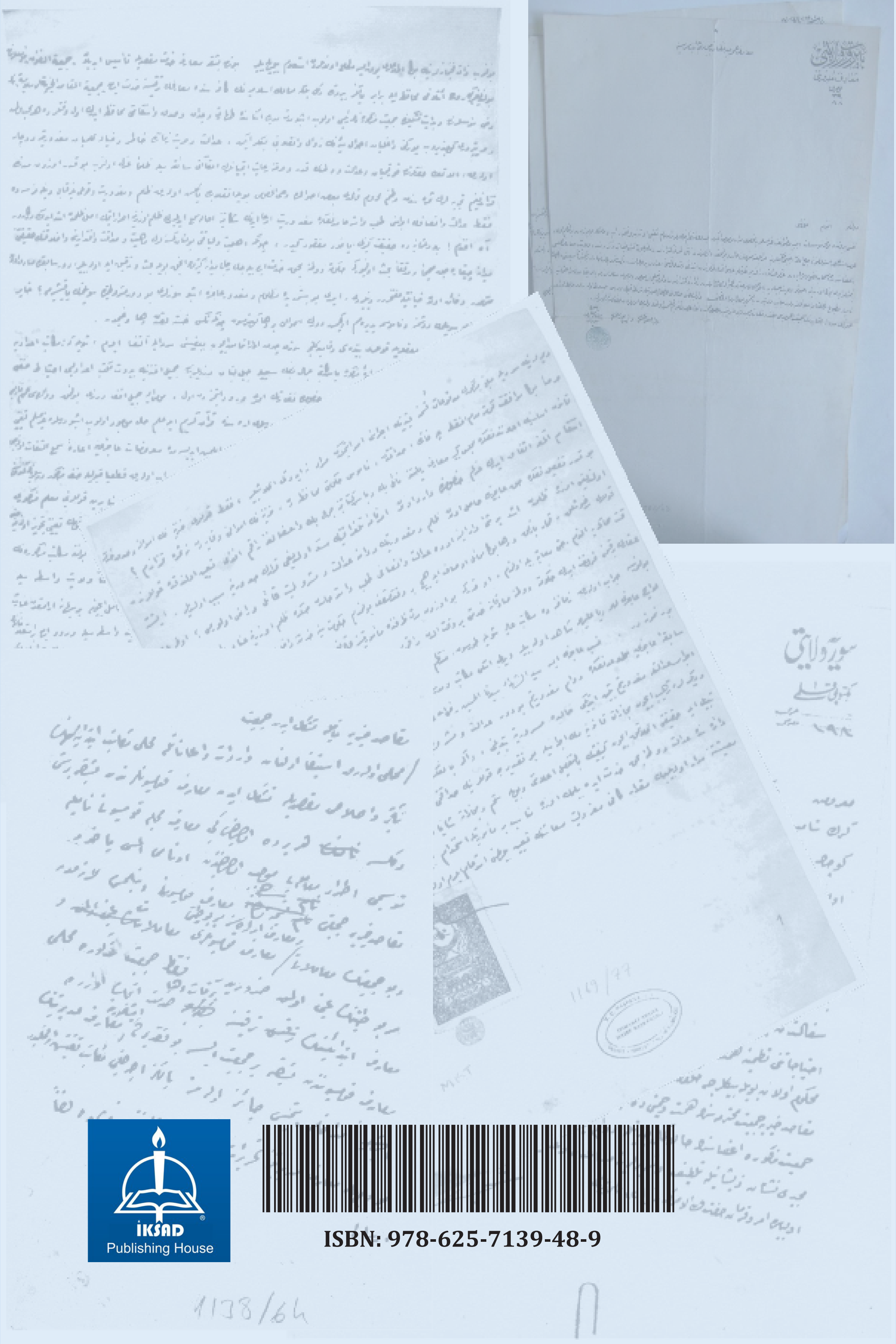
4- هل لمدحت باشا علاقة بتأسيس جمعية المقاصد بيروت؟ 55

5- قضية عزل عبد القادر قبّاني من رئاسة الجمعية: 60

6- تأسيس المدارس:.. 64
7- النظام الداخلي:.. 75
8- مالية الجمعية:.. 77
9- علاقة جمعية المقاصد في بيروت مع غيرها من الجمعيات الخيرية في ولاية سورية :
.... 86
10- مساعدة الفقراء والمحتاجين:.. 102

الفصل الثالث

تحويل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية فى بيروت إلى شعبة المعارف. 109
1- مدحت باشا : 110
2- علاقة مدحت باشا بالسلطان عبد الحميد الثانى:................ 111
3- أسباب تشكيل الاتحاد والترقي: 115
4- تحويل جمعية المقاصد إلى شعبة المعارف " إغلاقها":................ 119
5- شعبة المعارف: 135
6- أعمال شعبة المعارف:.. 139
7- المدرسة السلطانية: 144
8- فتح المدارس الإبتدائية: 150
9- قضية عزل عبد القادر قبّاني عن مديرية معارف بيروت :............ 152
إعادة الروح إلى جمعية المقاصد:.. 159
10- إغلاق جمعية المقاصد (1332 – 1336هـ / 1914 – 1918م): 165
الخاتمة 168
الملاحق 176
قائمة المصادروالمراجع 190
الفهرس 194



ISBN: 978-625-7139-48-9